

لينين

دفاتر عن الديالكتيك

ترجمة وقدم له
الياس مرقص

دار الحقيقة : بيروت

لينين

دفاتر عن الدّيالكتيك

ترجمه وقدّم له
الياس مرقص

دار الحقيقة : بيروت

١٩٨٨ م

دار الحقيقة: بيروت

دفاتر
عن
الديالكتيك

قدّمنا لدفاتر لينين بما يلي :

١. ملاحظة أولى (تعريف بمخطوطة لينين الأساسية وإخراجها)
٢. المصطلحات (الفلسفية، المنطقية ،...)وترجمتها وتعريفها .
٣. الفلسفة ، مسائلها ، مدارسها الكبرى .
٤. تاريخ الفلسفة ، أهم الفلاسفة .

نص لينين يضم :

مخطوطته المعروفة باسم « خلاصة « منطق » هيغل »(ويتخللها، كما في الأصل ، خلاصات من المنطق الصغير لهيغل أو « منطق الموسوعة » ، وتتبعها مخطوطة لينين « مخطط منطق (ديالكيتك) هيغل أو « فهرس مواد منطق الموسوعة » .

ومقالته « حول الديالكتيك » .

محور هذا الكتاب ، حلقته المركزية ، جسده الاساسي ورأسه الوحيد ، هو اذن خلاصة لينين لمنطق هيغل .

ولكن كان لا بدّ لنا من التقديم لهذا النص البالغ الصعوبة (والذي لا غنى عنه للماركسيين) . وقد رأينا ذلك مناسبة لإعطاء صورة أولية (بسيطة) عن الفلسفة وتاريخها ، صورة مسلسلة عن الفلاسفة (لا سيما اولئك الذين يحتلون مكاناً مرموقاً في منطق هيغل وتعليق لينين)

فما هي مخطوطة لينين : خلاصة المنطق الكبير لهيغل ؟ وكيف أُخرِجت للقارىء ؟

- ١ -

مخطوطة لينين ، اخراجها

ثلاثة دفاتر ملأها لينين بين ايلول وكانون الأول ١٩١٤ في مكتبة مدينة برن (سويسرا) .

محتوياتها مقتطفات (شواهد حرفية او خلاصات لمقاطع) من «علم المنطق» لهيغل وتعليقات للينين (مع مقتطفات من « منطق الموسوعة » الذي يُعرَف بـ « المنطق الصغير »).

اعتمد لينين طبعة برلين ١٨٣٣ - ١٨٣٤ لمؤلفات هيغـــل الكاملة ، حيث كتاب « عـــلم المنطق » (او « المنطق الكبير ») او « منطق » هيغل)يؤلف المجلدات III , IV , V (٣ ، ٤ ، ٥) . منطق الموسوعة هو المجلد VI (٦) .

ملاحظات لينين هي بالروسية ، بالالمانية ، أحياناً بالانكليزية (وهنـــاك عبارات و كلمات فرنسـية، لاتينية ، يونانية ...).وهي إما فقرات مميّزة أحاطها لينين بإطار ، أو وضعها بين قوسين داخل النص ، أو أحياناً وضعها في الهامش على يسـار النص ...

نص الطبعة الروسية مقسّم إلى قسمين: صفحة تنقل الأصل كاملاً (المقتطفات الالمانية، وتعليقات لينين كما وردت بلغات متنوعة، مع الاحتفاظ بـ«اختزالات» لينين لبعض الكلمات) ، وصفحة مقابلة تعطي ترجمة روسية كاملة لكل هـــذه المحتويات .

طبعتنا العربية مطابقة، أساساً ،للطبعة الفرنسية ، ترجمة وإخراج هنري لوفافر وتوربر غوترمان ، Gallimard , Idées ، باريس، وعنوانها « دفاتر عن ديالكتيك هيغل » .

اي ان الاخراج بسيط :

١) نص هيغل مميّز . انه دائماً بين مزدوجين « » . ما ليس بين مزدوجين هو نص لينين (تعليقـاً على هيغل ، وتلخيصاً له) . الهامش الأسفل هو أيضاً نص لينين .

٢) اذا احتجنا الى إضافة أي ايضاح (مثلاً ترجمة أخرى ممكنة لمصطلح ما مع أصله الأجنبي) وضعنا ذلك بـين قوسين عموديين [ ] . هذان القوسان العموديان هما دائماً من وضع المترجم العربي ، ما عدا حالة واحدة : حين يكون ما بينهما عبارة [التشديد من هيغل] .

٣) الطبعة الفرنسية أوردت ، بطبيعة الحـال ، بعض المفردات والعبارات الألمانية (والأجنبية الأخرى) . بوجه الإجمال، نقلنا هذه المصطلحات الألمانية ، مع ترجمتها الفرنسية والعربية .

٤) من باب التخفيف ، وبخلاف الطبعة الفرنسية ، نقلنا عبـارة استحسان من نوع très bien (جيد جداً) الى العربية دون أن نذكر أن لينين كتبها بالفرنسية ، ونقلنا عبارة من نوع « وجع رأس » دون أن نذكر أن لينين كتبها بالانكليزية .

ونقلنا إشارات السخرية الى العربيـة على النحو التالي: sic ← كذا ؛ و ha-ha ← ها – ها .

بوجه الإجمال،احتفظنا بالمصطلح الأجنبي Nota bene = N.B. (اللاتيني) ومعناه « لاحظ جيـداً » ، ونقلنا هذا المصطلح اللينيني المميّز من الهامش الأسفل (في الطبعة الفرنسية) الى متن النص ، تخفيفاً للهامش الأسفل ونظراً لأن هذا المصطلح مميز تماماً بحكم كونه أجنبياً.

٥) **حافظنا على التشديد** : استعملنا لهذا الغرض وسائل الطباعة العربية ، وهي محدودة بالمقارنة مع وسائل المطبعة الفرنسية ، ومحدودة أكثر بالمقارنة مـــع علامـات التشديد في مخطوطة لينين . واحتفظنا بأرقام الصفحات

(لينين يتابع هيغل صفحة صفحة) : انها بين قوسين ( ) ، أو في بداية المقطع المنقول في شكل ص. كذا .

وقد أضفنا ، في نهاية هذا الكتاب ، مقالة لينين « بصدد الديالكتيك » ، وهي جزء آخر من مجموع ما يُعرَف بـ « الدفاتر الفلسفية » للينين. هذه المقالة كتبها لينين في ١٩١٥ او ١٩١٦ . ولقد رأينا من المناسب ، بعد خلاصات لينين من هيغل وتعليقات لينين عـــلى هذه الخلاصات ، ان نقدّم هذا المقال القصير الذي نُشر في كل طبعات « المؤلفات المختارة » وبمجوعة « ماركس — انجلز — الماركسية » (للينين) الصادرة في موسكو منذ عشرات السنين (والذي سبق ان نقلناه الى القارىء العربي في مجموعة لينين « الماركسية ، الثورة والاشتراكية والحرب » ، دار دمشق ، ١٩٥٧) .

وغني عن البيان ان النص الاساسي الذي بين يدي القارىء – دفاتر لينين عن ديالكتيك هيغل – نص بالغ الصعوبة . ولنقل ان صعوبته ناجمة عن أسباب ثلاثة :

١) انه مخطوطة شخصية (دراسية) ، وليست كتاباً ولا مسوّدة كتاب ، للنشر. لينين ينقل هيغل (بدقة كاملة، صفحة صفحة، مع ذكر أرقام الصفحات، في عملية جَرْد ...) يلخص ، يعلّق ، « يقلب مادياً » ، يعارض ، على دفاتر (دفاتر تلميذ عادية) ...

٢) أسلوب هيغل بالغ الصعوبة : المعاني « عويصة » والأسلوب «عويص». وسيلاحظ القارىء فرقاً كبيراً بين نص لينين ونص هيغل ، في الأسلوب . ونعلم من انجلز (في مؤلفه « لودفيغ فويرباخ ») أن أحد أسباب شعبية فويرباخ(بعد هيغل ، وضدّه) كان أسلوبه الحيّ المشرق ... ماركس بعث ديالكتيك هيغل من بين ركام المثالية والصوفية والاسلوب . وهكذا فعل لينين .

٣) مسألة المصطلحات ، أي الاختلاف بـــين الالمانية والفرنسية والعربية في المصطلحات : الاختلاف يبدأ قبل العربية ، بين الالمانية والفرنسية.

هذا ما سيرى القارىء امثلة عنه بعد قليل .

وغني عن البيان أن هذا النص بالغ الأهمية. انه واحد من أهم مصادر الفلسفة الماركسية ، وفي رأينا أعلاها .

في وقت كانت فيه الماركسية الارثوذكسية كلها (بليخانوف ، كاوتسكي ، الخ) تعاني من نقص فادح في الديالكتيك ، وفي لحظة الانهيار الكبير لأوروبا وأحزابها العمالية والعالم (١٩١٤) واحتدام وتجدد وتغيّر التناقضات ، أكبّ لينين على هيغل والديالكتيك . الطريق الذي قاد إلى اوكتوبر الروسي مر بـ « المنطق الكبير » لهيغل. في مجادلات لينين اللاحقة مع «الماركسية اليسارية» ، مع روزا لوكسمبورغ ، مع بوخارين ، مع بياتاكوف ، حول المسألة القومية ، حول الامبريالية ، حول الرأسمالية ، تحتل الديالكتيك (أي الفلسفة) مكاناً بارزاً الطريق الذي يقود إلى اوكتوبر هو طريق قانون تفاوت النمو ، تأكيد المسألة القومية ، تأكيد « عالمية » الرأسمالية ، التمسك بـ «النهايات الصغرى» ، الصرامة المطلقة والمرونة المطلقة ، الحسم*.

طبيعي اذن أن ننقل ديالكتيك هيغل ــ لينين في لحظة الانهيار التاريخي العربي هذه وبديهي أننا نوجه هذا الكتاب إلى جمهور المناضلين .

أي أننا مهدنا لنص لينين وهيغل ، بمقدمة طويلة تتناول مسألة المصطلحات،

---

* إن صعوبة النص اضطرتنا في بعض الحالات (لاسيما القسم الأخير) الى مطابقة ترجمة لوفافر - غوترمان على ترجمة فرنان - بوتيجيلي لمجموعة « الدفاتر الفلسفية » ، Editions Sociales.

* هذا لا يعني أن مؤلفات لينين قبل صيف ١٩١٤ ليست مطبوعة بالديالكتيك المادي . العكس هو الصحيح ولكن أسس اللينينية لا تكتمل قبل هذا التاريخ . لا ريب أن هذه « العودة إلى الأصل » ، إلى المنبع الفلسفي ، كانت أداة قوية ساعدت لينين على أن يصوغ ماركسية العصر ، الكلية (الكونية) عيانياً وإلى النهاية .

وقضايا الفلسفة ، وتعرف القارىء بأم الفلاسفة لاسيا أولئــك الذين يتناولهم نص هيغل ولينين .

ولنتعامل مع لينين كا تعامل لينين مع هيغل . هذا أضعف الايمان .

قصَدنا : إن « دفاتر لينين عن ديالكتيك » ليست كتاباً لـ « القراءة » . انها - شأن كل كتب الماركسية ، وأكثر منها - كتاب للدراسة

- ٢ -

المصطلحات وبعض التعاريف

فيما يلي قائمة المصطلحات الفلسفية الالمانية مع ترجمتها الفرنسية ، كما وردت في مقدمة طبعة لوفافر – غوترمان ، وقد أضفنا اليها الترجمة العربية :

Wesen : essence, nature (de la chose) جوهر ، طبيعة (الشيء) .

Wesenheit : entité, abstraction (جوهرية) : كيان ، تجريد .

Vernunft : raison العقل

Vernünftig : rationnel عقليّ

Verständ : entendement, intelligence الفهم

Verstandlich : intelligent فاهم ، ذكي

Dasein : être déterminé, existence وجود – معيّن

Ding : chose شيء

Sache : fond de la chose, chose أساس الشيء ، جوهر الشيء ، الشيء

Selbstbewegung : mouvement interne, mouvement spontané حركة داخلية ، حركة تلقائية (عفوية)

Aufheben : dépasser, élever (á un niveau supérieur), surmonter تجاوز ، رفع (الى مستوى أعلى) ، تغلّب على

Erscheinung : phénomène الظاهرة

Schein : apparence , reflet ظاهر ، ظاهري ، انعكاس

Wirlichkeit : actualité, réalité راهنية (من راهن) ، واقع

Grund : raison d'être, fondement (أرض، أرضية) ،علة وجود، أساس

هذه القائمة تظهر اختلافاً لا بأس به بين اللغتين الالمانية والفرنسية .

إلى هذه القائمة الواردة في مقدمة طبعة لوفافر – غوترمان ، نضيف القائمة والملاحظات الآتية ، من وجهة نظر الترجمة العربية ، ومـــع استيعاب القائمة السابقة :

(١) وجود ، موجود (Sein) Etre :

وجود معيّن ، موجود معيّن : (Dasein) être déterminé, existence

[الأولى هي اذن الوجود بشكل عام ، بدون تعيين (تحديد)]

بوجه الاجمال ، اعتمدنا هـذين المصطلحين – وجود ؛ وجود معيّن – ، سيراً مع ما هو مألوف ، ومع القواميس الفلسفية العربية . خالفنا هذه القاعدة على سبيل الحصر ، في « الباب الثاني : الظاهرة » (وأشرنا إلى هذه المخالفة في مكانها) ، حيث جعلنا Etre كينونة ، و existence وجود . واستغنينا عن « أيس » (être) في مقابل « ليس » (non - être) . اعتمدنا لـ non - être « لا وجود ».

(٢) تطور ، نمو ، انبساط ، تطور – انبساط : développement

سير تطور ، عملية ، سير عملية ، processus :

ظاهر ; apparence : جوهر essence :

ماهيّة substance :

ماهوية substantialité :

ظاهرة : ; phénomène قانون : loi

علّة (سبب) : ; raison سبب : cause

صدفة ، عَرَض : hasard, contingent; ضرورة nécessité

(٣) كلية ، كلية – شمولية ، كلّي ، كوني ، شمولي : universalité, universel

كلية جامعة ، جامعة كلية ، جمع كلّي: totalité

[الأول universel = كلّي هو مفهوم العام = général ، ويقابله الخاص

particulier والمفرد singulier . الثاني totalité ضمناً دائماً كلمة جمع أو جامعة أو جمعي .]

(٤) actif, activité, passif, passion, passivité
هي بالترتيب : فاعل ، فاعلية ، منفعل ، انفعال ، انفعالية .
[passif هي اذن « منفعل » وليست « سلبي » . « السلبي » هو الـ négatif .
الـ négatif (سلبي ، سالب ، نفييّ ، نافٍ) ليس منفعلاً بل فاعل ...]

acte : فعل

action : فعل ، عمل

[كلمة travail = عمل ، شغل ، كدح غير واردة في الدفاتر]

(٥) 1) représentation : التمثيل ، التصوّر التمثيلي

2) entendement, intelligence : الفهم

comprendre : فهم

3) concept : مفهوم

conception : التصوُّر المفهومي (التصوّر)

raison العقل (وايضاً : عِلّة)

١) التمثيل مرحلة دنيا ، هي الدرجة العليا من المعرفة الحسية ، فوق درجة الادراك (الحسّي) perception . كان يمكن ترجمتها تصوّر (انشاء الصورِ ، الصورِ الحسية) . القواميس الفلسفية العربية تترك «تصوّر» لـ conception .

٢) الفهم مرحلة أعلى من التمثيل . حسب مذهب كَنط Kant ، « كل معرفة تبدأ بالحواس ، تنتقل إلى الفهم ، وتكتمل في العقل » . عند هيغل ، الفهم والعقل هما النمطان الأدنى والأعلى في الفكر والمعرفة .

انجلز يرى أن التمييز الهيغلي بين الفهم والعقل يحتوي على نواة عقلية : كل أنماط فاعلية الفهم – الاستقراء ، الاستنتاج ، التحليل ، التركيب – مشترك بين

الانسان والحيوان ، بينما العقل ، أي فاعلية الفكر العامل بواسطة المفاهيم ، هو خاصة الانسان .

٣) conception هي مستوى المفاهيم ، وقد ترجمناها «تصوّر مفهومي».

(٦)		المعرفة	:	connaissance
		العلم	:	science
		علم (savoir)	:	savoir
		الروح (مذكراً ومؤنثاً)	:	esprit
		الفكر	:	pensée
		الفكرة	:	idée
	N. B.	التفكير (والانعكاس)	:	réflexion
		النفس	:	âme
	N. B.	معنى (واتجاه، وجهة)	:	sens
		دلالة ، معنى	:	signification
	N. B.	اهتمام (ومصلحة)	:	intérêt
(٧)	تعيين	(تحديد ، تقرير)	:	détermination
		حدّ ، تحديد (فعل الحدّ)	:	limitation
		حدّ	:	limite, borne, terme
		نهاية ، حد ؛ الغاية	:	fin
		محدود	:	fini
		لا محدود ، اللانهاية	:	infini
		محدودية ، نهائية	:	finitude
		لا محدودية ، لا نهائية	:	infinitude

moyen : وسيلة (واسطة)
terme moyen : حدّ أوسط
médiation : توسط ، وساطة ، توسيط
médiat, médiatisé : موسّط
immédiat : مباشر (غير موسّط)
immédiateté : صفة المباشر ، المباشرية

(٨) poser : وَضَع
position : وضْع ، موقع
positif : ايجابي (موجب) ، وضعي N. B.
négatif : سلبي (سالب) ، نفيّ ، ناف N. B.
négation : نفي
négativité : سلبية ، نفيّة N. B.
opposition : تعارض ، معارضة ، تقابل
opposé : معارض ، مقابل
posé : موضوع ، وُضِيع
objet : الموضوع
sujet : الذات

[وفي الحكم ، انه «الموضوع» الذي له «محمول» ؛ – في الجملة الاسمية : انه المبتدأ الذي له خبر] . N. B.

identité : الهوية ، التماثل ، وحدة الهوية
différence : فرق ، اختلاف ، فصْل
[calcul différentiel : حساب التفاضل

calcul intégral : حساب التكامل .

analyse infinitésimale :

[تحليل النهايات الصغرى ، حساب الكميات الصغيرة إلى ما لا نهاية

contradiction : التناقض

[ولنلاحظ أن الثلاثي الآنف : تماثل ، اختلاف ، تناقض ، يحتل مكاناً مرموقاً عند هيغل] .

antinomies : تعارضات ، تعارضات العقل

ثنائيات تناقضية (في فلسفة كَنط . انظر عرضَنا اللاحق).

un : واحد

multiple : متعدِّد (فكرة التنوُّع والكثرة)

quelque chose : شيءٌ ما

le quelque chose : الشيءُ ما

concret : عياني ; abstrait : مجرَّد

[الموضوع العياني معطى في واقعه الوجودي المعيّن ، انه مفرد وفردي]

rapport : **علاقة** (علاقة ، نسبة ، في الرياضيات : قسمة)

[verhältniss : [بالالمانية ، عند هيغل ، كلمة واحدة

transition : انتقال

passage : انتقال ، مُضيّ (الى ، في)

[مصطلح هام في الديالكتيك : الشيء ينتقل إلى شيء آخر ، يمضي فيه ، الوجود يمضي ، **يتحول** ، إلى لا وجود ...]

immanent : (١٠) ملازم – أصلي (داخلي)

[حسب القواميس الفلسفية : ما هو موجود وفاعل بذاته السبب الملازم – الأصلي كامن داخل الذات الفاعلة . (عكسه «السبب المتعدي» transitive).

والملازمية موقف فلسفي يعتبر أن المطلق والقيمة مـــلازمان الموجودات الخاصة ، وليسا عاليين – خارقين].

transcendant, transcendantal :

عال – خارق (في بعض التراجم : متعالٍ)

[ما هو خارج (فوق ، وراء) العالم الحسّي ، ما هو عقلي محض : مصطلح شهير في فلسفة كنط . فلسفة كنط مثالية عليا – خارقة ، تؤمن بجواهر فوق الفهم والعقل ، حين يتناولها العقل يقع حتماً في تناقضات].

(١١) المنطق : logique

logique formelle : المنطق الشكلي

[ويقال أيضاً المنطق الصوري. ونذكر بأن formel تفيد أيضاً «قطعي»].

« المنطق هو علم أشكال وقوانين الفكر ».

identité : هوية ، تماثل ، وحدة الهوية ، تماثلها

loi d'identité : قانون الهوية

[المبدأ الأول في المنطق الصوري : «آهو آ» ، سقراط هو سقراط ، الانسان هو الانسان ، الحجر هو الحجر ، الفكر هو الفكر ...]

principe de contradiction ou de non - contradiction :

مبدأ التناقض ويدعى أيضاً مبدأ عدم التناقض .

principe du tiers exclu : مبدأ الثالث المرفوع (أو الممنوع)

[هذان المبدآن تابعان للأول ، يكملانه]

« الهوية » مقولة تعبّر عن حالة موضوع مساوٍ لنفسه . والحال ، إن الطبيعة تجهل « الهويات » الثابتة الجامدة : كل شيء يتغير ، يختلف ، يختلف مع ذاته ، عن ذاته... بتعبير آخر ، الهوية تجريد منطقي ، فلسفي (بالغ الأهمية) . المادية الديالكتية تعترف بهوية عيانية فيها يكون الموضوع (الشيء) مماثلاً لنفسه دون

أن ينفي ذلك تغيّره ، تناقضه الهوية ، التماثل ، موقت، نسبي ؛ أما الحركة ، التغير ، التناقض فمطلق ، دائم .

على الصعيد اللغوي العربي ، نلاحظ أن « هوية » مشتقة من « هوَ » ، والضمير « هوَ » ، يقابل est ، فعل الكينونة (الوجود) والوصف : « زيدٌ هو » (= كائن ، موجود) ، وزيدٌ هو رجل ، أو هو طويل القامة الخ . الأمر الذي يعيدنا إلى الوجود والوجود المعيّن والكيف (الصفة) الخ الارتباط ، التماثل ، بين مفهوم الوجود être ومفهوم الهوية identité ، الذي يؤكده المصطلح العربي (الهوية) له قيمة فلسفية مبدئية ، ابتدائية أساسية .

الوجود – الهوية ضدّ الصيرورة – التناقض : ذلك هو خط الميتافيزيك (ضد بمعنى إلغاء) .

في الديالكتيك (هيراكليت ، هيغل ، ماركس ، لينين) : الصيرورة – التناقض هي المطلق . ولكن الديالكتيك (وبالأحرى الديالكتيك المادي الماركسي) لا يلغي الوجود ، الهوية ، يحتفظ بها ويستوعبها كمقولات ضرورية ، موضوعية ، نسبية . (الصيرورة devenir = وحدة ، تماثل الوجود واللاوجود) . وهو يؤكد مبادىء المنطق الصوري (في الحدود الديالكتية) ، يؤكد مبدأ الهوية (عدم اعطاء معنيين مختلفين لمصطلح واحد في محاكمة واحدة) وعدم التناقض عدم السقوط في التناقض ، الانسجام في التفكير) والثالث المرفوع السعي إلى اعطاء جواب محدّد عن كل سؤال أو مسألة) ولنذكر ان أرسطو ، واضع المنطق الصوري ، كان ديالكتيا إلى حد كبير . ولنذكر قول لينين : الديالكتيك قائم في أبسط حكم ، في أبسط قضية ، مثلاً : الانسان هو فن = الخاص هو العام .

(١٢) concept : مفهوم ; terme : حدّ
jugement : حكم ; proposition : قضيّة
raisonnement : محاكمة ، استدلال

prémisse : مقدمة ; conclusion : نتيجة

preuve : دليل (برهان)

démonstration : برهنة

٢) الحكمْ (مصطلح علم النفس) أو القضية (مصطلح المنطق) – مثلاً : « سقراط (هو) انسان – يتألف من مفهومَيْن أو حدَّين – سقراط؛ انسان – انه ارتباط (وحدة) الحدَّين بواسطة « الرابطة » copule (هُوَ = est) . الحد الأول – سقراط – يدعى الموضوع (sujet) والثاني – انسان – يُدعى المحمول (Prédicat, Attribut) .

[في قواعد اللغة العربية : مبتدأ Sujet وخبر Attribut].

٢) المحاكمة (الاستدلال) تسلسل عدة أحـــكام (قضايا) . نوعاها الكلاسيكيان :

déduction الاستنتاج (الاستنباط)

induction الاستقراء

[امّا الـ analogie فهي « المشابهة »]

الاستنتاج الشكلي (القطعي) = القياس = syllogisme ، مثاله: كل انسان فان ، سقراط انسان ، إذن سقراط فان . يتألف من ثلاث قضايا : مقدمتان ونتيجة . وفيه ثلاثة حدود : كلي أو عام (فان) ، خاص (انسان) ، مفرد أو فردي (سقراط). كل حدّ ظهر مرتين ، أي في قضيتين. القضية – النتيجة موضوعها العلاقة بين الحدين الطرفين أو المتطرّفين extrêmes (الكلي والمفرد)؛ الحد الأوسط ، أو الحد الوسيط (moyen) ، ظهر في المقدمتين واختفى من النتيجة . انه وسيط ، واسطة ، وسيلة (Moyen) .

الاستنتاج بوجه عام : انتقال من حكم إلى آخر ، من مبدأ (أو مبادىء أو مقدمات) إلى نتيجة لازمـــة عنه بالضرورة بعض الكتب تميز : الاستنتاج

المباشر حيث ننتقل من المبدا إلى نتيجة بلا وسيط (يتالف إدن من حدين) ، والاستنتاج غير المباشر أو الموسّط ، حيث يدخل حد وسيط (حد أوسط) ومثاله القياس (الذي حللناه آنفاً) . كتب المنطق المدرسية تميّز : الاستنتاج الصوري (= القياس) ، والاستنتاج الرياضي (طريقة العلوم الرياضية ، حيث يتقدّم البناء العلمي العظيم على أساس اللزوم المنطقي ، من المبدأ (المبادىء) إلى النتيجة) .

الاستقراء : محاكمة ننتقل بواسطتها من المعطيات المفردة إلى قضية تتضمنها ، من الوقائع إلى القانون . حسب أرسطو ، محاكمة ننتقل بواسطتها من الأنواع إلى الجنس (الأوسع ، الذي يشمل الأنواع) . حسب بيكُن Bacon (واضع المنطق الاستقرائي ، الطريقة الاختبارية ...) ، الاستقراء هو الطريقة التي تسمح بالانتقال من الوقائع إلى معرفة القوانين .

الاستقراء هو اذن طريقةُ العلوم الطبيعية ، الاختبارية (التجريبية) ، وبوجه الاجمال ، طريقةُ العلوم التي تدرس الواقع المادي العياني (العلوم الطبيعية والانسانية). ولكنه ليست طريقتها الوحيدة. الاستنتاج (اللزوم المنطقي...) طريقة قائمة في عمل كل معرفة علمية حقيقية . الفلاسفة التجريبيون (بيكُن وآخرون) يضعون الاستقراء فوق الاستنتاج ، الفلاسفة العقليون (ديكارت ، سبينوزا ، لايبنتس) يفعلون العكس . المنهج الميتافيزيكي يعتبرهما طريقتين متعارضتين متنابذتين . الديالكتيك المادي يعتبرهما طريقتين متمايزتين ، غير مستقلتين ، متكاملتين . لولا الاستنتاج لما كان لدينا « رأس المال » لماركس . وطبيعي ان « رأس المال » (والاستنتاج في « رأس المال ») يرتكز على جبال من الوقائع . وسنرى أن لينين يقول أن الاستنتاج والاستقراء يتطابقان coïncident في « رأس المال » .

(١٣) تأمل ، تأمل استدلالي : spéculation

تأمل استدلالي فلسفي فوق التجربة والممارسة نقول « تأمل استدلالي » تمييزاً عن «تأمل» contemplation (تأمل بالمعنى العادي) .

حسب كنط : هذا التأمل – الاستدلالي هو البحث النظري المتوجه نحو ما لا تستطيع التجربة بلوغـه ؛ « إن معرفة نظرية تكون تأملية حين تستهدف موضوعاً أو مفاهيم ذات صلة بموضوع لا يمكن بلوغه بأي تجربة ».

وبدهي أن الماركسية ترفض هذا التأمل – spéculation ؛ لا تعترف إلا بالنظرية (النظر ، théorie ، من theoria اليونانية = لاحظ ، درس ، نظر في) ، في التقابل (في التعارض) وفي الوحدة مـع الممارسة (العمل ، البراكسيس ، praxis) .

لغوياً ، قاموس لاروس الصغير يعلمنا أن كلمة théorie (نظرية) تعارض pratique (ممارسة)، وتعارض أيضاً spéculation .

وبطبيعة الحال ، هـذا المصطلح spéculation ليس له عند هيغل المدلول السيء الذي له في الماركسية المادّية (وفي الرأي العام ، حيث يعني نوعـاً من مضاربة فكرية في بورصة العقل).

théorie : نظرية

[منظومة من الأفكار المرشدة في فرع من فروع العلم والمعرفة؛ تعميم التجربة الانسانية ؛ مجموع المعارف عن الطبيعة والمجتمع ، المراكمة خلال التاريخ . في الماركسية ، الممارسة هي محك النظرية ، معيار صوابها وحقيقتها . التجريبية تنفي النظرية . الدوغمائية تفعل العكس : النظرية تغنيها عن النظر الدائم إلى الواقع ، فتتحوّل على يدها الى شيء ميت] .

-٣-
الفلسفة ، مذاهبها

(١) الفلسفة

موضوعها تغيّر خلال التاريخ . وهو يختلف من فيلسوف الى آخر ، من مدرسة الى أخرى . في الماركسية ، انها دراسة القوانين الأعم للطبيعة والمجتمع والفكر ، وهي طريقة وأداة المعرفة العلمية والتحويل العملي الثوري للعالم .

المسألة الأساسية أو العليا في الفلسفة هي **مسألة العلاقات بين الوجود والفكر** ، بين الطبيعة والروح ، بين العالم المادي والوعي . هذه المسألة قسمت الفلاسفة الى معسكرين كبيرين : المادية matérialisme ، والمثالية idéalisme .

موضوع « **نظرية المعرفة** » هو قدرة الانسان على معرفة الواقع (على اكتشاف الحقيقة) ومسألة مصادر المعرفة والأشكال التي ترتديها عملية المعرفة . فضلاً عن انقسام الفلاسفة الى ماديين ومثاليين (وهو الانقسام الذي يظهر في نظرية المعرفة أيضاً) ، يمكن أن نتميّز ، في فترة ما على الأقل ، تياراً تجريبياً empirisme وتياراً عقلانياً ratimalisme ، حسب الدور المعطى للتجربة الحسّية وللعقل في مسألة مصادر المعرفة .

ولا بدّ أن نميّز منهجين (طريقتين) في البحث (وتصورين للكون) : **ميتافيزي و ديالكتي** (جدلي) . وهما منهجان متعارضان الثاني قوامه ترابط الأشياء ؛ التغير (الصيرورة ، الحركة ، الولادة والموت) ، والتناقض في صلب الأشياء ، الأول مذهب السكون والانفصال واللاتناقض .

الماركسية مادية ديالكتية (وتاريخية) ؛ انها وحدة المادية والديالكتيك وحدة عضوية لا تنفصم .

المنطق – علم قوانين وأشكال الفكر – هـو جزء من الفلسفة ، مميَّز . مأخوذاً بمعناه الكامل ، انه يتطابق مع نظرية المعرفة المادية الجدلية التاريخية .

(٢) المادية والمثالية

١) المادية تؤكد مبدئياً أولوية (وأسبقية) العالم المادي، الوجود، الطبيعة، على الفكر ، الروح ، الوعي : العالم المادي ، الوجود ، الطبيعة ، معطى أول ؛ الفكر ، الروح ، الوعي، معطي ثانٍ . الفكر ، الروح، الخ ، جزء من الانسان؛ الانسان جزء من الطبيعة ، نتاجها ؛ الفكر نتاجُ الدماغ (أو بترجمة عربية أدق: نتاج المخ) ، انعكاسُ العالم المادي – الموضوعي في دماغ الانسان ، على أساس ممارسته ، فاعليته المادية . الطبيعة أقدم (من الانسان) ، من الفكر ، من الروح . العالم « قديم » ، لم يُخلَق .

الدين مثالية شعبية . مثالية افلاطون تعتبر أن هناك عالماً أعلى هو عالم الأفكار (المثل idées) وهو الوجود الحق ، أما الأشياء فهي ظلال وانعكاسات باهتة لهذه الأفكار (المثل). مثالية هيغل تؤمن بوجود « فكرة » مستقلة عن البشر ، فوقهم وفوق الطبيعة ، وان الطبيعة (والانسان) انبساط لهذه « الفكرة » ، مرحلة من مراحل تطورها الديالكتي .

٢) في المادية الفلسفية الماركسية ، المادة هي الواقع الموضوعي الذي تقدّمه لنا حواسنا. بتعبير آخر: إن حواسّنا تقدم لنا واقعاً ، والمادية الفلسفية (ومعَها الاعتقادُ العام للبشر) تؤكد ان هذا الواقع المقدّم لنا في الحواس (أي هذا الواقع الحسّي ، المحسوس ، القابل لأن يُحَسّ sensible) هو واقع موضوعي ، موجود بصور مستقلة عن حواسنا ومعرفتنا ، موجود حتى لو لم نحسّه ، حين لا نحسّه ، قبل أن نحسّه مفهوم « المادة » الفلسفي (مقولة « المادة ») لا يعني شيئاً آخر (سوى موضوعية العالم الحسّي)وهو يشمل اذن ما يسميه علم الفيزياء « المادة » (وقوامها الذرة) وأيضاً الكهرباء (الالكترون) والضوء (الفوتون)[مرة ثانية نقول: الأشياء، الشمس ، الأرض، النبات، جسد الانسان، الموجات الكهرطيسية الخ هي

الواقع الموضوعي . الإحساس ، الادراك ، الصور ، الأفكار ، المفاهيم الخ واقع ذاتي . هذا المعطى الثاني انعكاس عن الاول] .

المثالية الذاتية (بركلي Berkeley) تعترض على هذا الموقف المشترك للمادية ولاعتقاد البشر وغالبية الفلاسفة (موضوعيه المنبّه في عملية الاحساس ، موضوعيه العالم المحسوس = المادة). في نظرها : لا وجود للمادة ، إن احساساتنا ليست انعكاساً عن الأشياء ، عن أشياء ، «الاشياء» لفظ (مقبول ، وهي تقبله) نطلقه على إحساساتنا ؛ « الاشياء » هي هي احساساتنا . هذا المذهب -مذهب بركلي- يُدعى (وقد دعاه صاحبه) « لا مادية »، إلغاء المادة، immatérialisme وهو يُدعى — مع مذهب فيخته — «مثالية ذاتية »، لأن الوجود هنا ليس سوى امتداد للذات .

مثالية هيغل تدعى **مثالية موضوعية** لأنها تمنح الفكرة (والروح) ، فكرتها المطلقة (روحها المطلق) ، صفة وجود موضوعي ، مستقل عن الفرد ، وعن الانسان . وتدعى أيضاً **مثالية مطلقة** . بالطبع ، انها تؤمن بموضوعية العالم الحسي («الطبيعة»)، الذي تجعله جزءاً من هذه الفكرة - الروح ، حلقة بينها ، موجودة ، موضوعية ، ضرورية .

٣) المادية تؤكد أن العالم خاضع لقوانين، وان معرفة هذه القوانين ممكنة . محك المعرفة ، معيار حقيقتها (= توافق المعرفة وموضوعها)هو الممارسة الانسانية (العمل ، الصناعة ، تجارب العلماء ، مطابقة النتائج على التوقعات) .

بالمقابل ، حسب **كنط** ، لا نعرف إلا عالم الظاهرات ، الأشياء كما تظهر لنا ، « الأشياء لنا » ؛ وراء هذه الظاهرات عـــالم « الأشياء في ذاتها » التي لا يمكن معرفتها كنط يؤكد اذن وجود « أشياء في ذاتها » (وهذا وجه موضوعي ومادّي في مذهبه) ولكنه يؤكد استحالة معرفتنا لها : عالم الظاهرات (الذي نعرفه أو يمكن أن نعرفه) هو التقاء بين عالم « الأشياء في ذاتها » (عالم الوجود الموضوعي) وبين فهمنا وحواسنا وعقلنا وتكوينه الخاص ، مبادئــه القبْلية ،

قوالبه الخاصة الذاتية ، مثلاً : المكان والزمان ،السببية .. المكان والزمان الخ صفات ذاتية للعقل ، وليست صفات للواقع الموضوعي (مثالية ذاتية) . أداة المعرفة (عقلنا ، فهمنا ، حواسّنا ...) هي أيضاً حاجب ، فاصل ، الذات تعدّل وتشوّه موضوعها في المعرفة .

هيوم (وهو أقدم من كنط بقليل) يدفع هذا الموقف إلى **الشك** في وجود شيء ما وراء الظاهرات. عنده ، « الظاهرة أكلت الماهية subsance » .

كنط وهيوم = **مثالية ذاتية** (مختلفة عن بركلي ، وعن فيخته) . وهي أشدّ عند هيوم ، وأكثر انسجاماً ؛ و **لا أدرية** agnosticisme (من لا أدري ، لا أعلم) أشدّ عند هيوم .

المادية **الديالكتية** تؤكد وجود العالم الموضوعي المادي، تؤكد وجود« الاشياء في ذاتها » ، ترفض فكرة الاشياء في ذاتها التي لا يمكن معرفتها ، تؤمن أن موضوع المعرفة غير محدود (غير محدود في العمق) ، وان عملية المعرفة غير محدودة (تنتقل من مستوى إلى مستوى أعمق).

٤ – المثالية الشعبية تؤمن بوجود ماهيّتين : مادة وروح . هذه **الثنائية** في الفلسفة هي موقف **ديكارت** وخلفائه (وباشكال متنوعة ، موقف عدد كبير من الفلاسفة) هؤلاء يؤكدون وجود مادة (وجسد)صفتها الامتداد أو الامتداد والحركة ، وماهية روحية صفتها الفكر (التفكير) . أما المادية فهي التصور العلمي للعالم بدون أية اضافة غريبة (انجلز) ، وهي تؤكد أن وحدة العالم هي « في ماديّته » (انجلز).

٥ – الانقسام بين مادية ومثالية يظهر أيضاً في المنطق (علم اشكال وقوانين الفكر) . المثالية تفصل هذه الأشكال والقوانين عن العالم الموضوعي المادي ، تربطها أو تُلحقها بصفات فطرية ومبادىء قبْلية للعقل الماركسية تعتبر أن « أشكال وقوانين الفكر » هي أيضاً انعكاس عن الواقع الموضوعي ، عن روابط العالم المادي (روابطه الأعمّ) . وطبيعي أن فلاسفة من طراز

ارسطو (مؤسس المنطق) وهيغل (مؤسس المنطق الديالكتي ، وصاحب المذهب المثالي الموضوعي والمطلق) هم أقرب إلى الماركسية الجدلية - المادية من سائر المثاليين الذاتيين وطائفة من الفلاسفة المتنوعين .

(٣) الديالكتيك والميتافيزيك

١) ديالكتيك (الجدل ، الجدلية ، بالمذكر أو المؤنث) كلمة مشتقة من dialego اليونانية ومعناها حوار ، جدل . فالديالكتيك عند الفلاسفة الاغريق هو فنّ اكتشاف الحقيقة بواسطة المناقشة ، عن طريق إظهار واستبعاد تناقضات الخصم . فلاسفة اليونان كانوا ديالكتيين بالفطرة. وعلى الرغم من أن الديالكتيك عند غالبية الفلاسفة اليونان ، وبحكم تعريفه الآنف ، هو شيء في الفكر ، إلا ان صلته بالواقع الموضوعي لا شك فيها ، وبالتالي فان عناصر من الديالكتيك - بالمعنى الحديث ، الهيغلي - الماركسي - موجودة عند فلاسفة اليونان (ماديين ، سفسطائيين ، مثاليين ، ريبيين) . وبحق يعتبر الماركسيون هيراكليت ، المادي الكبير ، سلفَ المادية الديالكتية : كان يؤكد ان الأشياء موجودة وغير موجودة لأن كل شيء يجري (يمضي) ، يتغير دائماً ، كل شيء يولد ويموت ، ينشأ ويزول ؛ العالم صراع المتضادات .

ولقد احتجبت الديالكتيك - مذهب الحركة والتناقض - في فلسفة العصور الوسطى الأوروبية ، حيث ساد مذهب ثبات وجمود الأشياء . ولكن هناك عناصر من الديالكتيك عند طائفة من الفلاسفة العرب ، مثاليين وماديين (الغزالي ، ابن رشد .) .

في الفلسفة الأوروبية الحديثة ، تظهر هذه العناصر عند ديكارت ، لايبنتس ، سبينوزا ، ديدرو ، كنط ، رغم أن التصوّر الأساسي ظلّ ميتافيزياً (مذهب الجمود والانسجام ، الحركة في شكلها الميكانيكي وحسب). ولقد مهّد تقدّم العلوم (ديكارت : الهندسة التحليلية ، لايبنتس ونيوتن : تحليل النهايات

الصغرى ، كنط : النظريـة الطبيعية للسماء ، لومونوسوف ولافوازيه : حفظ المادة والحركة) لسقوط هذا المنهج الميتافيزي ، الذي وجهت له ضربة جذرية الاكتشافاتُ الأحدث : النظرية الخلَـوِيّة للمادة الحية ، مذهب تحوّل الطاقة ، مذهب تطور الأنواع الحية) . هيغل ، على قاعدة هذا التطور الباهر للعلوم (بما فيه إذن نشوء البيولوجيا . + التاريخ ، الاقتصاد السياسي)، وعلى قاعدة عصر التناقضـات والتطور والصراع والانهيارات (زمن الثورة الفرنسية والحروب النابوليونية والانقلاب الصناعي ...) ، أسس الديالكتيك الحـــديث ، – ديالكتيك الواقـــع نفسه ، الديالكتيك الموضوعي – ، وإن شوهه وصوّفه بالمثالية. ماركس نزع المثالية والصوفية ، قلب الديالكتيك المثالي إلى ديالكتيك مادي (= مادية ديالكتية) ، أسس المادية التاريخية ...

٢) في المنهج - المذهب الديالكتي : الكون (العالم المادي ، عالم الأشياء : الطبيعة ، المجتمع ، وأيضاً الفكر) مترابط ؛ ليس تراكماً لظواهر عرضية . وهو في حركة ، تغير ، صيرورة ؛ هذه الحركة ليست حركة تكرارية ، بل هي تطور – نمو – تقدّم (التكرار جزء ، وجه ؛ التراجع ، الانتكاس ، جزء ، وجه) ؛ التغير ليس كمياً وحسب ، بـل إن تراكم التغيرات الكمية يفضي إلى تغيرات في الكيف (في الصفة ، في النوع ، في الطبيعة ، في الهوية الجوهرية) ؛ اذن يولد جديد ويموت قديم ؛ هناك قفزات (وانفجارات وانهيارات) تقطع التطوّر المتدرّج (ترتبط به ، تنبع منه) ، هناك انقطاعات في التواصل ؛ كل شيء نسبي ، متغير (اذن تجريد الحركة مطلق) . منبـع هذه الصيرورة ، دافعها ، محرّكها ، المحتوى الداخلي للحركة ، أي للشيء المتحرّك،هو صراع الضدّين ، التناقض في صلب الأشياء ؛ الحركة (التغير ، التحوّل ، الصيرورة) هي تناقض، هي وحدة (وتماثل) الوجود واللاوجود ، الـ « هو » و الـ « ليس » ؛ كل شيء (وكل مفهوم ، كل مقولة) يحمل في ذاته نفيه ؛ سلبه ، هذا النفي هو المدمر – المنشىء ، العصبُ المحرّك للواقع (وللمعرفة) . الديالكتيك هي جبر (علم جبر algèbre) الثورة

الميتافيزيك هو المنهج والمذهب المعارض ، المعاكس ، للديالكتيك: انفصال الأشياء (تراكمها العرضي) ؛ السكون ، الجمود ، أو الحركة التكرارية فقط ، أو التغيرات الكمية فقط أو التدرج والاتصال فقط ، أو الحركة البسيطة (الحركة بالمعنى المألوف ، حركة انتقال الشيء في المكان) فقط ؛ مبدأ الهوية ضد التناقص في صلب الشيء ، تعارضات مطلقة صلبة بين المفاهيم ، تنابذ الضدين وحسْب

٣) الديالكتيك بذوره واضحة عند هيراكليت (ديالكتيك مادي) ، وجزئياً عند سلسلة لا حصر لها من الفلاسفة القديمين والحديثين (والديالكتيك ، نوعاً ما وجوهرياً ، يلازم كل فكر انساني ، كل معرفة انسانية : كل حكم ، كل ربط ، هو تأكيد وحدة هوية ، تماثل هوية ، المختلفات ، المتضادات . تبقى مسألة وعي هذا الأمر ، ووعي الديالكتيك) ولكن الديالكتيك لا يكتمل جوهرياً إلا عند هيغل (ديالكتيك مثالي) وبالأحرى عند ماركس ، لينين ، ماوتسي تونغ. سنرى نواقص ، نواحي القصور ، في ديالكتيك هيغل وبالأحرى في ديالكتيك هيراكليت

٤) للديالكتيك والميتافيزيك نظرتان متعارضتان من المنطق الصوري .

° المذهب الميتافيزي يكتفي بالمنطق الصوري ، « يطلقه » (يجعله مطلقاً كافياً للفكر ، للمعرفة) ، «يطلق» مبدأ الهوية (وعدم التناقض والثالث المرفوع) ، ضد التناقض في الأشياء ، في الوجود الحقيقي المادي ، في الحركة (التي أحياناً يعي ويعلن صراحــة أنها = تناقض) ، يقيم المثالية ، يخصي أرسطو من الديالكتيك ، يقصّر عنه وهو يتشدّق به (فلسفة العصور الوسطى الغربية) .

الديالكتيك وبشكل أقوى : الديالكتيك المـادي ، ماركس ، انجلز ، لينين يؤيد بجزم ، بلا تحفظ ، قوانين المنطق الصوري ، في الحدود الديالكتية وبالمعنى الذي أوضحناه آنفاً (ضد الاختلاط والخلط ، مع اشتراطات الانسجام والتلاحم والاتســاق في التفكير ، كاشتراطات مطلقة !) ؛ وينتقل في هذا الاطار نفسه (إطار منطق أرسطو) إلى ادراك (إلى القبض على) الديالكتيك

في الحكم ، في الحاكمة ، في وظائف العقل ، في المعرفة ؛ ويسير قدماً ، ديالكتياً وتاريخياً ، مقيماً وحدة المنطق كله (المنطق الصوري والديالكتيك ، المنطق الديالكتي) ديالكتياً ، ووحدة المنطق – نظرية المعرفة *

٥) الميتافيزيك هو المنهج المذهب المعارض للديالكتيك . بيد أن « ميتافيزيك » (ميتافيزياء) تستعمل أيضاً بمدلول آخر ، هو المدلول المدرسي الكلاسيكي : ما وراء الطبيعة (وكلمة ميتافيزياء = ما وراء الطبيعة ، ما بعدها ، ما فوقها) . في بعض الكتب ، الميتافيزيك هي « الفلسفة العامة » التي تدرس : الروح ، الله ، النفس وخلودها ، المادة ، الضرورة والحرية والتعيين (الحتمية) والعرَض الخ . هذا التعادل (الميتافيزياء = ما وراء الطبيعة = الفلسفة العامة) تعادل مثالي . المادية تنبذ « ما وراء الطبيعة » (= مثالية) ، ترى ان الفلسفة تدرس «الطبيعة» ، فالطبيعة ليست الظاهرات والظواهر فقط ، بل هي أيضاً الجواهر والماهيات والقوانين والضرورة والحتمية والعرض ، والفكر ، والروح (نتاج « الطبيعة » ، انعكاس الوجود) .

بطبيعة الحال ، في مؤلفات الماركسية الكلاسيكية ، نجد مصطلح « ميتافيزيك » بهذا المعنى الآخر (الفلسفة العامة) أياً كان اتجاه هذه الفلسفة العامة (مثالياً أو لا) .

(٤) التجريبية والعقلانية

١) التجريبية empirisme مذهب فلسفي يرى في التجربة الحسية المصدر الوحيد للمعرفة .

هناك : آ) تجريبية مثالية : (بركلي ، هيوم ، وامتدادهما : فلسفة

(*) يقول لينين في «الدفاتر الفلسفية» : «المنطق ، الديالكتيك ، نظرية المعرفة للمادية ... هذا شيء واحد » .

التجريبية النقدية - ماخ ، آفيناريوس ، وتلامذتها الروس — وبعض الفلاسفة الحاضرين) وهي تخفض « التجربـــة » إلى جملة الاحساسات والصور (التمثيلات) ، وتنفي (أو تشكّ في) أن التجربة الحسية لها كأساس الطبيعة المادية الموضوعية (مثالية ذاتية)

ب) **تجريبية مادية** (بيكُن Bacon ،هوبز Hobbes ، لوك Locke ، الماديون الفرنسيون في القرن الثامن عشر : هولباخ ، هِلفِيسيوس) . وهي ترى أن أساس التجربة الحسية هو موضوعات الطبيعة المادية ، أي ان الاحساسات، الادراكات ، الصور الخ تنقل هذه الموضوعات (مادية ،موضوعية .. التجربة الحسية ، احساساتنا ، هي دليل أو برهـــان وجود المصدر المادي الخارجي . وعند بعض هؤلاء الفلاسفة التجريبيين الماديين - مثلاً الماديـين الفرنسيين — : ما لا يدخل في التجربة الحسية ، ما لا يؤثر في الحواس - اذن الماهية الروحية — ليس موجوداً)

المادية الديالكتية (الماركسية) ترفض التجريبية المثاليـة ، تتبنى صواب التجريبية المادية ، نابذةً حدودَها وضيقها ، مؤكّدة أهمية العقل ، المفاهيم ، النظريات والتجريدات (العلمية) . المعرفة ارتقـــاء من التجربة الحسية إلى التعميم généralisation [*] . الممارسة هي فاعلية ، انتـــاج (وليست محض « تجربة حسية » بسيطة عادية) . عملية المعرفة ليست إحساساً واستقبالاً وتلقياً للمنبّهات، المؤثرات. انعكاس الواقع (الموضوعي) في المعرفة (الذاتية) يتحقق على أساس فاعلية الانسان ، عمله ، ممارسته . المادية التجريبية ردّ على المثالية ، قاصر. (وانجلز يعطي بعض الحق لهيوم ضد المادية الساذجة، التجريبية ضد الاعتقاد العام للبشر) . نظريةُ الانعكاس المادية (الأفكار انعكاس الواقع الموضوعي في دماغ الانسان) غير مسوّغـة ، غير مؤسّسة ، بدون الفاعلية

(*) لا وجود للمعرفة لولا وجود التجربة الحسية ، الحواس . ولكن لا وجود للمعرفـــة بالحواس وحدها (لولا وجود التعميم ، «العقل » ؛ والعمل ، لولا الانسان العامل — العاقل) .

الانسانية المادية الحسية (انتاج منتوجات – نتائج ماديـــة ، مطابقة النتائج للتوقعات) الانسان كائن فاعل – عارف ، عامل (صانع) - عاقـــل ، « بحكم التعريف » (الماركسي) .

عند ارسطو ، المبادىء العلمية هي نتاج التجربة والعقل عند **الابيقوريين** (وهم فلاسفة ماديون) التجربة وحدها . عند **لوك** – وهو يعتبر زعيم الفلسفة التجريبية الانكليزية ورائدها (بعد بيكُن . ولكنه هو الذي بلورها كفلسفة عامة ، كميتافيزياء ، ضد ديكارت – والعقلانية الفرنسية - الذي سبقه بقليل) - إن أصل أفكارنا هو التجربة فقط ؛ ولكن التجربة نوعـــان : « خارجية » و « داخلية » ولوك يدعو هـــذا الادراك لـ « نشاط النفس الداخلي » التفكير réflexion ، ويعتبره نوعاً آخر من المعرفة ، مستقلاً عن التجربة الماديـــة . هـــذا التساهل مع المثالية ، هذا النزوح نحو المثالية (بل المثاليـــة الذاتية) من جانب من يُعتبر رائـــد التجريبية ، يكشف قصور التجريبية ، عجزها ، أزمتها . عند لايبنتس (وهو من الفلاسفة العقلانيين ، بعد ديكارت)، التجربة تسمح لمبادىء فطرية لاواعية (لم يعيها الانسان بعـد) أن تترجم إلى ادراكات فكرية واضحة وواعية لايبنتس يحاول إذن أن يستوعب التجريبية داخل العقلانية وعلى أساس العقلانية ومذهبها عن الأفكار الفطرية .

٢) العقلانية أو العقلية rationalisme مذهب يرى أن العقل الانساني ، بصورة مستقلة عن التجربة ، يمكن أن يصل إلى الحق (إلى الحقيقة) ، أو أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة الصحيحة .

العقلانية – كتيار فلسفي تاريخي - تعارض التجريبية ، تضع العقل ضد الحس والتجربة (وهذا من قِبَلها موقف أحادي الجانب ومغلوط) ، وهي تقيم العقل ضد « الوحي » (وهذا موقف سليم ، نضالي ، حمله ديكارت والعصر الحديث ضد العصر الوسيط واللاهوت) ، وتقول بوجود مبادىء للعقل توجّه المعرفة هي مبادىء أو أفكار فطرية (innés) وقبلية (a priori ، سابقة

للتجربة ، لكل تجربة). ديكارت رائد وزعيم هذا التيار الفلسفي الذي تواصل بعده . سبينوزا ، لايبنتس ، كنط ، هيغل ، يمكن اعتبارهم فلاسفة عقليين ، بمعان مختلفة ولكنهم سعوا جميعاً، بأشكال مختلفة ، إلى تجاوز أحادية الموقف العقلي ، إلى « أخذ » التجربة . هيغل (الديالكتيك) وحده حقق جوهرياً هذا التجاوز (وإن أربكه وشوّهه بالمثالية).

بعض الماركسيين وصفوا الماركسية بأنها عقلانية حديثة ، عقلانية مادية ، عقلانية مادية جدلية ...

العقلانية - كموقف فلسفي ، كتأكيد على العقل (وكتبيان الحدود البالغة الضيق للمعرفة الحسية) - يمكن أن تكون مادية، مثالية ، ثنائية (أي مثالية في « المسألة العليا للفلسفة » ، مسألة الوجود والأصل والأولية) الخ . ولكن نظرية « الفِكَر الفطرية » (ديكارت ، خلفاؤه) هي مثالية .

(٥) الماركسية مادية ديالكتية . انها إذن تتميز عن (وتتعارض مع) اشكال المادية الاخرى : الميكانيكية ، العفوية ، الساذجة ، مع المادية السابقة (السابقة للماركسية) ، مع المادية المبتذلة (المزامنة واللاحقة) . فلنتعرف (بشكل أولي بسيط) على معنى هذه المصطلحات

آ) المادية الميكانيكية . أحد أشكال ، احدى مراحل المادية . هذا المذهب يفسّر ظاهرات الطبيعة بقوانين الميكانيك ، يخفض كل العمليات الطبيعية المختلفة كيفاً ونوعاً (الكيميائية ، البيولوجية ، النفسية) إلى مستوى عمليات ميكانيكية . هذا المذهب ينظر إلى الحركة في شكلها الأبسط وحسب ، في معناها العامّي : انتقال أو نزوح الأجسام في المكان ، تحت تأثير فعل خارجي ، تحت تأثير تصادم الأجسام . انه اذن لا يرى أو ينفي الحركة الداخلية للاشياء ، التغيّر في الكيف ، القفزات ، التطور من الأدنى الأعلى . ديموقريط ، هوبز ، ديكارت ، سبينوزا ، ماديو القرن الثامن عشر الفرنسيون والانكليز ، ينتسبون بشكل وآخر ، بشكل بدائي أو مطوّر ، إلى المادية الميكانيكية .

هذه المرحلة في تاريخ المـادية تفسّر (جزئياً ، على الأقل ، بكون العلوم المتقدمة في ذلك العصر السابق للماركسية ولهيغل هي الميكانيك والرياضيات (خصوصاً الهندسة ، ولقد وجّه ظهور وتقدم الكيمياء ، البيولوجيا ، نظرية التطور ، الجيولوجيا ، الخ*ضربة كبيرة للنظرة الميكانيكية إلى العالم (ولكن المادية الميكانيكية لم تمت كليـاً ، وقد ظهرت وتظهر مؤثراتها عند بعض الماركسيين)

ب) المادية العفوية تصور ماديّ عفوي (غير واع)للطبيعة ولهـذا المصطلح صلة بـ « مادية علوم الطبيعة » (علماء الطبيعة ماديون ، عفوياً ، حتى إذا لم يعوا انهم ماديون ، ماديون بحكم طبيعة عملهم) و بـ « الواقعية السـاذجة » أو « المادية الساذجة » وهي موقف الفلاسفة اليونان الأوائل ، وغيرهم . هذه المادية العفوية، الساذجة ، الخ قاصرة عن ردّ هجوم بركلي، هيوم ، كنط.

حـ) المادية السابقة ، للماركسية) : كانت ميتافيزيـة لا ديالكتية ، وميكانيكية ؛ لم تر الممارسة (الفاعلية الانسانية المادية) ودورها في المعرفـة [إن الجانبَ الفاعل ، على حد قول ماركس في اطروحاته عن فويرباخ ١٨٤٥ ، قد أنمته (بسطته ، طوّرته) المثالية فيخته ، هيغل ، وآخرون] ؛ لم ترَ ان الانسان هو جملة العلاقات الاجتماعية ؛ كانت مثالية في نظرتهـا إلى التاريخ (ماديّة القرن الثامن عشر تفسّر التاريخ بدور الأفكار ، وحسْبُها كمادية ان تعتبر الأفكار نتاج الدماغ المادي ، كانت اذن بعيـدة كل البعد عن المادية التاريخية ، عن مبادئها الأولية)

الماركسية سدّت هذه النقائص المتكاملة . انها مادية ديالكتية وتاريخية

د) المادية المبتذلة تيـار فلسفي ظهر في اواسط القرن التاسع عشر في

(*) ونضيف : تقدم المجتمع البرجوازي (وصراعات العصر الاجتماعية والسياسية) ، نمو دور الفاعلية الواعية الهادفة ، نظريات أو فلسفات التاريخ ، ظهور علم الاقتصاد البرجوازي ، تلمس الأدباء حقيقة أن « الحياة » ليست ميكانيك ...

المانيا ممثلوه بشنر Büchner ، فوغت Vogt ، مولشوت Moleschott .

هي أسوأ أشكال المادية ، امتداد وخصوصاً انحطاط للمادية السابقة ، الميتافيزية الميكانيكية (في زمن ظهرت فيه الماركسية ، وتقدّمت وتنوّعت فيه العلوم) هؤلاء الفلاسفة أصحاب الجملة المشهورة : « الدماغ يفرز الفكر ، كما يفرز الكبد الصفراء » (في الماركسية : الفكر نتاج الدماغ ، انعكاس الواقع ، المجتمع ، الطبيعة ، في دماغ الانسان ، على أساس الفاعلية المادية الانسانية – الاجتماعية ، وكجزء منها) . هذا الموقف هو في أكثر من نقطة تراجع عن مادية القرن الثامن عشر . المادية المبتذلة ترفض الديالكتيك ، تنفي الدور الفاعل للفكر ، تتمسّك بالتصوّر الميكانيكي ، (تضيف معطيات فيزيولوجية ، بيولوجية) ، تقيم علامة المساواة بين قوانين المجتمع وقوانين الطبيعة ، تعلن ان المناخ أو الغذاء يقرّر طريقة تفكير الانسان ، تربط الطبقات والتفاوت الطبقي بالوراثة البيولوجية الخ الخ (في تشكيلات متنوعة ، ومتشابهة) .

- ٤ -

أهم الفلاسفة

(عرض تاريخي)

هذا التعريف الأولي المبسّط بالفلسفة ومسائلها ومدارسها يتيح لنا ان نستعرض أهم الفلاسفة بشكل مختصر ومبسّط ، كتمهيد لدراسة مؤلف لينين . نفضّل هذا العرض المسلسل تاريخياً على تعريف كل فيلسوف عند ورود اسمه في نص لينين .

ولنقل ان تطور الفلسفة يرتكز على تطور المجتمع البشري وصراعاته الطبقية، وعلى تطور العلوم . هذا الارتباط الوثيق لا ينفي الاستقلال النسبي لتاريخ الفلسفة . وغني عن البيان ان الفيلسوف يستند إلى ما قبله ، إلى تاريخ الفلسفة . ولا ينفي بشكل مطلق سعي الفيلسوف وراء الحقيقة أو الحقيقة المطلقة ، زعمَه ، جانبَ الصواب في هذا الزعم

الماركسية في خدمة البروليتاريا ونضالها الثوري ضد البرجوازية وعالمها . ولا ريب ان ديكارت، لوك ، سبينوزا ، كنط هم (بشكل وآخر) مع البرجوازية ، مع الصعود البرجوازي ضد الاقطاعية والعصور الوسطى ومزاعم اللاهوت؛ لنقل انهم (وسواهم)، في أدنى احتمال، يدخلون في إطار هذا الصراع البشري الكبير العريض ، الذي له خط عريض ، والمتنوّع ، البالغ التنوّع ؛ فلاسفة القرن الثامن عشر الفرنسيون الماديون ونصف الماديين يهيئون الثورة الفرنسية ، صراحة وبشكل واعٍ إلى حد كبير بركلي ، صراحة ، في الاتجاه المعاكس. ولكن ليس كلُّ الذين كانوا تقدّميين في الفلسفة كانوا « تقدميين » في السياسة ومن الخطأ ان نتصوّر مثلاً أن الفلاسفة الماديين الاغريق كانوا بالضرورة ممثلين للعبيد ، أو للديمقراطية (هيراكليت ، المادي الجدلي ، كان بالعكس !) . ولا شك أن العصر الحديث ، وعصر ما بعد ماركس ، وما بعد لينين ، يعزّز الطابع السياسي

للفلسفة : إن «تحويل العالم» (وعدم تحويله) بات في أمر اليوم للبشر وللفلاسفة

وبدهي أن غرضنا من العرض اللاحق ليس دراسة هذه المسائل البالغة الأهمية ؛ وليس تقديم صورة وافية أو كافية عن تاريخ الفلسفة ، بل هو تعريف القارىء بالفلاسفة الذين ورد ذكرهم في مخطوطة لينين (وفي أهم مؤلفات ماركس، انجلز ، لينين ، الفلسفية) ، وتعريف القارىء تعريفاً أولياً بسيطاً بتاريخ الفلسفة يكون بالنسبة له اطاراً يساعده في مطالعاته الفلسفية الماركسية بوجه عام.

فيما عدا الشرق الأدنى القديم ، والهنود ، والصينيين ، ينقسم تاريخ الفلسفة إلى : الفلسفة اليونانية القديمة (وروما « تابعة » لليونان) ، الفلسفة العربية والأوروبية في العصور الوسطى ، الفلسفة الأوروبية الحديثة (بدءاً من القرن السادس عشر).

A ـ الفلسفة اليونانية القديمة

المرحلة الاولى (القرن السادس قبل الميلاد) .

المادية ممثلة بمدرسة ميليت Milet ومدرسة افسس Ephèse ، في شكل **مادية ساذجة** ضدها : مدرسة فيثاغور ، ومدرسة مدينة ايليه Elée .

١) **فلاسفة مدرسة ميليت** : طوّروا عناصر من علوم الطبيعة أخذوها عن شعوب الشرق الأدنى ، قاموا ببعض الاكتشافات في الهندسة ، الجغرافية ، الفلك ، نفوا أن يكون العالم من إبداع الآلهة ، تلمسوا وحدته وتنوعه ، تلمسوا أنه مادة في حركة ، رأوا أساسه في مادة ما (في عنصر ما) أو في عدد من المواد (الهواء ، الماء ، مادة غير معينة عامة ، النار أشهرهم طاليس Thalès (وهو أقدم الفلاسفة) ..

(٢) أشهر **فلاسفة مدرسة إفسس هو هيراكليت « الغامض »** ، والمعروف أيضاً بـ هيراكليت إفسس

هيراكليت (٥٤٠ – ٤٨٠ ق. م.) : أحد مؤسّسي الديالكتيك ؛ سلف او جدّ المادية الجدلية .

كان يقول : « ان العالم واحد ، لم يخلقه أي اله ، ولا أي إنسان ؛ كان وهو وسيكون شعلة حية أبداً ، تحترق وتنطفىء حسب قوانين محدّدة » . النار عنصر كل الاشياء ، القوة الأولى، المادة الأولى، تتحول إلى ماء وتراب (وبذلك الواحدُ يصير المتعدّد) . النار تنطفىء ، تموت ، بصيرورتها ماء وتراباً . هذا هو الطريق النازل . ولكن الطريق النازل والصاعد واحد... العالمُ يتألف من أضداد متصارعة : « بارد – ساخن ، ساخن – بارد ؛ رطب – جاف ، جاف – رطب » . ان وجود ضدّ يعيّن (يحدّد ، يقرّر) وجود ضد آخر . « المرض يجعل الصحة شيئاً محبّباً » . الاضداد متصارعة ، وتصارعها منبع التغيّر والحركة . « كل شيء يحصل خلال صراع وبالضرورة » وهذه الضرورة الخاصّة بالماهية المادّية يسمّيها هيراكليت « لوجوس » logos . [[= رَبْط ، عقْل ، العقل . (في اليونانية وفي العربية ، « العقل » من الرَبْط ؛ عقَل = رَبَط . بخلاف الفرنسية : raison من ratio اللاتينية وتعني أصلاً : عدّ ، حسَبَ) . عند افلاطون ، فيلون الاسكندري ، الافلاطونية – الجديدة ، اللوجوس ينقلب مثالياً : انه الله مصدر الأفكار ، أو وسيط بين الاله والعالم ، أو شكل من أشكال الألوهية ، أو مبدأ أعلى – خارق الخ ، أو « الكلمة » التي « في البدء كانت ؛ والكلمة كانت الله » . المادية الجدلية تثمّن المصدر اللغوي والأصل المادي الهيراكليتي لـ « اللوجوس » . ولا بأس أن نذكر أن logique (المنطق) مشتقة من logos (العقل) ، كما أن « المنطق » مشتقة من النطق (الانسان حيوان ناطق أي عاقل)]] .

رغم ذلك ، رغم وضوح الصيرورة ، الحركة ، التناقض ، صراع ووحدة

الأضداد (بل رغم كونها جوهر مذهب هيراكليت *.) ، فإن **فكرة النمو – التطور – التقدمي** غريبة عن هيراكليت . الحركة ، عنده ، عودة دورية .

في نظرية المعرفة ، كان مادياً (على المعرفة أن تكتشف جوهر الطبيعة في حركتها وتطورها ، على الانسان أن يُصغي إلى الطبيعة ، ان يعمل بموجب الطبيعة) وكان يؤكد دور المعرفة الحسية ودور العقل .

(٣) **فيثاغور** (٥٨٠–٥٠٠) : غامض ، مجهول. لعله سافر إلى الشرق ... الأفضل أن نتحدث عن **مدرسة فيثاغور** أو شيعته التي تأسست حوالي سنة ٥٣٠ ق م. **الفلاسفة الفيثاغوريون** علماء رياضيات ، حققوا اكتشافات عظيمة في الرياضيات ، الفلك ، الموسيقى . حولوا العدد إلى شيء مطلق ، فصلوه عن الأشياء المادية . العدد ليس مفهوماً ، انه بنيةُ الأشياء ذاتها . النفس عدد يهاجر بعد موت الجسد ، فيرتفع نحو الاله ، أو يختلط مع العالم المحسوس . أكدوا نظرية الانسجام في الطبيعة والمجتمع ، نفوا صراع الأضداد .

التراث الفيثاغوري تواصل قروناً (وتعزز اتجاهه المثالي والصوفي على الدوام) وانتقل إلى ايطاليا والاسكندرية حيث دخل في عمل الافلاطونية – المحدثة .

(٤) **مدرسة مدينة ايليه أو الفلاسفة الايليات Eléates** (القرن السادس والقرن الخامس ق.م.). مركزها مدينة ايليه في جنوبي ايطاليا المسمى آنذاك « اليونان الكبرى » . خطها الجوهري : نفي الحركة والتغير والوجود الحسّي باسم الوجود – الكينونة – الهوية . أشهر ممثليها : بارمنيد وزينون .

آ . **بارمنيد** (٥٤٠ – ٤٥٠ ق. م) . لعلّه صادف سقراط . وأفلاطون لقّبه بـ « العظيم » . يمكن تلخيص فكره على النحو الآتي : الوجود موجود ، اللاوجود غير موجود (أو بمفردات أخرى : الكينونة كائنة ، اللاكينونة غير

(*) لا بأس أن ننقل تثمين هيغل لهيراكليت : « ليس من قضية لهيراكليت إلا واستمدتها في منطقي... كل شيء صيرورة... الوجود ليس موجوداً اكثر من اللاوجود... الوجود واللاوجود تجريدات ... الحقيقة الاولى هي الصيرورة ».

كائنة . أو : ما هو هو ، ما ليس ليس) * . وجـــود الوجود ينفي ويستبعد وجود اللاوجود . الوجود (الكينونة ، الـ "هو") هو السبيل الوحيد . والحـال إن العالم الحسّي متناقض ، غير قابل للتفسير . إن سبيل اللاوجود هو عدم قابليته للحياة ؛ فهو « دربٌ لا نجد فيه أي شيء يمكن الركون اليه » إن مبدأ لا وجود اللاوجود يقود بارمنيد إلى أن يضع أزلية ووحـدة وتواصل وجمود الوجود (الكينونة ، الـ هو) . هذا الوجود (الكينونة ، الـ هو être) يختلف عن العالم الحسي . و « كل شيء يبقى ».

بارمنيد ضدّ هيراكليت : تلك هي بدايـــة المبارزة بين فلسفة الوجود (الكينونة) وفلسفةالتغيّر (الصيرورة) ، بين مذهب الهوية ومذهب التناقض . (وبارمنيد هو مؤسس الفلسفة ، من وجهة نظر مثالية – ميتافيزية) .

ولكن هذا يعني أن بارمنيد أدرك – بطريقته ! – ان التغير ، الصيرورة ، الولادة والموت ، النشوء والزوال ، التحول ، الانتقال من الوجود إلى العـــدم وبالعكس ، العالم المادي الحسّي = وحدة الوجود واللاوجود.

إذا عدنا إلى منطق بارمنيد ، وطبقنا عليـه تمييز الكينونة (الوجود العام غير المعيّن être) والوجود (الوجود المعيّن existence) ، قلنـا من وجهة نظر الديالكتيك المادي (من وجهة نظر النظر إلى الواقع ، لا من وجهة نظر المقولات) : الكينونة غير موجودة ، الكينونة لا وجود ؛ اذن ← صيرورة – تناقض ، تناقض – صيرورة ، وحـدة الكينونة واللاكينونة . أو بمفردات الوجود (être) والوجود المعيّن (existence) : كل وجود معيّنٌ ، ليس ثمة وجودٌ غير معين ؛ الوجود لا موجود ؛ الـ هو وحسْب ليس ؛ ووحدة الوجود – اللاوجود ، تماثل الوجود – اللاوجود ← الصيرورة . هكذا يبدأ «منطق» هيغل ، وينقل لينين عن هيغل . [زيدٌ هو . اذن (أي) زيدٌ هو انسان ، أو هو طويل القامة ، أو هو الشرّ المجسّد ، ... ليس حجراً ، ليس قمراً ، ليس نباتاً ،

(*) هذا بالضبط « عكس » هيراكليت – هيغل ، كما رأينا في الهامش السابق .

ليس قصير القامة ، ليس . . . ، ليس . . . . وحدة الـ « هو » و الـ « ليس » . — يمكن ، بدلاً من زيد ، ان نبدأ بأي موضوع آخر (بأي مبتدأ آخر) ، بعُمَر ، بشجرة زيتون ، بالشمس ، بالذرّة ، بالروح ، بفكرة ، الخ. دائماً : هو أي هو شيءٌ ما ،صفةٌ ما: كيفٌ ما ، كذا أوصاف ، اذن ليس كذا و كذا و كذا.].

ب. **زينون ايليه** (٤٩٠ ؟ - ؟) : تلميذ بارمنيد . هدفه البرهان على وحدة الوجود (الكينونة) واستحالة الحركة والتعدّد. « ما يتحرك لا يتحرّك لا في النقطة التي هو فيها ولا في النقطة التي هو ليس فيها » . العالم الطبيعي يعرف بالحواس ، انه ميدان الظاهرة واللاكينونة (اللاوجود ، اللا « هو ») . الكينونة الوحيدة هي العالم القابل لأن يُفهم (على أساس الهوية — التماثل وعدم التناقض والثالث الممنوع. ونستبق هنا بلورة مبادىء المنطق) ، والذي يُعرَف بالعقل وهو واحد ، مطلق ، لا يتبدّل ، أزلي ، كلّي — شمولي (عام) . الصيرورة غير قابلة للتفسير فهي اذن غير كائنة . الحركة مستحيلة نظراً لأن المكان قابل لأن يُجزّأ الى ما لا نهاية .

أمثلته الشهيرة * :

١ - أخيلس Achille السريع لا يستطيع أن يلحق بسلحفاة ، لأنه بينما هو يقطع المسافة التي تفصله عن السلحفاة ، تكون هذه قد تقدّمت وقطعت مسافة جديدة ، وهكذا الى ما لا نهاية (مهما صغرت هذه المسافة الجديدة ، تبقى مسافة ، تبقى قابلة لأن تكون أصغر ، الى ما لا نهاية . بتعبير آخر : المسافة بين الرجل السريع والسلحفاة يمكن ان تقسّم الى ما لا نهاية من الأقسام ؛ والحركة تعني أن على الرجل ان يقطع كل هذه الاقسام —التي لا نهاية لها - الواحد تلو الآخر . انها مستحيلة . الرجل لن يلحق بالسلحفاة) .

(*) والخالدة . نجدها في مناقشات الماركسيين الروس .

٢ – ان سهماً يطير يبقى ثابتاً في مكانه ، لأنه في كل لحظة محدّدة هو في نقطة محدّدة من المكان ، اذن في كل لحظة هو ساكن ثابت .

بتعبير آخر : إن أبسط حركة (حركة انتقال جسم من نقطة إلى نقطة) معناها أن الجسم المذكور يمر بعدد لا حد له من النقاط ، ومثلاً يمر بالنقطة بَ. ولكن المرور يعني أن الجسم في برهة ما (مهما صغّرناها) هو و ليس في النقطة ب. (كذلك بالنسبة لكل النقاط) . وهذا تناقض ، اذن استحالة .

في الماركسية ، « ليست المسألة أن نعلم ما إذا كانت الحركة موجودة ، بل ان نستطيع التعبير عنها في منطق المفاهيم » (لينين) . « الحركة هي تناقض ؛ إن محض التغيير الميكانيكي لمكان وجود جسم لا يحصل إلا لأن هذا الجسم في لحظة واحدة محددة هو في مكان وفي مكان آخر معاً ، هو في مكان واحد محدد وليس فيه . والحركة كامنة بالضبط في كون هذا التناقض يوضع باستمرار ويُحل في الوقت نفسه » (انجلز)* .

جـ يرى القارىء أهمية الفلاسفة الايليات بالنسبة للديالكتيك والمادية (اللتين شنّوا عليهما حرباًواحدة) . لقد أدركوا وأكدوا أن الحركة = تناقض، الصيرورة = وحدة الوجود واللاوجود . لقد طرحوا إذن بشكل حاد مسألة معرفة كيفية التعبير عن الطابع التناقضي للعمليات الموضوعية – الحركة ، التطور ، التحول – بمفاهيم منطقية .

الحركة تناقض (انها تناقض مقولة الوجود ، تناقض مبدأ الهوية) إذن ليست موجودة . هذا ما يقوله الايليات .

الديالكتيك المادي يقول : الحركة تناقض . إذن الكون ، العالم المادي ، الوجود ، الفكر ، ... تناقض . (مبادىء المنطق الصوري قاصرة عن هذه

(*) عودة إلى زينون .وتجزئة المكان وسهمه الطائر الساكن . – كأن الحركة هي مجموع سكونات للجسم في المكان . كأن الحركة تجزأ فتصبح مجموع سكونات . كأن الحركة يجب ان تفهم على اساس السكون . وهذا بالطبع مستحيل . الحركة تناقض .

الحقيقة. هذه الحقيقة ليست ميدانها، ليست جزءاً منها، لا تُستنتج أو تُشتق منها. ولكن مبادىء المنطق الصوري – الهوية، عدم التناقض، الثالث المرفوع أي عدم الخلط، الصرامة والتلاحم المنطقي، الاجابات المحدّدة – تخدم في اكتشاف هذه الحقيقة أيضاً).

الوجود (الكينونة، الـ هو) واحد، كلي، عام. إذن التعدّد، الاختلاف الخاص ليس وجوداً. هذا ما يقوله الأيليات

الديالكتيك المادي يقول: الواحد، الكلي، العام موجودة فقط (أي اذن موجود) في التعدد، الاختلاف، الخاص. الوجود وجود – معيّن.

الماركسية، بعيداً عن أن تنفي مأثرة (فضل) هؤلاء الفلاسفة المثاليين، تثمّنها عالياً. وينقل لينين عن هيغل قوله أن بارمنيد وخلفاءه هم أول من بلغ تجريد الوجود (أي الوجود كوجود وحسْب، الوجود الخالص، الخالص من الحركة، من التعيين – التحديد، أي الوجود الخالص من اللاوجود). هـذا الوجود هو تجريـد، لا وجود له في الواقع (وجوده في، من خلال، الوجود – المعيّن. إنه اذن نتاج تجريد، نتاج نزع التعيين).هو تجريد عالٍ، ضروري. قول المثاليين عن بارمنيد (خصم هيراكليت) انـه مؤسس الفلسفة، لا ترفضه المادية الديالكتية رفضاً مطلقاً: مقولة الوجود مقولة ضرورية. الفلسفة ما كان يمكن أن تقف عند المادية الساذجة، حتى إذا كانت هذه المادية الساذجة مادية ديالكتية فعلاً.

[أثر بارمنيد واضح في أفلاطون (والمثالية عموماً): الوجود، الهويـة، العام – الكلي، ضد عالم المحسوسات، الاختلاف... أحد أهم مؤلفات أفلاطون عنوانه: « بارمنيد ». الإمـــام الغزالي (الصوفية الاسلامية الارثوذكسية) طرح اشكالية مشابهة لاشكالية الايليات ونهج نهجاً مشابهاً في الحلول].

في المرحلة الثانية (القرن الخامس والقرن الرابع ق م.)، موضوع الفلسفة يتوسّع ويتعمّق: مسائل بنية المادة، نظرية المعرفة، مسائل الحيـاة

الاجتماعية والانسان، تبرز: مسألة بنية المادة هي مركز انتباه ثلاث مدارس مادية؛ اكبر الفلاسفة الماديين وأول عقل موسوعي هو **ديموقريط**. **السفسطانيون** نقلوا مركز الاهتمام إلى الانسان. **افلاطون** بلور المثالية والجدل المثالي. **ارسطو** ذروة العصر العظيم.

(٥) **ديموقريط** (٤٦٠ - ٣٧٠ ق م) أول عقل موسوعي بين فلاسفة اليونان، وألمع ممثلي العلم الموحّد غير المميّز في العصر القديم. وهو صاحب **النظرية الذرية**:

الوجود مكوّن من مبدأين: الذرات والفراغ. الذرات أجزاء صغيرة غير قابلة للتجزؤ (و atomos اليونانية = لا يُجزّأ) وهي أزلية لا تتبدّل. إن ظهور وفناء العوالم المتنوعة وكل الأشياء هما نتيجة اجتماع وانفصال الذرات التي تتحرك في الفراغ. حركة الظهور والفناء حتمية وجبرية: ديموقريط ينفي الصدفة، يعزو الصدفة (العَرَض) إلى خيال البشر العاجزين عن تفسير علاقات السببية. هذه الذرات تختلف في شكلها وحجمها وموقعها وترتيبها. الأوصاف الأخرى للاشياء كالصوت واللون والطعم ليست صفات للذرات، وليست موجودة «في طبيعة الأشياء» [ليست موضوعية] بل هي ذات طابع اتفاقي (اصطلاحي) [هذه بذرة نظرية الصفات الأولى والصفات الثانية للاشياء، التي سيطرت على الفلسفة خلال قرون طويلة. وهي نظرية خاطئة تقيم تمييزاً بين نوعين من صفات الأشياء، اولى موضوعية ومطلقة، وثانية ذاتية خالية من الموضوعية]. النفس مؤلّفة من ذرّات حامِيَة، خفيفة وكروية. كل عناصر المعرفة تأتي من الاحساسات، ولكن الاحساسات لا تعطي سوى معرفة غامضة، تقوم فوقها معرفة واضحة تأتي من العقل الذي يكتشف الذرات والفراغ.

خلاصة القول:

كان ديموقريط فيلسوفاً مادياً. عليه ينطبق تماماً قول انجلز: المادية هي التصوّر العلمي للكون بدون أية اضافة غريبة، وقوله: وحدة العالم هي في ماديته. نظريته الذرية تقدُّمٌ على المادية التي سبقته.

نقائصه : تصوّره للذرات ليس بالطبع تصوّر العلم الحديث(*) تمييزه صفات اولى وصفات ثانية باطل (اعتقاده ان الصفات التي ستُسمّى ثانية اتفاقية ولا موضوعية ، واعتقاده ان الصفات التي ستُسمّى أولى مطلقة ، نهائية ، مستوى أخير ، كلاهما باطل) . تصوّره « الذري » - « المادي » للنفْس وعدم تمييزه واقعاً ذاتياً في مقابل الوجود الموضوعي . حتميّته الجَبْرية . مادّيته الميكانيكية .

(٦) **السفسطائيون** (القرن الخامس ق. م.) كانوا معلّمي حكمة وبلاغة . [الكلمة اليونانية « سوفيا » تعني الحكمة ومنها أيضاً كلمة فيلسوف = صديق الحكمة] وضعوا الانسان وسلوكه في مركز الأبحاث الفلسفية . قاسِمهم المشترك : نفي الدين ، تفسير عقلي لظاهرات الطبيعة ، ومذهب نسبي في الأخلاق والمجتمع . لم يكونوا مدرسة موحّدة . ولكن المجموعة الرئيسية منهم كانت تتبنى تصوراً مادياً للطبيعة . أعظمهم ، بروتاغوراس ، كان يعلم أن كل الأشياء تجري ، وأن الاحساس هو مصدر المعرفة الوحيد ، وان « الانسان هو قياس كل الأشياء » . بعض السوفِسْطائيين كانوا يصلون ، استناداً إلى هذا المبدأ ، إلى استنتاجات ريبيّة عن الوجود والمعرفة . غورجيا كان يؤكد : أن لا شيء موجود ، واذا كان شيء ما موجوداً فاننا لا نستطيع أن نعرفه ، وإذا عرفناه فاننا لا نستطيع أن ننقل معرفته للغير . بعض السفسطائيين كانوا يميلون نحو المدرسة المثالية .

في القرن الرابع قبل الميلاد ، انحطّت هذه المدرسة ، وتحول معلّمو الحكمة إلى معلمي « حكمة خيالية » على حد تعبير أرسطو .

والسفسطائية باتت تعني في القاموس العادي : استخدام خدَع مقنّعة وراء مظهر الحقيقة بقصد ايقاع المُحاور في الخطأ . هذه الحجج الكاذبة تدعى **سفسطات** sophismes .

(*) الذرات atomes (التي حافظت على اسمها = لا تجزأ) تجزأ ، تحطم : ← نواة (بروتون ، نوترون) والكترونات . المادية الديالكتية تؤكد : ليس من جزء اخير ، ليس من مستوى اخير . الكون (المادة ، اجزاؤها الأخيرة المزعومة) والمعرفة كلاهما غير محدود .

(٧) **سقراط** (٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م) فيلسوف مثالي عارض المادية وعلوم الطبيعة . مذهبه وصل الينا عن طريق مؤلفات افلاطون وآخرين . هدف الفلسفة في نظره تعليم الفضيلة ؛ الفضيلة المعرفة شيء واحد ومعرفة الذات، منبع الفضيلة ، تبدأ بالشك : « انني أعلم انني لا أعلم شيئاً » . طريقته اكتشاف الحقيقة بواسطة الحوار . هذه الطريقة أحد مصادر ديالكتيك أفلاطون المثالية .

(٨) **افلاطون** (٤٢٧ – ٣٤٧) . أكبر فيلسوف مثالي . مثاليته « موضوعية » : في معارضة عالم الأشياء الطبيعية الحسية ، يوجد (وجوداً موضوعياً) عالمُ الجواهر القابلة للفهم ، عالمُ **الافكار** (= **المثل** Ideés) ، الوجودُ الحقّ ، الازلي والذي لا يتبدّل . عالم المثل هو عالم ما فوق ، معطى أوّل ، عالمُ الاشياء المحسوسة معطى ثانٍ مشتق . الاشياء ظلال المثل . الاشجار ولّدتها فكرةُ الشجرة (أو الشجرة - الفكرة) ، الاحصنة ولّدتها فكرة الحصان (الحصان – « المثال ») الحواس عاجزة عن بلوغ هذا الوجود الحقيقي العالي . مصدر المعرفة الحقة هو اذن العقل الذي هو هنا تذكُّر النفْس ، نفْس الانسان الخالدة ، لعالم المثل الذي كانت تتأمله قبل أن تسقط في الجسد . الطريقة التي تتيح للنفس تذكر هذه المثل هي الديالكتيك* ، فنّ مجابهة وتحليل المفاهيم في الحوار . أفكاره الاجتماعية والسياسية رجعية .

الصراع بين خط ديموقريط المادي وخط افلاطون المثالي هيمن الى حد لا بأس به على تاريخ الفلسفة الاغريقية وما بعدها .

(٩) **أرسطو** (٣٨٤ – ٣٢٢ ق. م) . « أعظم مفكري العصر القديم » (ماركس) تلميذ أفلاطون ، أخضع نظرية المثل لنقد صارم ومادي : إن أفلاطون يفصل الجوهر عن الأشياء التي هو جوهرها ، يحول العام (الكلي أي المفهوم ، الفكرة) إلى كيان خاص . والحال « أن نقول أن المثل (الأفكار ، الفِكر) هي نماذج وان كل الباقي ينتسب اليها ، معناه أننا نتكلم لكي لا نقول

(*) هيغل ثمّن ديالكتيك افلاطون تثميناً عالياً (وتجنى على ديموقريط ، على المادية ...)

شيئاً ، أننا نستعمل استعارات شعرية » . ويؤكد أرسطو : الجوهر موجود في الأشياء ذاتها ، العام ليس موازياً للمفرد ومفصولاً عنه .

في المسألة العليا للفلسفة ، أرسطو متردّد بين المثالية والمادية : في نظره ، كل شيء مؤلف من مبدأين : المادة والشكل * (هكذا التمثال مصنوع من برونز ومطبوع بشكل) . رغم أن أرسطو يربط الأشكال بالمادة ، إلا أنه مع ذلك يعتقد بوجود شكل خالص ، خالٍ من المادة ، هو شكل جميع الأشكال . هذا الشكل هو الفكر ، العقل ، الله الذي يلعب دور محرّك العالم ، الذي هو واحد وثابت [الله محرّك ، مسير أول ، مشكل أول للمادة – السديم ، وليس روحاً خلقت الكون من لا شيء . فكرة الله الخالق دخلت الفلسفة الأوروبية اللاحقة تحت سلطة المسيحية] .

لئن كان أرسطو المادي – المثالي أكثر ميلاً إلى المثالية في موقفه من مسألة الوجود العامة ، الا انه أكثر ميلاً إلى المادية في نظرية المعرفة وفي سلسلة من مسائل الفلسفة والطبيعة والرياضيات والمنطق . فلسفته مـــلأى بعناصر جدلية – مادية . انتقد الايليات بنجاح : إنهم أعداء الحركة وأعداء الطبيعة ؛ وإنكار الحركة يؤدي حتما إلى إنكار الطبيعة .

أرسطو مؤسّس علم المنطق. وهو لم يفصل أشكال الفكر عن الوجود الموضوعي ، بل ربط المقولات المنطقية بالواقع المادي. إن هذا العمل التجريدي العظيم ، اكتشاف أو اختراع علم المنطق (قواعد الفكر المنطقي المتلاحم ، الحكم ، المحاكمة ، الاستنتاج ، البرهان ، تصنيف المفاهيم و « تسويرها » ...) إنجاز نهائي للفكر البشري . إذا كان الفكر متناقضاً ، فاقد التلاحم والانسجام ، يكون مستحيلاً انشاء أي معرفة علمية ، تأسيسُ أي محاكمة صحيحة ، صياغة أي حل صائب لمسائل الحياة « يجب أن لا يكون هناك أي « تناقض منطقي » ، شريطة بالطبع ان

(*) في الفلسفة اليونانية ، ثنائية المادة والشكل ابرز من ثنائية المادة والروح . هــذه الأخيرة : شرقية – افلاطونية – مسيحية ...

يكون الفكر المنطقي صائبـاً ، لا في التحليل الاقتصادي ولا في التحليل السياسي » (لينين) . الماركسية تفرّق (هذا أقل ما يمكن أن يقال !) بين التناقضات المنطقية لمحاكمة باطلة وبين تناقضات الحياة الواقعية التي هي تناقضات جدلية (ووظيفة المنطق كاملاً الإحاطة بهذه التناقضات الموضوعية الجدليـة . هذا المنطق الجدلي يبدأ بالمنطق الصوري ، ويتطابق مع نظرية المعرفة . .) . قواعد المنطق سلاح ضد الريبية ،ضد السفسطة ،ضد خلائط فكر سديمي جاهل – ابتدائي أو مطوّر دجال – مكافح . [ليس عبثاً أن اليسار الكاريكاتوري يجمع الحالتين معاً . وليس عبثاً أن أمانتـه النظرية – بلسان قيس الشامي – « تصفي » على الدوام حساب أرسطو !!] . إن فكر ماركس – انجلز – لينين والماركسيين الحقيقيين هو ذروة الديالكتيك والاكتشاف الجـدلي لعالم جدلي ، وذروة التلاحم المنطقي ، في آن .

[فلسفة العصور الوسطى الاوروبية (السكولاستيك) اكتشفت أرسطو (عن طريق العرب) ، عاشت تحت هيمنته ، سعت إلى التوفيق بينه وبـين أفلاطون والافلاطونية المحـدثة والمسيحية ، ظلت بوجه عام دونه جذرياً * ، حوّلت المنطق إلى ميتافيزياء بعيدة عن الواقـع ومسائله ، إلى لعبة مفاهيم أو الفاظ (أو مفاهيم – ألفاظ) . وكان على العصور الحديثة أن تقاتل ضد هذا التسلط والعقم (بيكُن ، ديكارت الخ) . . . ولكن ليس مـــن شك في أن اكتشاف أرسطو (« والفلسفة ») في النصف الثاني من العصور الوسطى كان محركاً ودافعاً كبيراً للفكر والتطوّر] .

<u>المرحلة الثالثة</u> ، الهلينستيّة (عصر بمـــا بعد الاسكندر ، مدينة الاسكندرية ، ثم الامبراطورية الرومانية) ، مرحـــلة أزمة وانحطاط مجتمع الرق ، وبدايــة تكوّن وانفصال علوم الطبيعة عن الفلسفة (التي كانت

(*) قتلت في ارسطو ما هو حي ، خلدت ما هو ميت !

سابقاً تشملها)* .

(١٠) ابيقور (٣٤١ – ٢٧٠ ق م.) المادّي واصل مذهب ديموقريط وعدّله : التعديل الأساسي هو فكرة « انحراف » الذرات عن الخط المستقيم ، انحرافاً تلقائياً ، تابعاً عن أسباب داخلية ؛ هذا التعديل يذهب عنده ضد جبْرية ديموقريط ، يفسح مجالاً للصدفة. هدف الفلسفة سعادة الانسان ؛ طريق السعادة التحرر من الأباطيل ومعرفة قوانـــين الكون ؛ مذهبه في الأخلاق : السعادة واللذة ، تجنّب الألم ؛ المعقول للانسان ليس العمل بل السكون ، الراحة .

لوكريس Lucrèce (القرن الأول ق م) كان تلميذ وناشر مذهب ابيقور في روما .

(١١) الريبية scepticisme (مصدر الكلمة اليوناني = أنا أفحص) اتجاه فلسفي قوامه الشك في إمكانيـة بلوغ الحقيقة الموضوعية . الريبيون يشيدون الشكّ مبدأ : في كل موضوع ، يمكن أن نصدر حكمين متنابذين (الايجـــاب والنفي) ؛ ولذا فان معرفتنا ليست يقينية هذا المذهب الذي أسسه بيرّون Pyrrhon (٣٦٠ – ٢٧٠ ق. م) يقود ، نظريـاً ، إلى « تعليق الحكم » (عدم إصدار حكم) ، و ، عملياً ، إلى موقف لا مبالاة وعــدم تأثر . الريبية تمثّل مرحلة انحطاط في الفكر الفلسفي الاغريقي (على حد قول ماركس) .

[في عصر النهضة ، لعبت الريبية (أو فلسفة الشك) دوراً إيجابياً هاماً ضد ايديولوجيا العصر الوسيط وسلطة الكنيسة وهيمنة الجهل والاباطيل . كان ممثلها الأشهر الأديب الفيلسوف المربّي الفرنسي مونتيني Montaigne (القرن السادس عشر) ، ثم بيار بيل Pierre Bayle (القرن السابع عشر) الذي جعل الشك سلاحاً فتّاكاً ضد الميتافيزيك (المثالية) ، في خدمة حرية الفكر والتسامح والانسان . أما باسكال Pascal (القرن السابع عشر) فقد استمدّ

(*) اقليدس (الهندسة) وارخميدس عاشا في القرن الثالث قبــل الميلاد ، الأول في الاسكندرية والثاني في صقلية .

من الريبية استنتاجات لصالح الصوفية الدينية ضد العقل المتردّد والعاجز فلسفياً في القرن الثامن عشر ، يمكن أن ننسب لا أدرية هيوم وكنط إلى الريبية .]

(١٢) **الافلاطونية - المحدثة** (القرن الثالث - القرن السادس م ؛ الاسكندرية ، روما ، سوريا ، آثينة . أشهر ممثليها **افلوطين** ٢٠٤ - ٢٧٠ م): ان مذهب أفلاطون الذي يرى ان العالم الواقعي هو ظل عالم المثل ، صار ، على يد الافلاطونية - الجديدة ، نظرية انبثاق العالم المادّي انطلاقاً من مبدأ روحي. المادة حلقة دنيا في تسلسل الكون ، انبثاق من إله أو من روح الكون أو نفسه ، وذرى الفلسفة تبلغ في حالة وَجْد صوفي .

هذا المذهب الذي التقت فيه عناصر أفلاطونية وفيثاغورية ، اغريقية وشرقية الخ* ، أثر تأثيراً بالغاً في عقائد آباء الكنيسة الاوائل ، في مذاهب العارفين Gnostiques (هرطقات كبيرة في جوار المسيحية ، زمن تكوّن عقيدتها اللاهوتية) ، في العصور الوسطى المسيحية والاسلامية (الاسماعيلية ، الباطنية عموماً ، فلسفة ابن سينا ، التصوف) .

(١٣) **الرواقية** (القرن الثالث ق. م - القرن السادس م.) سميت هكذا لأن مؤسسها **زينون سيتيوم** Zénon de Citium (المولود في قبرص - فينيقيا) كان يعلّم في « رواق فنون الرسم » في آثينة (وهو فيلسوف عقلاني جمع هيراكليت ومنطق أرسطو وعناصر أخرى) . الرواقية مرّت بعدّة مراحل . وكان من بين فلاسفتها امبراطور روماني اهتمّت بالأخلاق .

بوجه الاجمال ، أكد الرواقيون أن الاحساسات هي مصدر كل معرفة ، ومعطيات الحواس تخضع للفكر . النفس مادة خاصة جامعة الهواء والنار . تصوّرهم للطبيعة مادي جدلي (على غرار هيراكليت). ولكن المادّة مبدأ منفعل ، والله هو المبدأ الفاعل . وكل شيء خاضع لضرورة صارمة ، تدعى « القدَر » .

(*) بينها فلسفة فيلو الاسكندراني او فيلو اليهودي (القرن الاول م.).

الخضوع للقدر ، التخلي عن ملذات الحياة ، « ثبات » العقل ضد العالم المتغير . الفضيلة ضد المتعة ، الانسان العالمي ضد الأوطان والعصبيات . الرواقية أثرت تأثيراً ملحوظاً في العقيدة المسيحية .

B - العصور الوسطى

العصور الوسطى المسيحية اللاتينية

[انهيار الامبراطورية الرومانية ، غزو وتوطن البرابرة الجرمان ، انهيار نظام الرق ، ونشوء وهيمنة النظام الاقطاعي الفيودالي ، تكون الشعوب الاوروبية ، هيمنة الكنيسة ، نضال الهرطقات ، نشوء البرجوازية والمدن] .

القديس اوغسطين (القرن الرابع – القرن الخامس) لاهوتي كبير وفيلسوف متصوف ؟! متأثر بالافلاطونية المحدثة . ظل تأثيره مهيمناً قروناً عديدة* . بين القرن الثامن والقرن الحادي عشر ،نشأت **السكولاستيك** (فلسفة المدرسة) وحدد دورها (« الفلسفة في خدمة اللاهوت ») . سارت تحت سلطة افلاطون ، ثم في القرن الثالث عشر اكتشفت أرسطو (عن طريق العرب) وشوهته (« قتلت فيه العنصر الحي وخلدت العنصر الميت » على حد قول لينين) . حاولت التوفيق بين أرسطو وأفلاطون ، بين أرسطو والمسيحية مـــال عدد من الفلاسفة الى التحرر من اللاهوت . أكثرهم تقدمية وثورية ومادية الانكليزي **روجه بيكن Bacon** الذي أكب على دراسة العصر القديم والعلم العربي (القرن الثالث عشر) . على الصعيد الفلسفي الصرف (إن صح هذا التعبير) ،الصراعُ بين المادية والمثالية تجلى في ما دُعي مناظرة أو مشاجرة الكليات Universaux : هل الكليات (مثلا : « الحصان بوجه عام ») موجودة أم لا ؟ « **الواقعيون** » قالوا (وراء

(*) مذهبه : جبرية دينية مطلقة (الله يسير التاريخ مباشرة ، قرر كل شيء) ، الايمان (« أومن لكي افهم ») ، الخطيئة الأصلية ، شرط الخلاص : رحمة الله ، النعمة ...

افلاطون و « المثل ») : نعَم ؛ « الاسميّون » قالوا : ليست الكلّيات سوى أسماء ، الوجود هو للأحصنة المفردة ؛ « المفهوميون » اتخذوا موقفاً وسطاً . ولكن أشهر فلاسفة (ولاهوتيي) العصر الوسيط هو القديس **توما الاكويني** (القرن الثالث عشر) : مذهبه جمعٌ مسيحي بين اوغسطين وارسطو ؛ فصل ووفّق بين الوحي والعقل ، بين اللاهوت والفلسفة ، لصالح اللاهوت ؛ وهو الفيلسوف شبه الرسمي للكنيسة الكاثوليكية * .

العصور الوسطى الاسلامية العربية

سارت وراء ارسطو ، حاولت التوفيق بينه وبين افلاطون والافلاطونية المحدثة ، وبين الفلسفة اليونانية والاسلام ؛ عرفت صراع القدْرية** (الانسان قادر) والجبْرية ؛ تصادمت على موضوع قِـدَم الكون وضرورته (هل هو ضروري أم لا ؟ هل ضرورته داخلية أم خارجية ؟) . أعظم الفلاسفة كانوا موسوعيين ، كانوا فلاسفة وعلماء . أشهرهم : ١) **الفارابي** (القرن العاشر) رياضي ، طبيب ، موسيقي ، فيلسوف متأثر بافلاطون وارسطو وأفلوطين) . ٢) **ابن سيناء** (القرن الحادي عشر) طبيب وفيلسوف . ظل مؤلفه في الطب أساس تعليم الطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر . مذهبه الفلسفي : الله موجود ، النفْس روح خالدة ، ولكن المادّة أزلية وغير مخلوقة . أي : الله معطي الشكل ، العقل الالهي مصْدَرُ الكلية والوحدة (في مقابل المادة التي هي تعدّد وتنوّع) . مذهبه تحت نفوذ أرسطو (رغم وجود مؤثرات من افلاطون والافلاطونية الجديدة) . ٣) **ابن رشد** (القرن الثاني عشر) ، وهو أكثر الفلاسفة العرب مادية ، طوّر فلسفة أرسطو في اتجاه مادي : المادة

(*) يمثل في تاريخ الفلسفة الكاثوليكية تياراً موازياًونوعاً ما معاكساً تيار أوغسطين (جانسينيوس — باسكال) ... وقد أكدت وبعثت التومائية في القرن التاسع عشر في شكل تومائية — جديدة.

(**) رغم كل الفوارق، هذا الصراع وجد ايضاً فيالفلسفة المسيحية الغربية (انظر الهامش السابق) . ولكن الغلبة كانت هناك للتومائية .

والحركة أزليتان (« قديمتان » ، غير مخلوقتين) ، النفس ليست خالدة (الخلود صفة النوع لا صفة الفرد) ... أثر تأثيراً كبيراً في فرنسا ، ثم في إيطاليا (حتى القرن السادس عشر). ٤) الإمام الغزالي (القرن الحادي عشر) جمع التصوّف والاسلام السنّي ، كافح الاتجاه المادي (إن قِدَم العالم يتعارض مع حرية الله) . أدخل الجدل الاغريقي في الفلسفة العربية ، أدرك ان الحركة والتغير والاختلاف الخ تُخالف مقولة الوجود وقانون الهوية (على غرار الايليات) .

ولنذكر ان الحسن بن الهيثم ، عالم الفيزياء ، عرّف بشكل دقيق طريقة العلوم (الحوار بين «الصورة» أو الفكرة والواقع ، بين التجربة الحسية والعقل ، الخ) ، وضع نظرية مادية جدلية عن الضوء... *

ولقد أشاد انجلز (في مقدمة « ديالكتيك الطبيعة ») بدور العرب ، الفكر العربي ، العلوم العربية (علم الجبر ، الكيمياء الأولى أو « سيمياء »). العرب حلقة ضرورية بين اليونان وعصر النهضة. « الفكر الحر » عند الشعوب اللاتينية يتّصل بالعرب (حسب عرْض انجلز) .

[ما يُدعى « بالابن رشدية » اللاتينية averroïsme latin استمرّ قروناً . مؤسس هذا التيار سيجر دو برابان Siger de Brabant (بلجيكا ، القرن الثالث عشر ، دخل في مجادلة حادّة مع توما الاكويني ، حوكم وأدين مراراً ، وسُجن في روما . مذهبه : إن اليقين الذي يعطيه الايمان ، أعلى من اليقين الذي يعطيه العقل ؛ ولكن سيجر يدرس الفلسفة الارسطوطيلية لذاتها ، دون محاولة توفيقها مع اللاهوت ؛ وفي نهاية المطاف : إن العقل والوحي متناقضان]

(*) ولنذكر ابن خلدون (القرن الرابع عشر) : بذرة حقيقية للمادية التاريخية (النحلة من المعاش = اسلوب الانتاج) ...

C - العصور الحديثة

[عصر النهضة والاكتشافات الجغرافية وبداية الاستعمار الأوروبي والاصلاح البروتستانتي وحروب الدين ، تعزز مملكتي فرنسا وانكلترا ، تطور التقنية والعلوم ، تطور الانتاج الزراعي والصناعي ونمو عدد السكان ، التطور البرجوازي لهولنده وانكلترة وفرنسا ، الصراع على التجارة والمستعمرات وهيمنة انكلترة العالمية ، بداية الانقلاب الصناعي في انكلترة ، الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ وآثارها الأوروبية ، حروب نابوليون ، الحلف المقدس ، تقدم التطور البرجوازي والثورة البرجوازية ، الكفاحات العمالية الأولى ، كفاحات الحرية والديموقراطية والقومية ، ثورات ١٨٤٨ ...

الفلسفة الأوروبية الحديثة ترافق صعود البرجوازية وعالمها وأفول الاقطاعية وسلطة الكنيسة ...، وتشارك في هذا الصراع مشاركة فاعلة . من عصر النهضة (بل من القرون الوسطى الواطئة ، من « نهضة » القرن الثالث عشر) إلى القرن التاسع عشر ، الفلسفة جزء بالغ الأهمية من الفكر الأوروبي البرجوازي الصاعد (جزء من مراحل وأشكال صعوده وأفول الايديولوجيا السابقة) : النزعة الانسانية (الانسان هو المركز ، العودة إلى الاغريق ضد العصور الوسطى) ، حريّة البحث (الفكر الحر ، الفحص الحرّ ، ضد الايمان واللاهوت وضد سلطة أرسطو) ، العلوم وطريقتها التجريبية (فرنسيس بيكن) ، العقلانية الفرنسية (ديكارت) والتجريبية الانكليزية (لوك) ، مادية القرن الثامن عشر في فرنسا وانكلترة ، نقد كنط للمعرفة ، نمو العناصر الجدلية ،... هذا الطريق الكبير يقود إلى ديالكتيك هيغل (ومادية فويرباخ) تطور المجتمع وصراعاته الطبقية ، تطوّر العلوم الطبيعية والانسانية (النظرة الكلية والعلمية إلى التاريخ ، علم الاقتصاد البرجوازي) ، تطور الفلسفة (هيغل — فويرباخ) ، يفضي إلى ماركس والماركسية].

(١) **فرنسيس بيكن** Bacon (١٥٦١ – ١٦٢١) : «جد المادية الانكليزية وكل علم اختباري [تجريبي] حديث» (ماركس – انجلز). يرى مصدر المعرفة في الاحساس، وموضوع المعرفة في الطبيعة، في المادة. أسّس (أو نظّر) طريقة العلوم الطبيعية : الاستقراء، التحليل، المقارنة، الملاحظة، التجريب. لم يقدّر أهمية الاستنتاج وأهمية التجريد (رغم أنه لم ينكرهما) ؛ وضع منطقه الاستقرائي ضد أرسطو ومنطقه الاستنتاجي بالدرجة الأولى، وبالغ في الاتجاه المعاكس. ظل منهجه ميتافيزياً (غير جدلي).

ماديته غير منسجمة؛ إلى جانب الطبيعة والمعرفة العلمية، ترك مكاناً للوحي واللاهوت: السببية ميدان العلم، الوحي ميدان اللاهوت (أكد في آن واحد فكرة أزلية المادة ووجود الاله). غير أن هذا الوجه المثالي كان عنده ثانوياً.

نظرته إلى المجتمع مثالية. آراؤه السياسية والاجتماعية عكست مصالح البرجوازية والطبقة النبيلة السائرة في طريق التبرجز، ساند توسّع بريطانيا العالمي، أيد الملكية المطلقة.

٢) **ديكارت** (١٥٩٦ – ١٦٥٠) : فيلسوف وعالم فرنسي كبير. عقلاني. في مسألة العلاقة بين الفكر والوجود، ثنائي dualiste. هناك ماهيتان : ماهية الجسد وصفتها الامتداد، وماهية النفس وصفتها الفكر هناك إذن مبدآن : مادي وروحي. وجود الجسد والنفس قررته ماهية ثالثة : الله (وهو روح) في الفيزياء (الطبيعة)، ديكارت مادّي (مادي مطلق، طهرّ الطبيعة من الخرافات): الطبيعة هي تراكم أجزاء مادية؛ صفة المادة (وبالأصح جوهرها) الامتداد ؛ والمادة لها أيضاً صفة الحركة، حركتها أبدية، وهي تحصل بموجب قوانين علم الميكانيك : أنها إذن محض انتقال للاجزاء، للذرات، في المكان.

طريقته العقلية موجهة جوهرياً ضد الاباطيل، ضد سلطة الكنيسة وسكولاستيك العصور الوسطى، وهيمنة «السلف» (ضدّ «حجة السلطة» - التي ليست حجة أو برهاناً). يبدأ بالشكّ («**الشك المنهجي**»)، يشك في

كل شيء (في الآراء والحقائق المتداولة ، في معطيات الحواس ، الخ) ؛ ولكنّ الشك يفضي مباشرةً إلى هذا اليقين المحدّد: اليقين بأنّي أشكّ ، أي بأني أفكر ، و ... « أنا أفكرّ إذن أنا موجود ». هذا الوجود الأول هو وجودي كنفس ، كروح ، مفكرة ؛ منه ينتقل ديكارت إلى وجود الله (سبب ، خالق هذه النفس. هذه النفس تحتاج إلى سبب مطلق) ، وإلى وجود العالم المادي (الله ضمانة معطيات حواسّي ...) ويستبعد الروح والارواح والله من هذا العالم المادي (بعد إعلانه اللهَ سبباً أولاً وحسْب) . هذا الموقف ولا سيا مبدأ الانطلاق الديكارتي (« أنا أفكّر ، إذن أنا موجود ») استُخدِم فيما بعد مثالياً . [المادية القديمة عند الهنود ، عند الشرقيين ، كانت تقول : أنا أمشي ، إذن أنا موجود . فلاسفة اغريق ماديون يثبتون الحركة بالمشيء . المادية الانكليزية تقول (وينقل عنها انجلز ولينين) : « البرهان على الحلوى هو في الأكل »] . ولكن ديكارت مادي تماماً في حقل الفيزياء ، قام بعملية « تطهير » عظيمة في عصره ، فصلُه العالمَ المادي لعب دوراً ايجابياً كبيراً ، في حينه *.

في نظرية المعرفة ، ديكارت مؤسس العقلانية ، وذلك في اتجاهين (أو بمعنيين) : أحدهما ايجابي هو تأكيد سلطة العقل وحقوقه (ضد اللاهوت والايمان والوحي) وتثمين المعرفة العقلية (في مقابل المعرفة الحسية) ؛ وآخر سلبي مثالي هو تأكيده وجود « فِكَر فطرية » innées ، كفكرة الله وفكرة الماهية (الماهية الجسدية والماهية الروحية) وغير ذلك

ديكارت عالم فيزيائي كبير ، وعالم رياضي كبير . وهو مؤسس علم الهندسة التحليلية . وعلى حد قول انجلز : «إن فكرة المقدار المتغير التي وضعها ديكارت تشكل انعطافاً في تاريخ الرياضيات . معها دخلت الحركة والديالكتيك في العلم الرياضي ».

(*) وإن كان التطهير (والضبط) على حساب « الثروة » الظاهرة أكثر عند بعض من سبقوه مباشرة ...

٣) سبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) : فيلسوف هولندي كبير ، مـادي . ُطرِد من الكنيس اليهودي ، وكاد يسقط ضحية اغتيال ... دعـا إلى حرية العلم وإلى نشر التعليم . نفى وجود إله خالق ، وأعلن ان الطبيعة نفسها هي الله ؛ الطبيعة هي سبب ذاتها causa sui ، علّة وجوهر كل ما هو موجود . هذا الموقف لسبينوزا يدعى أحيانـاً حلولية panthéisme (حلول الله في الوجود) ، ولكنه حلولية مادية (الله محلول في الطبيعة) .

بتعبير آخر : انتقد سبينوزا ثنائية ديكارت بجزم ، أنشأ مذهباً واحديـاً monisme ، فيه الفكرُ والامتدادُ هما صفتان لماهية واحدة هي الطبيعة .

ولكنه أخطأ في تصوره ان الفكر صفة لكل المادة . أما « الحركة » فتعني عنده الانتقال الميكانيكي للأجسام في المكان ، وهي صفة للاشياء المفردة وليست صفة للماهية . في نظره ، الاشياء تتغير ، ولكن الطبيعـة كمجموع ، كجملة ، لا تتبدّل ، فهي موجودة خارج الزمان .

ورغم أنه تحسّس جدلياً فكرة ان الحرية هي الضرورة التي جرى وعيُها ، الا أنه بوجه عام اتخذ موقفاً ميتافيزياً في مسألة الضرورة ، محوّلاً أياهـا إلى حتمية (تعيينية) صارمة دقيقة تنفي وتستبعد العرَض .

[[لم يرَ أن العرض وجه من وجوه الضرورة ، إظهار وإكمال لها .

في المادية الجدلية (مذهب الترابط الكوني ونسبية المقولات) ، الضرورة تعني ما له سببه في جوهر الظاهرات والعمليات ، مـا ينبع من الترابطات الداخلية للاشياء ، من علاقاتها الجذرية ، ما لا يمكن أن يكون على نحو آخر في علائقـه الجوهرية . إن تطور الطبيعة وتطوّر المجتمع (العمليات الطبيعية والاجتماعية - التاريخية) ضروري ضرورة موضوعية (هناك قوانين ، أسباب، تفاعـلات ، نظام ، ترابط) . ومفهوم العرَض (الصدفة contingent accident , hasard) يعبّر عن ما ليس سببه في ذاته بـل في غيره ، ما لا ينبع من الترابطات الداخلية للاشياء وعلاقاتها الأساسية ، بـل من أسباب

ثانوية ، هامشية ، مساعدة ، ما يمكن أن يحصل بشكل أو بشكل آخر ، ما يمكن أن يكون أو أن لا يكون . إن حبّة تولّد بالضرورة نبتة ، في شروط ملائمة . ولكن النبتة يمكن أن لا تنضج ، قد يقتلها البرد. بالنسبة لنمو النبات، البرد واقعة عرضية . هذه الواقعة موضوعية ، وهي عرض (بالنسبة لنمو النبات ، للموضوع المحدّد) ، ولها قطعاً سببها أو موقعها في ترابط وتسلسل ميدانها (الظاهرات الجوية) . الضرورة والعرض لا يتنابذان . الضرورة لا تطرد ، لا تلغي العرض . العرض وجه من وجوه الترابط الكلي - الكوني المادي الجدلي . كل الميادين مترابطة ، متصلة (متواصلة) ، متداخلة ؛ مترابطة بدرجات متفاوتة ، بأشكال مختلفة . هذا لا ينفي تمايز الميادين، تمايز المستويات، حدود موضوعات العلم والعمل، ولا يلغي مقولات الداخلي والخارجي (والسبب الداخلي والسبب الخارجي) . كلية (شمولية ، كونية) الترابط ، التواصل ، التبعية المتبادلة ، إطلاقية الترابط لا تلغي الاستقلال ، تلغي فقط إطلاقية الاستقلال . العرض ، الصدفة ، الحادث العرضي ، « يذكّرنا » بنسبية كل استقلال لأي ميدان ، يشهد بالترابط الكلي المطلق ونسبية المفاهيم (كل المفاهيم) العلمية لا تلغي موضوعيتها .]]

أهم مآثر سبينوزا الفلسفية :

١) إن تأكيد مبدأ وحدة الوجود ، وتجاوز الثنائية الديكارتية ، موقف مادي .

٢) مبدأ « سبب نفسه » أو « سبب ذاته » المطبق على الطبيعة والأشياء والظاهرات الخ يعبّر في جرد فلسفة سبينوزا عن ترابط الأشياء ، تفاعلها ، تسلسلها ؛ أي انه تعبير سبينوزي عن القانون الأول في الديالكتيك المادي * .

(*) المفهوم السبينوزي «سبب ذاته» يتخطى السببية البسيطة الساذجة ، وإن كان لا يصل إلى التصور الديالكتي تماماً .

سبينوزا عقلاني ، واصل عقلانيــة ديكارت في نظره ، يستطيع العقل بمفرده وبدون وساطة الحواس أن يعرف الحقيقة .

تصوّره للمجتمع مثالي وميتافيزي

ماديته أثرت تأثيراً ملحوظاً على المادية اللاحقة الماركسية ثمّنته عالياً . بليخانوف ثمّنه أكثر (هذا التثمين الزائـد يرتبط بنقص الديالكتيك عنـد بليخانوف . واحدية سبينوزا المادية — بعد حذف « الاضافة الغريبة » — هي ، إلى حد ، على حساب اختلاف المستويات) .

٤) لايبنتس Leibniz (١٦٤٦ – ١٧١٦) فيلسوف وعالم رياضيات ، ألماني سعى إلى التوفيق بـــين العلم والدين ، وإلى إعادة توحيد الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكيـة رجل موسوعي : رياضي ، حقوقي ، مؤرخ ، جيولوجي ، مهندس ، فيلسوف ، لاهوتي اقترح على لويس الرابع عشر (ملك فرنسا) فتح مصر ، عرض على بطرس الأكبر مشروعاً لنشر الحضارة الغربية في روسيا . بصورة مستقلة عن نيوتن ، اكتشف **حساب التفاضل والتكامل** (تحليل النهايات الصغرى) ، وهو وسيلة جبارة في معرفة العالم ما دامت تسمح للعلم أن يمثّل ليس فقط الحالة ، بل أيضاً الحركة ، التطوّر ، سير عملية الظهور والاختفاء ، الولادة والزوال صاغ أحد قوانين المنطق الصوري ، **قانون السبب الكافي أو العلة الكافية** (« لا شيء يحدث بلا سبب ، بلا علة كافية »)، واتخذه قاعـدة لفلسفته (مفهوم العلة الكافية للايبنتس أوسع من مفهوم السبب البسيط الشائع ، يتخطاه في اتجاه ديالكتي).

في الفلسفة واصل ديكارت ، وتجاوزه ، مثالياً وجدلياً :

الوجود مكوّن من ماهيات بسيطة غير ممتدّة يدعوها « موناد » **monades** (وحدانيّات) أو **جواهر أو ذرّات ميتافيزية** (جواهر غير ممتدّة ، روحية). هذه الذرات الفردة ذات حركة تلقائية وهي العناصر المكوّنة لكل الأشياء ، لكل حياة . انها تتصف بالادراك الذي هو « الحالة الموقّتة التي تغطّي وتمثل

التعدّد في الوحدة ». و « الادراكات الصغيرة » هي الحالات تحت – الشعورية ؛ وهي أيضاً لها صفةُ الشهوة appétition ، أي الميل إلى الفعل (إلى العمل) ، وعله العمل هو في الذرة المذكورة نفسها . هـذه الذرات (أي الجواهر الفردة الميتافيزية) هي entéléchies (كالات، نزوعات إلى الكمال): فيها « اكتفاء يجعلها منابع أفعالها الداخلية ». كل ذرة منها تحمل في ذاتها ماضيها ومستقبلها. وهي تتسلسل من ذرات عالم الجماد إلى الله . الله ، الجوهر الفرد الميتافيزي الأعلى، يخلق تعدّد هذه الجواهر الفردة الذي لا حدّ له ولا نهاية ، والذي هو تعدّدٌ (تنوّع ،كثرة) مُسلْسَل ، منسجم ، متناسق بحكمه « التناسق المقام سابقاً» (من قبل الله). العالم الذي خلقه الله هو أفضل العوالم الممكنة . الجسد والنفْس ساعتان جداريتان منفصلتان ، ولكن نسّقها الله سلفاً وجعل حركاتها متوازية ومتوافقة بالتمام والكمال .

[[بعد أن قام ديكارت بعملية التطهير الكبيرة ، وبعملية الفصل وتأكيد ماهيتين اثنتين(مادة – امتداد،روح – فكر– نفس)،باتت المسألةتفسير العلاقة الظاهرة البارزة بين حوادث الماهيتين الاثنتين. حتى وإن كان ديكارت قد ركّز الالتقاء بين الروح المفكّر (الذي يحسّ، يشعر ،يفكّر، يتألم : الحيوانات آلات حسب خلفاء ديكارت) والجسدالممتدّ ، المادّي ، في غدّة ما من الرأس (الغدّة الصنوبرية)،تبقى الغدّةالصغيرة – الصغيرة ممتدّة – جسدية – مادية – مكانية . مالبرانش ، خليفةُ ديكارت المثاليُ ، حلّها كما يلي : النفس التي ليس لها امتداد لا تستطيع أن تحرّك الجسد؛ ان الله هو الذي يُحدِث في الجسد هذه الحركة المعينة التي لم تكن رغبةُ النفس أو فكرُها أكثر من ظرْفٍ لها، لم تكن سوى مناسبتها. وبالمقابل ، فان تلك الحركة المعينة للجسد هي بالنسبة لله مناسبة إحداث تلك الفكرة أو الحالة في النفس . ما يحدث في النفس ، في الجسد ، الخ ، هو محض أسباب ظرفية أو مناسَبيّة occasionnelles . الله هو السببُ الحقيقي الكلي الوحيد ، والوحيد الفعّال . والله – السببُ الحقيقي هو في حالة تدخل دائم. . . أما لايبنتس (= مذهب المونادولوجيا أو الجواهر الفردة الميتافيزية ، ونظرية التناسق الأصلي) ، فيعيد دور الله إلى الأصل ، إلى البداية (وهذا موقف أكثر

انسجاماً مـع الدين . الجيزويت أتهموا الكاهن مالبرانش بالكفر والالحاد) . سبينوزا ، من جهته ، حلّ المسألة بإلغاء الثنائية الديكارتية ، وإعلان ماهيـة واحدة مادية]]

وبخلاف ديكارت ، رأى لايبنتس أن القوّة force (وليس الامتداد) هي جوهر الأجسام ، جوهر المادة . وهذا موقف أقرب إلى المادية الديالكتية من موقف ديكارت .

ولكن نظرية الجواهر الفردة الميتافيزية ، النظريةُ المثالية الصوفية ، منعت لايبنتس من أن يقيم التمييز و (الفصل) المطلوب بين طبيعة عضوية وطبيعة غير عضوية . لقـد « وحّد » الطبيعة كلها على أساس هذه الجواهر : العالم غير العضوي مجموعة جواهر دنيـا ، وكل الطبيعة حية ؛ الانسان مؤلف من جواهر عليا قادرة على تمثيل وتصوّر الواقع . التمييز العلمي ، المادي الجدلي ، بين طبيعة غـير حية ، وطبيعة حية ، وانسان ، يختفي ، يغرق في نظرية الموناد ولوجيا التي تدفع صفة الحياة نحو المرتبة الدنيا ، وتُبرِز بشكل أحادي الادراك والتمثيل والفهم والتصوّر والعقل (صفات الانسان)

في مذهب لايبنتس ، تتشابك وتتخالط المثالية والميتافيزياء مع حدْس جدلي لحركة المادة وترابط الكون (وعملية المعرفة) . « بطريق اللاهوت ، كان لايبنتس يقترب من مبدأ الترابط الذي لا ينفصم (الكلي – الكوني ، المطلق) للمادة والحركة » (لينين).

في نظرية المعرفة ، سعى لايبنتس إلى التوفيق بين العقلانية والتجريبية ، على قاعدة العقلانية . ردّ على أطروحة المذهب الإحساسيّ (وهو مذهب ينتمي إلى التيار التجريبي) التي تقول : « ليس من شيء في الذهـن إلا وهو في الاحساسات » ، بإضافة تقول : « سوى الذهن نفسه ».

٤/آ) فولف Wolff (١٦٧٩ – ١٧٥٤) : فيلسوف الماني مثالي ، عقلاني . تلميذ للايبنتس . في نظره ، مبدأ الهوية يهيمن على المعرفة : الفلسفة هي علـم الممكن أي علم عدم التناقض .

٥) لوك Loche (١٦٣٢ – ١٧٠٤) فيلسوف التجريبية الانكليزية الأول ، واصل خط بيكُن : المعارف والأفكار تأتي من العـالم المحسوس ؛ الأشياء موجودة موضوعياً (مادية) وأفكارنا وصورنا نتيجة تأثير الأشياء على حواسنا . انتقد بعنف مذهب ديكارت عن الفِكَر الفطرية ومذهب لايبنتس عن المبادىء العَملية الفطرية . إن مصدر المعـارف الانسانية هو التجربة ، الاحساسات . الأفكار ، المبادىء ، ليست فطرية بل مكتسبة إن العقل قبْل التجربة (نفْس الطفل مثلاً) **هو صفحة بيضاء .**

ولكن لوك يميز شكلين للتجربة : تجربة خارجية **يدعوها الاحساس** (تأثير الأشياء المادية على الحواس) ، وتجربـة داخلية هي « فاعلية النفْس الخاصة » ويدعوها **التفكير** ؛ والتجرْبتان مصدران للمعرفة مستقلاّن .

ولوك يميز في الأشياء **نوعين من الصفات** : صفات اولى (الامتداد ، الشكل ، الحركة) لها قيمة موضوعية تماماً ، وصفات **ثانية** secondes (كاللون والصوت والرائحة) تكون محض صفات ذاتية .

الماديون الانكليز والفرنسيون في القرن الثامن عشر واصلوا العناصر المادية في فلسفة لوك . بينما كبار الفلاسفة الكلاسيكيين التجريبيين الانكليز (بركلي ، هيوم) استخدموا عناصره المثالية لينسفوا المادية .

٦) جون تولاند Toland (١٦٧٠ – ١٧٢٢) فيلسوف انكليزي ، مادي ، مؤسس حركة المفكرين الأحرار . نفي خلود النفس وخلق العـالم . أكد وحدة المادة والحركة . الحركة خاصة جوهرية وملازمة للمادة ؛ من وجهة النظر هـذه ، انتقد تولاند سبينوزا الذي كان يستبعد الحركة من الخصائص الجوهرية للمـادة ، ونيوتن وديكارت اللذين كانا يعيدان منبع الحركة إلى الله . المادة أزلية لا تدمّر . ولكن تولاند لا يتخطى **المادية الميكانيكية** : ينفي العرَض ، يعتبر الفكر محض حركة فيزيائية لمادة الدماغ ، لا يرى في المـادة سوى تغيرات كمية .

أثر تأثيراً بالغـاً على الموسوعيين الفرنسيين : فولتير ، ديدرو ، هولباخ ، هلفيسيوس ، الخ .

٧) بركلي (١٦٨٤ – ١٧٥٣) Berkeley اسقف انكليزي رجعي مكافح (معاد للشعب وللثورة) ، فيلسوف مثـالي ذاتي . أراد محاربة الالحاد والوثنية ، رأى أن مصدرهما المشترك هو مفوم المادة (الايمـان بالوجود المادي للأشياء) فقرر القضاء على هــذا المفهوم . مذهبه يعرَف باسم اللاماديـة immatérialisme (مذهب نفي وجود المادة)

يمكن تلخيص منطقه على النحو الآتي :

قاعدة انطلاق مؤلـّفة من مبدأين يضعهما باللاتينية : آ) هُوَ ما يُدرَك (موجودٌ ما هو مُدرَك ، [مدرَك حسياً] esse e percipi) ب) هُوَ ما (او مَنْ) يُدرِك (موجودٌ المدرِك esse e percipere) .

الاعتقاد العام للبشر ينطلق من آ ليؤكد وجود الأشياء ، الأشياء الموضوعية الخارجية ، المـادة [وينطلق من ب ليؤكد وجود الانسان وحواسه وجسده ودماغه ، وربما نفسه ، روحه الخ]. عقيدة ماديي القرن الثامن عشر تنطلق من آ لتؤكد أيضاً عـدم وجود ما ليس الأشياء ، ما لا يُدرَك حسياً ، عدم وجود الروح ، الأرواح ، الماهية غير المادية . أمور بركلي تجري بالعكس :

آ) موجودٌ ما يدرك ، أي ما يدرَك وحسْب ، بدون اضافة ؛ والحال ، ما يدرَك هو صفات وحسب (شكل ، لون ، حركة . . .) ، وليس أشياء وبالأحرى ليس مادة . هــذه الصفات هي هي احساسات ، ادراكات : . . . أنْ يكون موجوداً هو أن يكون مدركاً . ليس وراء هذه الصفات واقع « إضافي » . هذا الفصل (بين إدراك حسّي – صفات وبين أشياء – صفات) مرفوض باسم مبدأ الانطلاق . «الأشياء» = الاحساسات ؛ المدرَكات الحسية = الادراكات الحسية ؛ المنبّه = الاحساس والادراك ؛ الفيزيائي = النفسي ، الشعوري وبركلي يطبق على (ضد) صفات الأشياء جملةً ما قاله لوك وآخرون ضد « الصفات الثانية »

وحدها ، إذْ كيف يمكن أن نفرّق بين نوعين من الصفات ؟ كلها نسبية ،. . ذاتية ، مرتبطة بالفرد وادراكه (الحجم ، الامتداد ؟ – ألا نرى الشمس قرصاً صغيراً ؟ .. الحركة ؟ - ألا نرى الشمس متحركة ؟ الشكل؟ألا نرى القضيب في الماء منكسراً ؟...) . ولكن ما هو مصدر هذه الصفات - الاحساسات – الادراكات التي نسمّيها ، الذي نسمّيه (تجاوزاً ؛ وبركلي يرضى بهذه التسمية ، تساهلاً) الأشياء ؟ بركلي يقول («يبرهن») : هذه الصفات هي لغة الله ، حديث الخالق الينا (موجودة في الذهن الأزلي قبل أن توجد في ذهننا) .

ب) موجودٌ المدرِك . أنا (نفسي ، روحي) المدرِك ، اذن أنا موجود . (والله موجود : مدرِك ، خالق ، يكلمنا بالصفات - المدرَكات ، مدرِك – مدرَك ، وصلنا إلى ادراكه في آ [انه مصدر المدركات – الادراكات])

هذا الموقف يقود مباشرة ، اذا حافظ على الانسجام مع منطلقه المزدوج ، إلى المذهب الوحيدي solipsisme ، إلى الايمان بانني أنا وحدي (روحي ، نفسي) موجود ليس عندي برهان أو قرينة ادراكية على وجود بشر آخرين ، «نفوس» أخرى (بالنسبة لي ، لا تقع لا تحت آ ولا تحت ب) . [ولكن الله هو الضمانة . حديثه الينا لا يتضمن وجود الأشياء الاجسام – الأجساد (يتضمن عدم وجودها) ، ولكنه يتضمن وجود النفوس ؛ المهم إلغاء المادة ، الشيء الموضوعي ، موضوعية الشيء)].

- هذه الفلسفة المثالية الرجعية (الخالية من أي عنصر ايجابي) لها مزيّة انها تكشف عيب المادية التقليدية « الواقعية الساذجة » (تصوراتها الساذجة أو الخاطئة عن « المادة » ، عدم بلورتها لمفهوم « المادة »* عند ديموقريط ، الطبيعة «ذرات» أي بحكم المعنى الأصلي للكلمة جزيئات أخيرة لا تتجزأ ، والنفس ذرة . وعندما فتِتت الذرة ، حدثت عودة فلسفية إلى بركلي في شكل مثالية فيزيائية

(*) وأيضاً – ونوعاً ما بالارتباط مع ذلك - نظرتها الاطلاقية الميتافيزية إلى المعرفة ، مجانبتها لعملية تطور – ارتباط المعرفة والفاعلية الانسانية .

نعتمد على علـــم الفيزياء الحديث* ، نفذت أفكار بركلي إلى صف الماركسيين الروس) . في المادية الماركسية ، المـادة ليست مسألة صفات أولى وثانية ؛ كل معرفة بدءاً مـــن الادراك الحسي ! — هي معرفة ذاتية ، وتبقى مسألة موضوعية هذه المعرفة الذاتية ، مطابقتها لموضوعها (الممارسة المادية ، العقل) . ادراكنا لوناً من الألوان (لون شيء ما ، واللون صفة ثانية في تصنيف المـادية القديمـــة التجريبية المادية ، وفي تصنيف فلاسفة ذلك العصر) تابع من منبه موضوعي ، مطابق لمنبه موضوعي ، هو اهتزازات ضوئية كهرطيسية محدّدة (واللون يختلف باختلاف هذا المنبه ، وبشكل محدّد تماماً) ، كذلك الصوت (اهتزازات هوائيـــة) . اللون ، الصوت ، الرائحة ، الطعم ، الخ ، صفات موضوعية — مادية - شيئية (في الاشياء) ، وادراكاتنا الحسية (البصرية ، السمعية ، الشمية ، الذوقية) صُوَرٌ عنها (مثل اللون والصوت الخ كمثل الشكل والحجم والصلابة) . مقولة المادة ، في المادية الماركسية ، هي تعبير عن الواقع الموضوعي المعطى لنا في الاحساسات ، تأكيد لموضوعية هذا الواقع «الخارجي» (في التعارض مع الواقع الذاتي ، الداخـــلي) ؛ مقولة المادة تأكيدٌ أن وراء الاحساســـات أشياء هي المعطى الأول ، وان الاحساسات - الادراكات — الصور — الأفكار الخ هي معطى ثان .

٨) هيوم Hume (١٧١١ — ١٧٧٦) فيلسوف انكليزي ، مـؤرخ ، عالم اقتصاد . مثـالي ذاتي ، لا أدريّ agnostique تجريبي ، متأثر بلوك وبركلي .

هيوم لا ينفي وجود الواقع الموضوعي المادي ، ولكنه يعتبر مسألة وجود وعدم وجود هذا الواقع الموضوعي مسألة ليس لها حلّ : ليس فقط لا نعرف هذه الأشياء في حال وجودها ، بل لا نعرف ما إذا كانت موجودة فعلاً أم لا .

(*) في البند الأخير من هـــذا العرض التاريخي ، سنقرأ نصاً جوهرياً لبركلي على لسان لنكولان بارنت ، وهو أحد شراح فيزياء آينشتاين ...

(فهو في هذه النقطة على يمين كنط ، أكثر مثالية وأقل مادية منه) . وبالحقيقة إن هذه اللاأدرية - المثالية بحدّ ذاتهـــا — موجّهة ضد الماهية المادية والماهية الروحية في آن (وهيوم ربي في مجـال الدين*) . عند هيوم ، « الظاهرات أكلت الماهية » ؛ فلسفته ظاهراتية phénoménisme مطلقة .

وقد اعترض هيوم — في هـذا الاطار : ضد الماهية على مبدأ السببية الكلاسيكي ، مثالياً ذاتياً : التسبيب (آ سبب ب) ليس ، كما نراه وكما يحقّ لنا أن نحكم ، سوى تعاقب آ و ب ، تعاقباً دائماً ثابتاً (وفي اتجاه واحد : من آ إلى ب) ؛ لا شيء يسمح لنا بأن نقول آ تولّد ب ، آ تنتج ب ، آ سبب ب . بمفردات لاتينيه ، يقول هيوم : « بعد هذا » ولكن ليس « بسبب هذا » . إن مبدأ السببية ليس ، واقعياً ، سوى عادة ذهنية ، قائمة على التكرار ، عـــلى الملاحظة التكرارية .

انجلز (في « ديالكتيك الطبيعة ») يوافق هيوم: « بعد هذا » ليس «بسبب هذا » ؛ حتى اذا تكرّر مجيء ب بعد آ مليون مرة ، امام نطرنا ، فهذا لا يسوّغ القول ان آ سبب ب. ولكنْ « يختلف الأمر حين نحن نخلق ب بخلقنا آ . بتعبير آخر: ليس تسويغ السببية هو الملاحظة الحسية التجريبية العادية، بل الممارسة، الفاعلية الانسانية ، « الصناعة » (الصُنع) ، الانتاج .

[هيوم ، بركلي ، التجريبية ، المادية التجريبية ، الاحساسية ، الميكانيكية ، كنط ونقـــد المعرفة ، الخ ، كل هذا الكشف الايجابي والسلبي ، يفضي الى مقولة « الممارسة » ، الى الماركسية عبر هيغل] .

ومن جهة ثانية نلاحظ ان علاقة التسبيب (السببية) — التي هي علاقة موضوعية — ليست ، في المادية الديالكتية (وعند هيغـل) ، سوى احد أشكال الروابط في الطبيعة ، أحد أشكال الترابط الكلي — الكوني ، الذي هو أوسع بكثـــير وأكثر تنوعاً وتشعّباً من مفهوم السببية .

(*) بخلاف كنط الذي سوغ الدين على أساس الأخلاق .

[اوغست كونت Comte ، مؤسس المدرسة الوضعية الفرنسية Positi-visme الذائعة الصيت في المدارس ، متأثر بهيوم (ضد مفهوم السببية ، ضدّ الماهية؛ نزوع مثالي واضح وضيق تجريبي empiriste بالغ الوضوح في أفكاره*).

أفكار هيوم وأفكار بركلي وأفكار كنط كوّنت في نهاية القرن التاسع عشر مذهب التجريبية النقدية الذي أخذ مدّداً من أزمة الفيزياء الحديثة والذي نفذ الى صفوف الماركسيين الروس، فتصدّى له لينين في كتابه الفلسفي الأشهر..]

٩ . الماديون الفرنسيون في القرن الثامن عشر : لامتري ، هولباخ ، هلفيسيوس، ديدرو، وآخرون . واصلوا الاتجاه المادي في التجريبية الانكليزية وفي مذهب ديكارت ، بلوروا فلسفياً منجزات علوم الطبيعة ، كافحوا الكنيسة و «العهد القديم»، شاركوا مشاركة فعالة في إعداد الثورة الفرنسية البرجوازية. . ولكن المادية الفرنسية لا تتخطى بوجه الاجمال حدود المادية الميتافيزية، التصوّر الميكانيكي للحركة الذي يعتبر تغيرات الطبيعة محض تغيرات كمية ، والتصور المثالي للمجتمع وتطوره وظاهراته .

لا متري La Mettrie صاحب كتاب « الانسان — الآلة » (الانسان آلية بالغة التعقيد، ولامتري يحاول تعليل الظاهرات الفيزيولوجية بقوانين علم الميكانيك).

هيلفيسيوس يعلن المذهب الاحساسي sensualisme ؛ يكافح ضد الدين (يقول ان مصدره جهل البعض وخداع البعض الآخر ، يرى علاقة مباشرة بين الدين والطغيان) . حاول تطبيق المبدأ المادي على دراسة الحياة الاجتماعية ، فأعلن أن الانسان نتاج البيئة الاجتماعية ، غير انه رأى ان البيئة هي نتاج التشريع (« القوانين تصنع كل شيء ») ، والتشريع تقرّره الأفكار السائدة ، وبالتالي « إن الرأي l'opinion هو الذي يحكم العالم » .

---

* كونت يرفع لواء « الحالة العلمية » ضد « الميتافيزياء » ؛ والميتافيزياء هي في نظره الفلسفة، وهي في تصوره تضم جزءاً لا بأس به من العلم ، من العلوم : دراسة الافلاك النائية ، علم الفيزياء الفلكية، البحث عن بنية المادة، حساب الاحتمالات، فكرة الخلية الحية... كل هذا ميتافيزياء.

هولباخ صاحب كتاب « نظام الطبيعة »: الطبيعة أزلية خالدة ، كل حديث عن أرواح غير جسدية حماقة ؛ الانسان نتاج الطبيعة ، خاضع لها خضوعاً مطلقاً ، لا يستطيع الخروج منها حتى بالتفكير : هولباخ يعارض التيليولوجيا (الغائية) بالحتمية الميكانيكية ... أفكاره الاجتماعية مثالية : البيئة تؤثر على الشخصية ... ولكن « الرأي يحكم العالم » ؛ طريق التحرر هو نشر التعليم وانتصار العقل على الظلام ؛ (والأفضل : ثورة من فوق ، أي واقعياً الانتقال السلمي من النظام الاقطاعي إلى النظام البرجوازي ، بواسطة تشريع سليم مثالي كامل) ؛ الدين نتيجة الجهل .

ديدرو Diderot (١٧١٣ – ١٧٨٤) فيلسوف وأديب كبير ، مؤسس ومحرر الموسوعة [مع طائفة من العلماء والفلاسفة بينهم : هولباخ] متقدم على السلف وعلى العصر . فكرة تطور الكائنات الحية ، تحول الأنواع بالارتباط مع شروط معيشتها ، وردت عنده بشكل واضح* . الاحساس (الحس) صفة المادة ، كل المادة (قابلية الاحساس كامنة جامدة في الطبيعة غير العضوية ، وفاعلة في الطبيعة العضوية) . مصدر المعرفة البشرية هو الاحساسات المتولدة من فعل موضوعات وظواهر الطبيعة على الحواس . المفاهيم والأحكام الأكثر تعقيداً تعكس الارتباط الموضوعي الواقعي للظاهرات . التجربة هي محك الحقيقة . غير ان ديدرو لم يدرك دور الممارسة الاجتماعية في المعرفة . نظرته إلى المجتمع مثالية : النظام الاجتماعي يقرره التنظيم السياسي ، والتنظيم السياسي مشتق من التشريع القائم ، أي بالتالي من الأفكار السائدة في المجتمع . وديدرو يعول على قدوم مليك مستنير يقيم النظام المؤسس على العقل . (وبالطبع إن عهد العقل هذا لم يكن سوى عهد البرجوازية المرفوع مثالياً ، على حد قول انجلز) .

(*) كان العلم البيولوجي الناشيء لا يزال عند ثبات الأنواع . والعالم الكبير كوفيه Cuvier الذي عاش بعد نصف قرن ، ظل ، نتيجة عقيدته المثالية والميتافيزية والدينية ، متمسكاً بنظرية ثبات الانواع . متحايلاً على اكتشافاته الهائلة ذاتها .

١٠ كـنط Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) . فيلسوف ألمـــاني عظيم (وعالم فيزياء وفلك) . « حاصل » الفلسفات السابقة . على يده بلغت نظرية المعرفـة ذروتها . فلسفته الأصيلة تجمع عناصر مثالية - ذاتية ، ومادية ، وجدلية ، في منظومة واحدة هي حلقــة أساسية في تاريخ الفلسفة الكلاسيكية البادئة من ديكارت وبيكن ولوك والواصلة الى هيغل .

أشهر مؤلفاته الفلسفية : « نقد العقل الخالص » (او المحض) ؛ « نقد العقل العملي » (وهو جوهرياً فلسفة الأخلاق) ؛ « نقـــد الحكـم » jugement . وقـــد سمّيت فلسفته « مثالية نقدية » ، و « نقدية » (و « عقلانية نقدية » و « عقلانية معدّلة » ، الخ) .

كنط يقر بوجود عالم أشياء خارج وعينا (= موضوعيةً ، مـادية ً) ، هو عالم « الأشياء في ذاتها » ؛ ولكن هذه الأشياء في - ذاتها لا يمكن معرفتهـا (= مثالية ً ذاتية) ما نعرفه هو عالم الظاهرات، « الأشياء - لنا » . «الشيء - في - ذاته» هو اذن عالم - خارق transcendant ، فوق معرفتنا؛و كنط يدعو فلسفته « مثالية عليا خارقة » . لنحاول فهم منطق كنط الأساسي ولو بشكل مبسّط .

الأشياء المحسوسة متنوعة ، خاصة ، مفردة . ولكن معرفتنا فيها (فيهـــا دائماً) العامّ - الكلي . فمن أين يأتي هذا العام - الكلي ؟ إن عملية المعرفة هي التقاء الذات والموضوع (الذات العارفة وموضوعها) . بما أن الموضوع متنوع ، خاص ، مفرد الخ ، لذا فإن العام - الكلي الموجود في المعرفة مصدرُه الذات ، هذا الطرف الثابت الدائم الداخل في كل معرفة بحكم كونها معرفة . إنه القالب العقلي الذي ينصبّ فيه العالم ، في عملية المعرفة . الحس ، العقل ، الوعي ، أداةُ المعرفة ، تشوّه موضوعها، تصبغه بلونها الخاص المستقل. (مثَلُنا مثَلُ رجل محكوم عليه لكي يرى ان يحتفظ دائماً بنظارة زرقاء على عينيه ، انــه لن يرى اللون الحقيقي للأشياء في عمره . [[هذا هو الخط الجوهري للكنطية ، ولكل

كنطية . هناك « كنطية فيزيولوجية » محدثة : الادراك الحسّي «تشويه» للمنبّه بطبيعة الحاسّة . والحال ، هذا « الشيء في ذاته » - موجـــات كهرطيسية ، هوائية – ندركه ، نعرفه ، بالعلم والممارسة . الادراك الحسي ، صورنا ، مفاهيمنا ، قوانيننا العلمية هي صُوَر عن الواقع الموضوعي . الواقع الموضوعي لا حدّ له ، لا حدّ له في العمق أيضاً ، كذلك معرفتنـــا مستويات (في العمق) . المستوى الأعمق لا ينفي ، لا يلغي المستوى الأقل عمقاً ، موضوعية المستوى الاكثر عمقاً لا تلغي موضوعية المستوى الأقل عمقاً . الظاهرة الظاهر والجوهر . القانون (الضدان) مفاهيم نسبية مترابطة . معرفتنا ، كموضوعها (العالم المادي) ، لا حدّ لها ، عملية اقتراب لا نهاية لها]]

ما هو هذا القالب العام (القالب الذاتي الذي ينصبّ فيه موضوع المعرفة) ؟ انه المكان والزمان والسببية (والضرورة) تلك أشكالٌ قبْلية للوعي ، سابقة للتجربة ، وهي شرط التجربة وشرط كل إدراك . إنها موجودة فينا ، إنهـــا صفات ذاتية

إن الظاهرات (ميدان معرفتنا المشروعة الصحيحة ، القنوعة) هي نتـــاج التقاء « الأشياء في ذاتها » choses - en - soi وذاتنـــا القبْلية الموحِدة منشئة العام والكلي والوحدة ومحاولات العقل للخروج من حدوده المشروعة تقوده إلى تناقضات لا حلّ لها ، إلى ما يسمّيه كنط antinomies (تعارضات ، ثنائيات تناقضية). الثنائية التناقضية هي تناقض بين قضيتين متنابذتين وكلاهما صحيح . ويميّز كنط أربع ثنائيات تناقضية : ١) العالم محدود في الزمان والمكان ؛ العالم غير محدود في الزمان والمكان . ٢) كل شيء بسيط وغير قابل للتجزئة ؛ كل شيء معقد وقابل للتجزئة . ٣) الحرية موجودة في العـــالم ؛ لا وجود للحرية في العالم ، كل شيء ضروري . ٤) هناك سبب أول للعالم ؛ ليس هناك سبب أول . ويثبت كنط صواب القضية الأولى ، ثم يثبت صواب القضية المعاكسة

وفي هذا السير ، يجمع كنط أدلة وجود الله – المعروفة في تاريخ الفلسفة –

في ثلاثة أدلة فلسفية كبرى ، ويفنّدها تفنيداً فلسفياً جذرياً مثلاً : العالم ، نظامه الدقيق ، يحتاج إلى خالق - ضابط - كامل (مع التشبيه المعروف : الساعة والساعاتي أو صانع الساعة . هذه الحجة تدعى أحياناً حجة كاهن القرية) . ردّ كنط : العالم إما أنه كامل ، في هذه الحال هو الله ؛ وإما أنه غير كامل ، في هذه الحال ، لا نستطيع القول أن خالقه كامل ، كل ما يحق لنا قوله ان خالقه اكثر كمالاً منه ؛ هذا الخالق إذن يحتاج إلى خالق أكثر كمالاً وهكذا دواليك إلى ما لا نهاية الحجة ضد الحجة ، تفنيد البرهان (التأمل الاستدلالي ضد التأمل الاستدلالي) ، تلك هي مسيرة كنط [عن هذه الصفحات ، سيقول الشاعر هاينريش هاينه Heine : أنتم الفرنسيون تملكون روسو وروبسبيير ، قطعتم رأس مليك ، نحن الألمان نملك كنط وكتاب « نقد العقل الخالص » الذي أعدم مذهب الألوهية] . هذه المسيرة البرهانية تدفع اللاهوت إلى اللجوء إلى مبدأ الإيمان ، وإلى حاجات المجتمع والضرورة الأخلاقية (وكتاب « نقد العقل العملي » لكنط يدفع في هذا الاتجاه ، ويقدّم الحجج)

ولا ريب ان ثنائيات كنط التناقضية (تناقضات العقل عند كنط) تحوي عنصراً ديالكتياً . ولكن هذا الديالكتيك ذاتي ، موجّه ضد إمكانية المعرفة ، لا أدري ، في خدمة الايمان الديني. وهذا الديالكتيك - كديالكتيك ، كتصور للتناقضات - محدود . يقول لينين : « عند كنط ، هناك أربع تناقضات ثنائية . بالحقيقة ، كلُّ مفهوم ، كل مقولة ، تناقضية بشكل مساوٍ » في المادية الجدلية ، تناقضات المفاهيم تعكس التناقضات الواقعية ، صراع الأضداد هو أساس نمو - تطور العالم المادي

عند كنط ، المقولات (في « التحليل العالي - الخارق) التي ترسم حدود الحقيقة هي نتاجات لقوة وليست صفات لماهية . وهي توضع بمناسبة «التجربة» ولكنها تتجاوزها . الكم والكيف (الصفة) والعلاقة والنمط هي صنوف الحكم ؛ كل صنف يشمل ثلاث مقولات ، هي مفاهيم قبلية a priori للفهم الخالص . هذه المقولات (هذه الثلاثيات الكنطية) هي في الكم : وحدة ،

جامعة كلية ، تعدد ؛ في **الكيف** : واقع ، نفي ، تحديد ، وضع حــدّ) ؛ في **العلاقة** : ماهية ، سببية ، تبادلية ؛ في **النمط** : إمكان ، وجود ، ضرورة

هذه خلاصة فلسفة كنط النظرية (مؤلف « نقد العقل الخالص » ومؤلف « نقد الحكم » وسواهما) .

في كتابه «نقد العقل العملي» ، يعرض كنط فلسفته الاخلاقية : الوجدان ، الواجب ، الحرية* ، الانسان : « إعمل بحيث تعامل الانسانية في شخصك وفي الغير دائماً على أنها غاية ، وأبداً على أنها وسيلة » . ويعيد الاعتبار إلى الدين ، إلى وجود الله وخلود النفس ، كضمانة للسلوك ، للاخلاق (القانون الاخلاقي في قلوبنا دليل على وجود الله) . من البداية ، كان كنط قد عرّف مشروعه الفلسفي بقوله : اضطررتّ إلى الحدّ من المعرفة لأفسح المجال للايمان .

في الميدان الاجتماعي والسياسي ، كان كنط من دعــاة الحرّيات المدنيّة والسلام الأبديّ وقد فهم ضرورة بعض الاصلاحات الاجتماعية ، ولكنه كان معارضاً لفكرة العنف الثوري . إنه ، في فلسفته الأخلاقية والعامة وفي آرائه الاجتماعية والسياسية ، أحد كبار ممثلي النزعــة الانسانية البرجوازية العظيمة للقرن الثامن عشر (مع جان جاك روسو ، وفيخته ، وعدد من رجالات الفكر والأدب والفلسفة والعلوم في عدد من أقطار أوروبا عصر الأنوار)

ولقد كان الفيلسوف كنط عالماً كبيراً صاغ فرضية عظيمة عن أصل النظام الشمسي (المجموعة الشمسية) ، لعبت دوراً كبيراً في تحطيم التصوّر الميتافيزي للعالم ، التصور الذي كان ينفي التطوّر** . عنوان مؤلفه « التاريخ الطبيعي للعالم ونظرية السماء » [هذه النظرية تُعرّف في علم الفلك بنظرية كنط ـ لابلاس ، وهي أحد الروافد العلمية القائدة إلى ديالكتيك هيغل] .

(*) الضرورة حاجة للعلم ، الحرية للاخلاق (كأساس للمسؤولية) .

(**) المجموعة الشمسية لها تطور ، تاريخ ، نشوء ، أصل . ثم ، كذلك الأنواع الحية . كان ذلك انقلاباً كاملاً في المعرفة ، في تصور العالم ، في النظرة إلى الأمور .

هيغل ، انجلز ، لينين ، دحضوا فكرة « الشيء في ذاته » الذي لا يمكن معرفته ، استناداً إلى معيار الممارسة ، الفاعلية الانسانية ، الانتاج ، التجربة . (كل الأشياء ، الكون كله ، هو شيء في ذاته ، أشياء في ذاتها ؛ العمل يحوّلها إلى أشياء لنا . الأشياء غير معروفة ؛ بالعمل ، بالفاعلية ، بمطابقة النتائج على التوقعات ، تصبح معروفة . ماذا يبقى ؟ شيء - في - ذاته — لا يمكن معرفته ؟ — تجريد فارغ !) - عند كنط ، السلوك ، العمل ، « العقل العملي » ، يبدو ميدان الأخلاق ؛ بينما ميدان الفلسفة العامة هو « العقل الخالص » (pure ، المحض ، الطاهر) ؛ العقل الخالص واهم ، والعقل العملي معصوم عن الخطأ (وفي نهاية المطاف ، هذا العقل العملي ، الأخلاقي يحكم الفلسفة العامة).

(١١) ياكوبي Jacobi (١٧٤٣ – ١٨١٩) : فيلسوف المـاني ، عرّف المانيا بمذهب سبينوزا . كان بيته الريفي ملتقى أبرز مفكري العصر . عارض التمذهب والتعصب .

(١٢) فيخته Fichte (١٧٦٢ – ١٨١٤) . فيلسوف الماني كبير ، مثالي ذاتي .

كان تلميذاً لكنط ، ولم يلبث أن أخضع للنقد العنصر المـادي في مذهب معلمه ، ألا وهو القبول بوجود « شيء في ذاته » . جعل من « الأنا » الواقـع الوحيد ، القوة المنشئة الكلية القدرة، التي منها تنبع كل الأشياء ولكن هـذا الأنا ليس وعي فرد ، بل « وعي الذات » للانسانية كافـة « أنا » فيخته هو العقل وهو أيضاً الارادة ، هو المعرفـة وهو أيضاً الفعل (العمل) . إن الصفة النوعية للعقل ليست تأمل الوجود أو نسخه بل هي خلقه . « العمل ! العمل ! تلك هي علة الوجود !».

هذا الموقف ، هذا التأكيد على العمل ، يجعل من فيخته أحد أسلاف المادية الجدليـة والتاريخية . ولكن المادية الجدلية والتاريخية (وهيغل من قبلها) لا تفصل العمل الانساني والعالم المادي ، لا تجعل العالم المادي محض مخلوق للفاعلية

الانسانية ، بل تعتبره أولاً قاعدتها الموضوعية ، وتعتبر الفاعلية البشرية تثبيتاً لموضوعية هذا العالم (لماديته) واختباراً واكتشافاً لقوانينه .

عيب فيخته هو إذن في المثالية الذاتية وقد بيّنا سابقاً أن المثالية الذاتية (نفي موضوعية العالم المادي) تقود إلى المذهب الوحيدي (الايمان بأنني أنا وحدي موجود) . فيخته يتلافى هذا المأزق بتأكيده ان « الأنا الأساسي » هو الوعي البشري الكلي الكوني الذي لا يتطابق مع الوعي الفردي ، بل هو سنده وأساسه . من هـذا الوعي البشري فوق الفردي يستنتج فيخته وجود البشر الأفراد ، « الأنوات » (جمع الأنا) الفردية التجريبية المحسوسة . والحقيقة أن هذه المحاكمـة الاستنتاجية هي في جرد فلسفة فيخته ذروة التأمل الاستدلالي الميتافيزي الفارغ .

ولكن يبقى الجـانب الايجابي الكبير : إن فيخته يؤكد ، بشكل مثالي مصوّف ، ان الانسان يحوّل الطبيعة ويحوّل نفسه ، أن موضوع المعرفـة هو موضوع الفاعلية البشرية . بعكس الماديـين الميتافيزيين (بعكس « المادية السابقة » لماركس كلها) الذين كانوا يرون ان المعرفة هي نتـاج فعل الأشياء الخارجية في ملـكات الانسان المعرفية ، برهن فيختـه ، ولو في شكل مثالي ومصوّف ، ان الانسان لا يعرف الموضوعات إلا بأن يفعل فيها ، بأن يحوّلهـا وأن يخلقها ؛ لقد أدرك فيخته الطابع الديالكتي للمعرفة والعمل ، التفاعل بـين الذات والموضوع ، بين النظرية والممارسة .

والجدير بالإشارة أن النظرة السابقة الى المعرفة (المعرفة نتاج فعـل الاشياء الخارجية في ملكات الانسان المعرفية بدءاً من الحواس ، نتاج فعـل الموضوع في الذات المنفعـلة المتلقّية) هي موقف تاريخي عريق ، راسخ ومديد ، للفكر الفلسفي ، يتخطى تيار المادية السابقة لماركس الى الاتجـاه او العنصر المادي ــ الموضوعي في المثالية أيضاً : من أرسطو والمدرسة المشائية* ، الى توما الاكويني والسكولاستيك ، الى « فيزياء » ديكارت ، والتجريبية المادية ومفهوم «التجربة»

---

* سميت هكذا ، لأن المعلم (أرسطو) كان يعلم وهو يمشي (وهو يتنزه) .

التجريبي empiriste مع مناهضة أو إذلال « العقل » ، والموقف « المعاكس » (تمجيد « العقـــل » – القالب والفكـر الفطرية) ، الى المادّية الفرنسية أو الانـكلو – فرنسية (ومذهبها « الإحساسي ») .

[[في « الاطروحات عن فويرباخ » (١٨٤٥) ، التي تمثّل بداية الماركسية وأساسها الفلسفي الصلد النهائي ، يقول ماركس : « إن العيب الرئيسي للمادية السابقة كلها ، بما فيها مادية فويرباخ ، هو أن الشيء [الموضوع ، Gegenstand ، « ما يقف تجاه » ، العالم الموضوعي] ، الواقع ، العالم الحسّي ، لا يُنظر اليه فيها الا في شكل موضوع أو تأمل [حدس ، intuition, contemplation حسب الترجمات ، الكلمة الألمانية Anschauung تفيـــد المعنيين وتفيد أيضاً الرؤية وطريقة الرؤية والرأي] ، وليس كفاعلية انسانية حسّية ، كممارسة ، ليس ذاتيــاً . لذا فان الجانب الفاعل قد طوّرته [أنمته ، بسطته] المثالية ، في تعارض مع المادية ، - ولكن على نحو تجريدي فقط ، ما دامت المثـالية لا تعرف بطبيعة الحال الفاعلية الواقعية الحسية من حيث أنها فاعلية واقعية حسية . . . » (الاطروحة الأولى) . . . « لم يفعل الفلاسفة سوى تفسير [تأويل] العالم بطرق مختلفة . والمطلوب الآن تحويله » (الأطروحة الأخيرة)]]* .

إن مأثرة فيخته (وبعض الآخرين) دلالة على ان التاريخ وصل إلى انعطاف . هذه المأثرة كلها ، المشوّهة المصوّفة مثالياً كلّها ، ترتبط بعصر الثورة الفرنسية وتطلعاته ، بالأهداف والآمـال العظيمة لطلائع العصر (العقل والارادة ، المعرفة والفعل ، الانسـان – الانسانية ، وعي الذات للانسانية ، والوعي خالق الكون . - [نسف العالم وإعادة صنعه على أساس العقل ، « شروق شمس رائع » ، هكذا تقول الثورة الفرنسية بلسان هيغل)] والمثالية ، التصويف ، التشويه ، الشطح المثـــالي المفرط ، يرتبط بحدود الثورة (البرجوازية) ، بالانفصال ، بالطلاق بين التطلع العقلي (الانسـاني) المطلق الذي لا حدّ له وبين

(*) بمفردات هيغل وقارئه لينين نقول : المادية من هيرا كليت إلى سبينوزا الخ فاقدة « لحظة الذاتية » . المثالية التي من طراز فيخته (وربما جزئياً كل مثالية) تسد هذا ، صوفياً .

واقع التاريخ ومرحلته . (إن موقفاً مادياً علمياً ما كان يمكن أن يكون إلا موقفاً برجوازياً واعياً برجوازيته . الفلسفة الماركسية، ايديولوجيا البروليتاريا، هي التي ستجمع، ستوحّد عضوياً ، المادية والفاعلية، الموضوعية والذات الفاعلة الواعية. تلك ستكون المادية – التاريخية - والجدلية)

في المجال الاجتماعي والسياسي ، عارض فيخته القنانة واستبداد الأسياد وصغار الملوك الاقطاعيين ؛ وقف ضد الغزو النابوليوني ، رفع لواء الوحدة والحرية لشعبه (مع المبالغة القومية في تقدير الدور التاريخي لألمانيا) [إثر الغزو النابوليوني وسقوط المانيا تحت حكم الفرنسيين ، تحوّل فيخته من الانسانية – الكوسموبوليتية (اللاقومية) الى القومية الألمانية . هذا لا يعني انه تخلّى عن موقفه الأصلي (تثمين الثورة الفرنسية) او اعتبر موقفه الجديد (القومي – الالماني) مناقضاً لمنطلقه (الانساني). منحه الاساتذةالألمان لقب philosophus teutonicus (الفيلسوف الجرماني) . أثّر تأثيراً بالغاً على ساطع الحصري والفكر القومي العربي . وصفه أحد الفرنسيين بأنه: « ابن الثورة الفرنسية وأبو الوحدة الالمانية »].

مؤلفاته الرئيسية : نقد كل وحي (١٧٩٢)، **مذهب العِلْم** (١٧٩٤)،... خطابات الى الأمة الالمانية (١٨٠٨) .

١٣ شِلِنغ Shelling (١٧٧٥ ١٨٥٤) ممثل بارز للفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، مثالي . واصل فيخته ؛ ولم يلبث ان اتجه نحو « المثالية الموضوعية » ، فأنشأ « فلسفة الهويّة » : إن تماثل الوجود والفكر ، المادة والروح ، الموضوع والذات، هو المبدأ الأول، السببُ الأصلي للكون بتعبير آخر : وراء (فوق، قبْل) الذاتِ والموضوع، الروحِ والطبيعةِ ، يوجد مطلقٌ [مثالية موضوعية، مثالية عليا – خارقة] هو أصلهم وعلة وجودهم وهم تجسيدٌ له ؛ هذا ما يدعوه مبدأ « الهوية » وأيضاً مبدأ اللااختلاف أو اللامبالاة principe d'indiffé-rence . والحال إن هذه الهوية المطلقه ، المتساوية ، الخ ، عاجزةٌ عن تفسير

الحركة والتغيّر والتنوّع الخ غير ان شيلنغ يعزو اليها إرادةً وفعلاً غير واعيين. هذه الفاعلية تولّد الطبيعة ثم الفهمَ الانساني . وهكذا تكون الديناميكية الذاتية (الداخلية) للروح الكلي الكوني هي تطور الطبيعة نفسها ، صعودها التقدّمي . مصدر هذه الحركة هو وحدة وتفاعل قوى متضادّة .

إن شيلنغ يعطي اذن عناصر جدلية بارزة (تطور صاعد ، تناقض) غارقة في تصويف مثالي ميتافيزي (الروح الكلي ، الهوية المطلقة ، المطلق) في هذا الاطار المثالي والجدلي المشوّه، يحاول أن يُدخِل اكتشافات العلوم (اكتشافُ الكهرباء الموجبة والسالبة يوحي له بفكرة «الثنائية الكلية - الكونية» باعتبارها الجوهر الروحي لكل العمليات الطبيعية) . ومثل علماء الطبيعة الأكثر تقدماً في عصره ، رفض شيلنغ « الفلوجيستيك »* وكل « الموادّ الخاصة » الضوئية ، الكهربائية ، المغناطيسية ، الـخ (فكرة هذه المواد الخاصة كانت سائدة في عصره ، وهي ما تزال موجودة بين الجمهور) ؛ وقد استبق اكتشاف العلماء للارتباط بين الكهرباء والمغناطيس. غير أن هذه المآثر الفلسفية الجدلية شُوّهت بالمذهب الأساسي المثالي : لم يعتبر شيلنغ الكهرباء والمغناطيس والضوء أشكالاً لحركة المادّة ، بل نوعاً من سوائل روحية (او شبه روحية) سابقة للمادة وهي تؤلف خصائص المادة وتراكيبها (إن مبدأ الهويّة ، لا تمايز ، لا تفارق الذات والموضوع ، الروح والمادة ، يلغم كل مسيرته الفكرية) .

وقد حاول شيلنغ ان يطبّق فكرة الصيرورة على التاريخ البشري ، مثالياً: اعتبر هذا التاريخ تحضيراً وظهوراً وازدهاراً لنظام هو « نظامُ حقٍ régime de droit (هو المجتمع البرجوازي ، محوّل مثاليــاً idialisé) . وطرق موضوع الضرورة والحرية ، طرقاً فلسفياً - ألمانياً

[[الفلسفة الألمانية المثالية الكلاسيكية تلمّست هذه المسألة تلمساً جدليــاً عميقاً وعالياً ، مرتبطاً بالتاريخ والفاعلية التاريخية للبشر : الحرية هي الارادة ، العمل، العمل الهادف، تحقيق الهدف (الهدف المصيّر غايةً مثالية، تيليولوجيا).

---

* مادة خاصة سائلة ، وهمية ، تخيلها الاقدمون لتفسير الاحتراق .

بأشكال مختلفة ودرجـــات متفاوتة ، اتجهت نحو فكرة ان الحرية هي فهم الضرورة ، هي الضرورة الواعية (التي جرى وعيها) ، المعروفة. والذروة هي هيغل . سنقرأ ما يقوله لينين عن هيغل : بذرةُ المادية التاريخية يجدها لينـين المادي في هذا القسم من مذهب هيغل: الفاعلية الانسانية ، الغاية ، تحقيق الغاية ، التيليولوجيا (الغائية المثالية) — أما الفلسفة الفرنسية فقد دارت بين فكرة التحكيم - الحرّ أو الاختيار الحرّ Libre - arbitre الكاثوليكية الروحانية (مع تيار روحاني مقابل : جبْرية قدَرية إلهيـة من أوغسطين الى باسكال) ؛ وبين حتمية ميكانيكية للماديين الميتافيزيين (الذين يفصلون الضرورة والحريـة كمفهومين متنابذين ، ويرفضون مفهومَ « الحرية » كلّه في حربهم ضدّ قصة التحكيم الحر الكاثوليكية) . الفرنسيون (وآخرون ، بينهم ألمان) يركّزون المسألة على الفيزياء (الطبيعة) وعلم النفس والأخلاق والدين (التاريخُ ، عنـد اوغسطين — السابق لوجود فرنسا ووجود اوروبا الغربية - ظلّ باهت للخالق مسيّر الكون ، منفّذ مباشر لإرادته وغايته الدينيـــة ؛ والاسقف بوسويه Bossuet في القرن السابع عشر متقدّم قليلاً ، نحو الفهم العقلي ، نحو السببية ، يرى « وساطة » ، يرى « أسباباً ثانية ») ، الألمان . أي فلاسفة نهاية القرن الثامن عشر — أوائل القرن التاسع عشر ، أي ذروة الفلسفة الكلاسيكية ، وضعوا مسألة الحرية والضرورة على صعيد التاريخ*]] .

وقد أدان شيلنغ الاقطاعية والاستبداد ، « عسْفَ المشرّع والحاكم » ، بدلاً من « حكم القانون » .

في الفترة الأخيرة من حياته ، تحوّل شيلنغ تحولاً رجعياً متعاظماً (انطلاقاً من العناصر الأكثر مثالية في مذهبه ، وفي مناخ الاطار الالماني والاوروبي) ، في الفلسفة والسياسة : حقّر العقل باسم الايمان ، أذلّ المحاكمة (الاستدلال) باسم الحدْس (أي أقام المعرفة المباشرة ضد المعرفة غير المباشرة ، الموسّطة ،

(*) بليخانوف ثمن هذه المسألة عند شيلنغ . انظر مؤلفه « فلسفة التاريخ » . فصل « فلسفة التاريخ عند شيلنغ » دار دمشق ، ١٩٥٧ .

اي فصل بين الأثنين ، ونظر اليها نظرة تمارض وإطلاقيـة ميتافيزية . هيغل فعل العكس ، بيّـن العكس) ، أنشأ فلسفة الوحي ؛ عيّـن استاذاً في جامعة برلين ، كافح الهيغليين - الشبّـان خصوم الدين وممثلي البرجوازية الراديكالية

أهم مؤلفاته : «منظومة [مذهب] المثالية العليا – الخارقة » ، عام ۱۸۰۰ .

(١٤) هيغل (۱۷۷۰ ـ ۱۸۳۱) . مؤسس الديالكتيك الحـديث ، منهج ونظرية الترابط والتغير والتناقض ، الكلي– الكوني . فيلسوف مثالي ، طريقته ديالكتية (إذن مفتوحة) ثورية ؛ منظومته مثاليـة (إذن مغلقة) محافظة ، رجعية أعظم سلف من أسلاف الماركسية [أعظم مصدر أو منبع لهـا في الفلسفة ؛ والفلسفة هي المصدر الأول في مجموع المصادر الثلاثـة للماركسية : الفلسفة الكلاسيكية الالمانية (خاتمة الفلسفة الأوروبية) ، الاقتصاد السياسي الانكليزي . (أو الفرنسي - الانكليزي) ، الاشتراكيـة الفرنسية (أو الفرنسية – الانكليزية)]. ذروة الفلسفة الكلاسيكية الالمانية والعالميـة . جامعة معارف عصره (الفلسفة ، علوم الطبيعة ، التاريخ ، عـلم الاقتصاد الناشيء ، القانون ، الفنون الجميلة ..) . مذهبه الديالكتي خلاصة متقـدمة لمعارف العصر ، وبشكل أوسع محاولة تنظير لممارسة العصر الاجتماعية والسياسية والعلميـة [كان عصرَ تناقضات وصراعات وقفزات وانهيارات : الثورة الفرنسية ، حروب نابوليون والملوك والأمم ، الانقـلاب الصناعي البادىء ؛ أزمة وثورة علوم الطبيعة : حفظ المادة ، وحدة وتحوّل الطاقة ، الخلية الحية ، مذهب تطور الأنواع الحية = ظهور الكيمياء العلمية ، ظهور البيولوجيا . — في القرن السابق ، كانت الفلسفة تحت سلطة الرياضيات والميكانيك].

حسب مذهب هيغل المثالي (« مثالية موضوعية » و « مثالية مطلقة ») ، توجد فكرة Idée مطلقة (؟ = صوفية !) ، سابقة للطبيعة والانسان ، هي أساس العالم وهي بحكم جوهرها مبدأ فاعـل ، فاعليتها تعبّر عن نفسها في الفكر (أي في عملية الفكر ، في التفكير) ، في « معرفـة الذات » (أي في

معرفة الفكرة لذاتها) . الفكرة المطلقة تتضمن تناقضات داخلية ، بموجبها تتحرّك وتتغير ، فتتحوّل إلى نقيضها (إلى ضدّها) . خلال هذا الانبساط - النمو الجدلي ، تمر « الفكرة » بثلاث مراحل كبرى :

الأولى هي المرحلة المنطقية ، (السابقة للعالم) ، حيث الفكرة المطلقة ما تزال تعمل « داخل عنصر الفكر الخالص » ، أي حيث تتجلّى كمنظومة من المفاهيم والمقولات المنطقية ، كمنظومة منطق . هذا الجزء من فلسفة هيغل معروض في كتاب « علم المنطق » الصادر في سنوات ١٨١٢ ١٨١٦ .

[يمكن ان نبسط بداية منطق هيغل على النحو الآتي : الوجود (الكينونة) ، الوجود العام أو المطلق ، الذي ليس سوى وجود ، الذي ليس له أي تعيين ، أي صفة (أي وصف آخر سوى انه موجود) ، أي تحديد وحدّ ، الوجود الخالي من اللاوجود ، هذا الوجود غير موجود . الوجود يضع اللاوجود فوراً . الوجود واللاوجود ، أو الوجود - اللاوجود ، وحدة الوجود - اللاوجود = الصيرورة ، التغيّر* التناقض ، الصيرورة هما في المنطلق ، هما المنطلق . تلك هي بداية المنطق الديالكتي ، المنطق ، الديالكتيك . مادياً ، من وجهة نظر مادية ، لا يمكن ان « نفلت » من هذه البداية ، من حيث انها المنطق ، الديالكتيك ، الطريقة ، المنهج المثالية ، الصوفية ، التصويف المثالي هو في « الفكرة » (« الفكرة » الموجودة وجوداً موضوعياً ، سابقاً ، « الفكرة » التي هي الأصل ، أصل الوجود الحقيقي المادي) ، في « الفكرة » وفاعليتها واكتشافها لتناقضها الخ الخ]

في المرحلة الثانية ، « الفكرة » تستحيل (تتحوّل) إلى طبيعة (بموجب المنطلق نفسه) ؛ الطبيعة تجسيد للفكرة المطلقة (الفكرة « تنخلع » إلى طبيعة) ، الطبيعة هي نفي الفكرة ، وهي تنبسط تتطوّر في المكان (وليس في الزمان) . [وهذا من قبل هيغل « حدّ » للديالكتيك ، قصور عن الديالكتيك في مضمار

(*) وقد رأينا (انظر هيراكليت) ان هيغل ينقل ويؤكد هيراكليت : الوجود ليس موجوداً أكثر من اللاوجود .. كلاهما تجريد .

الطبيعة]. هيغل يعرض هذا القسم في مؤلف « فلسفة الطبيعة » .

المرحلة الثالثة ، العليا ، الأخيرة ، في تطور « الفكرة » ، هي مرحلة « الروح المطلق » . الفكرة المطلقة التي كانت قد نفت نفسها في الطبيعة ، تنفي الطبيعة نفي النفي) ، وتعود إلى نفسها (تسترجع الانخلاع) ، والصيرورة تتواصل في ميدان الفكر الذي بات الآن هو الفكر الإنساني : الوعي الفردي ، الوعي الاجتماعي ، الدين والفن والفلسفة التي هي ذروة ونهاية معرفة الذات . (الفلسفة هي المعرفة المطلقة ، وفلسفة هيغل ذروة تطور « الفكرة ») . هذا القسم الثالث ، هذه المرحلة الثالثة هي « فينومينولوجيا الروح » .

ذلك مذهب مثالي . المثالية في المذهب ، في المنظومة الفكرة المطلقة ، الروح المطلق ، تسمية جديدة لله ، هكذا يقول الماديون [وهو قول صحيح ولكنه أحادي ، غير مستنفِد]. ولنقل ان المثالية هي في الاساس ، في الانطلاق ، في المرحلة الأولى ، في « الفكرة » التي ليست فكر البشر ووعي البشر ، بل هي وجود موضوعي مستقل ، أعلى ، للفكرة ، للمنطق بالحقيقة ، هذه الفكرة المطلقة لا يمكن ان تكون سوى تصويف وتأليه للفكر البشري ، ليست سوى نتاج فلسفي لفرد بشري مادي ، والتاريخ ليس انبساطاً للمنطق . (والجدلية المادية ، الماركسية ، تقلب هيغل مادياً) .

ولكن هنا أيضاً ، في هذه الانطلاقة المثالية ذاتها ، في هذه المرحلة الأولى (« علم المنطق ») ، عظمة (بل ومادّية !) هيغل الجدلي المثالي . من يتصوّر أن الماركسية تثمّن المرحلة الثانية (فلسفة الطبيعة) ، أو الثانية والثالثة (فلسفة الفكر البشري ، « فينومينولوجيا الروح » : الوعي الفردي ، الوعي المجتمعي ، الدين ، الفن ، الفلسفة — وهي مليئة بتعليلات مادية ومادية اجتماعية تاريخية ، بل ومادّية « مزاودة » إن صح القول — مادية « جغرافية » — !) ، على حساب وضدّ المرحلة الأولى ، باعتبار ان « الفكرة » الخالصة وَهْم مثالي ، واهمٌ ، عليه أن يدرس ماركس ولينين (دفاتر لينين) . حين يضفي هيغل صفة وجود موضوعي على « الفكرة » ، حين يفصلها مثالياً

وصوفياً عن أفكار البشر ، حـــين يؤلّهها في شكر الفكرة المطلقة ، فانه مستوعبٌ فيهـا الطبيعة والتاريخ سلفاً . هذا الاستيعاب هو بحد ذاته مثالية (ومثالية مطلقة) ، ولكن هذه المثالية هي مثالية ذات محتوى مادي كبير . هيغل نابذٌ المثاليـــة الذاتية لبركلي ، هيوم ، كنط ، فيخته ، نابذ اللاأدرية [ونابذٌ اللاعقلية (الحدْسية ، الايمانيـــة) ، الريبية ، « النسبية » ، السفْسطة الخ] ، يقيم منهج المعرفة (الديالكتيك) معرفـــة الكون المادي — في هـــذه المرحلة الأولى ، في هذا « المنطق » كما يقول لينين في خلاصته لهذا المنطق : « من المثير للفضول أن كل الفصل المخصّص للفكرة « المطلقة » [...] يـكاد لا يحتوي على أية مثالية نوعية (خاصة) ، بل إن موضوعه الجوهري هو الطريقة الديالكتية إن حاصل وخلاصة ، آخر كلمة وجوهر منطق هيغل هو الطريقة الديالكتية — هذا أمر بالغ الأهميـة . وأيضاً هذا : في المؤلف الأكثر مثالية لهيغل يوجد أقل ما يمكن من المثالية ، أكثر ما يمكن من المادية هذا أمر « متناقض » ، ولكنه واقع (حقيقة) ! »

وبدهي أن هذا القول اللينيني لا يحذف حرفاً من قول ماركس في « رأس المال » : « إن طريقتي الجدلية ، ليس فقط تختلف عن طريقة هيغل بالأساس ، بل هي عكسها بالضبط بالنسبة لهيغل ، إن حركة الفكر الذي يشخصه [يجعله شخصاً ، ويمكن أن نقول : شخصاً — أقنوماً] تحت اسم الفكرة هي خالقة الواقع ، الذي ليس سوى الشكل الظاهراتي للفكرة . بالنسبة لي ، على العكس ، إن حركة الفكر ، ليست سوى انعكاس [وتفكير = réflexion] الحركة الواقعية المنقولة والموضوعة في دماغ الانسان » .

الاختلاف بين ماركس وهيغل هو جوهرياً بين المادية والمثالية ، بين التصوّر العلمي الكامل الخالص (بدون أية إضافة غريبة) وبين تصوّر مصوّف (أضاف في الأساس وبالتالي في كل الأجزاء إضافة غريبة) ؛ وهو في الطريقة ، في الديالكتيك — بين ديالكتيك منسجم إلى النهاية وديالكتيك يُرتج على نفسه ، يُجري عملية حذف هنا وهناك ، يلغم الانطلاق ، يغلق التطوّر في « نهاية » الخ

طريقة ماركس الجدلية هي عكس طريقة هيغل الجدلية ، وماركس في « رأس المال » ، في المكان نفسه الذي نقلنا مقطعاً منه ، يعلن دَيْنَه لهيغل) .. هي عسكها بالضبط ، أو عكسها الدقيق l'exact opposé ، هي ضدّها والماركسي لا ينسى وحدة ، تماثل ، الضدين ديالكتيك ماركس المادية ليست عكس مثالية بركلي أو ديالكتيك أفلاطون ، ليست عكس عقلانية ديكارت وتجريبية لوك أو هيوم ... ، انها عكس ديالكتيك هيغل المثالية ومادية ماركس الديالكتية ليست عكس (؟) مادية فويرباخ أو ديدرو أو بيكن الميتافيزية أو الميكانيكية الخ ؛ ليس لها بها هذا النوع من الصلة ، من الارتباط ، من الهوية ، رغم هويتها المشتركة المادية ! — إن مادية بيكن ، تولاند ، هلفيسيوس ، ديدرو ، فويرباخ ، اللاديالكتية ، المناهضة للديالكتيك ، لا « تقلّب » فتصبح ديالكتية وثمة في هيغل بذرة من مادية تاريخية (بذرة في الأساس ، في « المنطق » ، وأفكار مادية تاريخية في جرد المحتويات ، في الفينومينولوجيا والطبيعة) ؛ ولا نعتقد انه من الممكن أن نتحدّث عن بذرة مادية تاريخية في « المادية السابقة » ، في اساس هذه المادية السابقة (مع احتمال وجود ووجود أفكار مادية تاريخية في جرد محتويات هذا أو ذاك من الماديين السابقين عبر التاريخ) ، رغم أن أساس هذه المادية السابقة هو المادية (بحكم التعريف)

إن هيغل مؤسس الديالكتيك الحديث * الذي هو منهج ومذهب الترابط الكلي — الكوني ، الحركة (الصيرورة ، التغير ، التطور — النمو — الانبساط التقدّم développement ، نشوء وزوال ، ولادة وموت كل الأشياء الخ) ، تحوّل الكم إلى كيف (التطور ليس متصلاً وحسْب ، بـل هو ينطوي على الاتصال والانقطاع ، فيه تدرُّج وفيه قفزات ، التغيرات الكمية تؤدي بتراكمها إلى تحوّل في الكيـف ، في الصفة ، في الطبيعة ، التطور يحتوي على قفزات

(*) هذه حقيقة يؤكدها لينين على الدوام ، مع أن لينين شجب على طول الخط ، ويحارب بلا رحمة « مثالية هيغل » ، عداءه لديمقريط وأبيقور ، سخافاته وافتراءاته ضد المادية ، تأملاته العقيمة ، « صوفيته الفكرية » ...

وانفجارات وانهيارات) ، صراع الأضداد (وحدة وصراع الأضداد ، التناقض - الذي هو دافع الحركة ، مصدرها ؛ التناقض في صلب الأشياء ؛ الذي هو قوام العملية ، قوام السير التحوّلي أو التطوّري processus ، انشطار الواحد إلى اثنين ، النفي - النفي ونفي النفي الخ*) ، وكتحصيل حاصل (كنتيجة ، كجزء ، كتماثـــل مع الترابط والصيرورة والتناقض) : « الانتقالات » ، التدرجات (انتقال شيء إلى آخر ، مضى شيء في آخر ، حالة في أخرى) ، نسبية الحـدود ، نسبية كل المقولات (ولا وجود بدون النسبة ، العلاقة) ، مستويات الشيء ومعرفته ، النهايات الصغرى ، النهايات الصغرى أي الصغيرات إلى ما لا نهايـة ، حساب التفاضل والتكامل (النهايات الصغرى* منطقة تخوم الوجود واللاوجود، الانتقال من الوجود إلى العدم ، منطقة الولادة والموت ، الظهور والاختفاء) ، وأخيراً وليس في المقام الأخير : الممارسة ، فاعلية الانسان وهدفها (وهنا عند الغاية المصوّفة لدى هيغل تيليولوجيا، وداخل الجزء الثاني من المنطق «المنطق الذاتي لمذهب المفهوم » ، باب « الموضوعية » ، يقول لينين : « الماديـــة التاريخية كأحد تطبيقات وإنماءات الأفكار العبقرية الموجودة في شكل بذرة عند هيغل » ، ثم يقلب العلاقة بـين صور المنطق والفاعلية العملية للانسان) ، الحسْم التاريخي** ، والحلقة الحاسمة

ونقائص الديالكتيك الهيغلي تدخل في هذا الاطار العظيم ذاته ، لا تلغيه ، لا تحجبه ، لا تقلل من قيمته الجوهرية (والتفصيلية) : إهمـاله أو تقريباً السكون ، والانتكاس (وهذا قصور في المادية وفي التاريخية وفي الديالكتية) ،

(*) احتمال الواحد بالمئة لحق تقرير المصير قبل انتصار الثورة الاشتراكية (في مجادلة لينين مع روزا اوكسمبورغ ، بياتاكوف) .

(**) حسم لينين في ١٩٠٠ ، ١٩٠٣ ، الخ الخ ، في اوكتوبر ١٩١٧ . ضرورة الحسم العربي الآن (الحرب في ١٩٧١ ، في ١٩٧٣) - أي أولا توفير شروط هـذا الحسم . التدهور الحالي ليس في هذا الاتجاه ، أو أنه في هذا الاتجاه ولكن زائفا ، عكسيا .. ولكن من يدري ؟!

الميل إلى القولبة المثالية في مخطط مسبق ، في الثلاثية (ثلاثية : تأكيد ، نفي ، نفي النفي) رغم تحذير هيغل الصريح من هذه القولبة ذاتها ، شطحه التأملي الغامض في عدد من القضايا ، ميل ديالكتيكه المثالي ، في وحدة الواحد والمتعدد (أي وحدة الوحدة والتنوع الاختلاف) إلى التقصير في الشطر الثاني ، إلى اغلاق هذا الذي لا نهاية له .

[[إن عصر الأممية الثانية مال نحو « تطهير » ماركس من هيغل وتطهير « علم » ماركس من « فلسفة » هيغل بليخانوف ، رغم اشادته الصريحة بهيغل ورغم عروضه المبسطة والمفيدة (والثمينة في ظرفنا) عن هيغل ، قصّر بحق هيغل والديالكتيك ، وقصّر عن الديالكتيك (تقصيراً واحداً) مخطوطة لينين (التي بين يدي القارىء) مأثرة خالدة من جميع النواحي : نكتفي بالاشارة إلى أن لينين منع إغراق الجوهر العقلي الجدلي – ، وبالتالي ونوعاً ما المادي لهيغل ، كشف هذا الجوهر (« نبشه » من النص الهيغلي الغامض، البالغ الغموض والصعوبة في معظمه ولا سيما في أجزائه الأكثر خطورة وأهمية وأساسية) وأكده ، قلبه مادياً ، أنماه مادياً . وفعل هذا في دراسة تلميذية قام بها زعيم البلاشفة الروس ، بعد ربع قرن من نشاطه الفكري والتنظيمي والسياسي ، وقبل الثورة الاشتراكية الكبرى بثلاث سنوات

في أيامنا هذه ، إن موقف ألتوسر ضد هيغل جزء (أساسي) من كل مناهضته للماركسية . تكفي هنا الاشارة إلى أن ألتوسر نبذ مقولة « الممارسة » الماركسية ، وحد النظرية والممارسة تحت اسم « الممارسة » التي هي « بنية » لا مبالية (مادية ، فكرية) ؛ أغرق المادة والروح في « البنية » العامة ، ألغى الذات والموضوع (إشكالية قديمة ، ميتافيزية ، في نظره !) ؛ لم يدرك وجود العام في الخاص (وحدة العام والخاص ، أي وجود العام) ، اكتشف (!) ممارسات متميزة ونفى وجود « ممارسة » عامة (مقولة « الممارسة » الفلسفية الماركسية في التقابل مع « النظرية ») الأمر الذي لم يمنعه « بالمقابل » من توسيع الممارسة بإدخال النظرية فيها تحت اسم الممارسة النظرية ! ، نبذ

الانسان ومفهوم الانسان (سنرى « الانسان» عند لينين وراء هيغل ، بل عند لينين المادي متمايزاً ومختلفاً عن هيغل) ، نبذ كل المسائل القديمة (!!) ، ذبح هيغل وفويرباخ (في رأيه مادية فويرباخ خرافة شائعة ، و « نسي » أن ماركس — انجلز — لينين وكل أعلام الماركسية آمنوا بهذه « الخرافة ») ، مدح اوغست كونت مؤسس الوضعية (ألم يسبق ألتوسر إلى معاداة « الميتافيزياء ؟) ، ومدح سبينوزا (أفلا تقود السبينوزية في جانبها الخاطىء إلى تسويغ رأي ألتوسر المركزي : « الممارسة النظرية » تكفي نفسها بنفسها ، هي ذاتها لذاتها محكّها ذاته ؟) ومدح فرسان « البنيانية » المعاصرة اعداء الماركسية ، الخ *]] .

أهم مؤلفات هيغل : فينومينولوجيا الروح ١٨٠٧ ؛ علم المنطق (أو المنطق الكبير) ١٨١٢ — ١٨١٦ ؛ موسوعة العلوم الفلسفية ، وتضم المنطق (المنطق الصغير) ، فلسفة الطبيعة ، فلسفة الروح ، ١٨١٧ ؛ فلسفة الحقوق ١٨٢١ ؛ والمؤلفات المنشورة بعد وفاته : دروس في تاريخ الفلسفة ، فلسفة التاريخ ، دروس عن علم الجمال أو فلسفة الفن .

(١٥) **الهيغليون . الهيغليون اليساريون (١٨٣٠ — ١٨٥٠)** . طغى هيغل في الفلسفة الجامعية الألمانية . من جهة كان حاجة تابعة من العصر التناقضي — الجدلي (والمانيا المجزأة المتأخرة الرجعية تعوّض في الفكر ما تعجز عنه في الواقع ، تحقق في الفلسفة ما يحققه الفرنسيون في السياسة والانكليز في الاقتصاد) . ومن جهة أخرى صار « موضة » وظهر كأنه فيلسوف المانيا ، فيلسوفها الرسمي ومكرّس واقعها (ليس فقط مثاليته العامة أو الأساسية ، بل أيضاً التراكيب السياسية الرجعية أو المحافظة في منظومته) . ولم يلبث التلاميذ الفلاسفة أن سيّسوا هيغل ، ان ركزوه على السياسة الالمانية الآنية (بشكل أحادي الجانب ومقطوع عن الخط العريض للمذهب) . انطلقوا من مبدأ هيغل : « كل ما هو

(*) انظر مؤلفنا : الماركسية — اللينينية واليساري الكاريكاتوري . « ألتوسر والممارسة » . دار الطليعة ، ١٩٧٢ .

عقلي [عقلاني ، معقول ، مطابق للعقـــل] فهو واقعي [حقيقي ، فعلي réel] ، وكل ما هو واقعي فهو عقلي » ؛ وانقسموا على تفسير هذا المبـدأ ، ألمانياً - سياسياً .

اليمينيون (أو الهيغليون - القدامى أو الشيوخ) ركزوا نظرهم على الشطر الثاني [المادي في مظهره ، ما دام الواقعي يقرّر العقلي] واستنتجوا منـه أن الواقع الألمـــاني (الذي هو الاستبداد الملكي - الاقطاعي والارثوذكسية البروتستانتية) هو عقلي وان الاعتراض عليه تَمَرّدٌ وخروجٌ على الواقـــع والتاريخ والعقل ، وجعلوا هيغل الفيلسوف الرسمي للاوضاع الالمانية المحافظة .

اليساريون (أو الهيغليون - الشبان) ركزوا انتباههم على الشطر الأول [المثالي في مظهره من وجهة نظر بسيطة ساذجة] واعترضوا على الواقع الالماني ما دام غيرَ عقـلي ومناهضاً للعقل . وبالحقيقة ، يمكن القول أنهم أقرب إلى جوهر فلسفة هيغل ، إلى «رسالته » (التي قالوا أحياناً انها رسالة سرية باطنية ، يجب تفسيرها ، يجب فهمها على حقيقتها ، ثورياً ، رغم التركيبة السياسية الرجعية التي تعلو البناء) . والجدير بالاشارة أن صاحب مبـدأ « كل ما هو واقعي فهو عقلي » ، لم يكن يعتبر « العهد القديم » الفرنسي (أي النظام الملكي الاقطاعي الذي كان موجوداً ومرئيـاً وسائداً في فرنسا قبل ١٧٨٩) واقعياً أو حقيقياً réel ، بل رأى بوضوح أن الواقعي - الحق في فرنسا هو الثورة (ثورة ١٧٨٩) ونظامها . ولكنه كان يرى أن الألمان - كالفرنسيين ، وجميع الشعوب - لهم الأوضاع التي يستحقونها . (وفكرة هذا الاستحقاق للألمان يمكن أن تفسّر في ١٨٣٠ - ١٨٤٥ على نحوين ، محافظ وثوري)، هذا من جهة . ومن جهة أخرى - وهي الأخطر والأكثر آنية - إن مذهب هيغل كان يحوي كثيراً من المعطيات والاتجاهات السياسية المفلْسَفَة المحافظة الرجعية (الاستبدادية - « الدولة » وتأليهها - ، الجرمانية) لكي يجري وضعه في خدمة الرجعية ضد التقدّم . هذا ما فعله الهيغليون - اليمينيون ضد هذا الواقع وفي هذا المناخ ، اتجه الهيغليون - اليساريون إلى التخلي - عملياً - عن هيغل ، إلى تضييع « النواة العقلية » -

الديالكتيك ـ . والهيغليون ـ اليمينيون بدَوْا أكثر ارتباطاً بالمعلّم : علاقتهم أوثق بالجوانب الرجعية في منظومة هيغل (بالغلاف الصوفي والمضامين الرجعية) من علاقة الهيغليين ـ اليساريين بالجوانب الثورية أو التقدمية لدى هيغل ، ما دام هؤلاء اليساريون لا يرون الجوهر العقلي الثوري (الديالكتيك)، يرمونه مع الغلاف الصوفي ،وكأنه محض تأمل استدلالي ميتافيزي ، وهم أنفسهم يسلكون الدرب التأملي بشكل آخر ، شطحي فارغ غير جدلي ولا مادي ، ويتصوّرون انهم يطوّرون هيغل فلسفياً وسياسياً وينزلونه نحو الصراعات الدنيوية .

محل « الفكرة المطلقة » الهيغلية (المثاليـــة ولكن ذات المضامين الواقعية الموضوعية المادية) أحلّ الهيغليون ـ الشبان (باور ، شتراوس) « وعي الذات » : ان « وعي الذات » هو محرّك التاريخ ، ويجسّده المثقفون والدولةُ المستنيرة (ملك بروسيا « المستنير » الذي سرعان ما يخلفه ملك آخر غـــير مستنير أبداً) ؛ أما « الجمهور » فهو محروم من الروح النقدية (والوعي الشعبي هو الوعي الديني ، خصمهم اللدود) . تفكيرهم بعيد عن صراع الطبقات ، عن الديمقراطية ، يتصوّر أن المعركة هي بـــين معسكر المثقفين ـ النقد أو النقد النقدي (أشخاصهم ؛ ومعهم مجموعات من شباب الجامعات) وبين الدين ـ الوعي الشعبي ـ الاوضاع الألمانية البائسة .(على الصعيد السياسي ، انهم ممثلو البرجوازية الليبرالية الالمانية الضعيفة ، المتذبذبة ، الجبانة) .

[[والحال ، بمناسبة وبصدد هذه الأوضاع الألمانية ، كانت المهمة المطروحة تاريخياً وكونياً ـ بعد هيغل والديالكتيك ، وفي زمن تقـدّم الاقتصاد السياسي الانكليزي (ريكاردو) ، وظهور فكرة صراع الطبقـــات (صراع الطبقات محرّك تاريخ أوروبا الغربية) على يد مدرسة المؤرخين البرجوازيين الفرنسيين في سنوات ١٨١٥ ـ ١٨٣٠ ـ هي النفوذ الى هذه الأوضاع الألمانية ، استجلاؤها، تحليلها ، معرفتها ، أي (بالمقارنة والتعميم ، نظرياً ، فلسفياً) إنشاء المادية التاريخية ، الفهم المادي للتاريخ . بيد أن تلامذة هيغل اليساريين انتكسوا عنه جوهرياً : ١) مثالية هيغل في مسألة الوجود العامة (الفكرةُ المطلقة ، وفي

مضمونها الطبيعة والتاريخ البشري ، ولو بشكل مصوّف) تحوّلت عندهم (نزلت) الى مثالية – تاريخية صريحة ، الى شكل جديد ألماني فلسفي لنظرية القرن الثامن عشر الفرنسية : « الرأي يحكم العالم » . ٢) هيغل ألـّـه الدولة ، ولكنه ، بالمقابل ، سار وراء علم الاقتصاد الانكليزي وأكد مفهوم « المجتمع المدني » la société civile ، ما تحت الدولة ، ما تحت « السياسة » ، الانتاج ، الاقتصاد ... ، الأسرة ، روابط هذا العمق . هذا الذي « جانبه » تلامذة هيغل ، حققه (تابعه وحوّله) كارل ماركس النص الشهير الذي يقدّم فيه ماركس مبادىء أو خلاصة المادية التاريخية (في مقدمة مؤلف « نقد الاقتصاد السياسي » ١٨٥٩) يبدأ كما يلي : « لقد أفضت أبحاثي إلى النتيجة الآتية : لا يمكن تفسير العلاقات الحقوقيـة وأشكال الدولة ، لا بذاتها ولا بالتطور العام المزعوم للفكر البشري ، وانما هي تستمد جذورها من شروط الحياة المادية التي كان يفهمها هيغل تحت اسم «المجتمع المدني» أسوة بالمفكرين الانكليز والفرنسيين في القرن الثامن عشر » . ثم يعرض ماركس مبادىء المادية التاريخية : الانتاج ، قوى الانتاج ، علاقات الانتاج ، البناء الفوقي ، العـلاقات ، التطور ، الثورة . الهيغليون – اليساريون (١٨٣٠ – ١٨٥٠) ضيعوا مفهوم « المجتمع المدني » ، عقدوا آمالهم على المثقفين ، على «النقد» ، حقّروا «الجمهور» ، عوّلوا على ملك نصف - مستنير ،الخ .)]

عندما تغيّر الملك ، ظل نقـدهم للاوضاع المكروهة مركزاً ضد الدين ، الذي بات بشكل معزّز ايديولوجيا الدولة ... الانجاز الحقيقي (الوحيد،الأصيل) للهيغليين – الشباب هو نقد اللاهوت . في الزوج الاستبداد – الدين ، كان نقدهم منصباً على الشطر الثاني (بخلاف الماديين الفرنسيين في القرن الثاني عشر) .وقد حققوا اكتشافات علمية هامة في مضمار تاريخ المسيحية الأولى ،في مضمار أصولها ولاهوتها . وقد استحق برونو باور عنـد وفاته (١٨٨٢) تثمين انجلز في هـذا المضمار المحدّد . أشهر مؤلفاتهم : شتراوس : حيـاة يسوع (١٨٣٥) ؛ برونو باور : نقد التاريخ الانجيلي للاناجيل المتوافقة ١٨٤١ ؛ مسألة الحريـــة وقضيتي

الخاصة ١٨٤٣ ؛ المسيحية مكشوفة ١٨٤٣ .

وقد ضمت مجموعة الهيغليين . اليساريين بالاضافة الى عالمَيْ اللاهوت الكبيرين ، شتراوس وبرونو باور ، شقيق هذا الأخير ، ادغار ، آرنولد روجه Ruge ، ماكس شتيرنر وهو صاحب فلسفة فردية تؤلف – مع اشتراكية برودون وفكرتها عن التعاونيات - مصدر الفوضوية (باكونين) ، وقد أثرت أيضاً على فلسفة نيتشه (كتاب شتيرنر : « الواحد [الوحيد] وخاصيّته » ، صدر في ١٨٤٥) ؛ فويرباخ ، وماركس وانجلز في فترة من الشباب ، على الدرب القصير الفنيّ ... وهي مجموعة متنوعة قامت بنشاطها كمجموعة في العقدين الرابع والخامس من القرن . كان نفَس روجه أكثر ديمقراطية من نفَس الاخوة باور أو شتيرنر . ماركس الشاب كان يحمل قناعات ديمقراطية شعبية [لم يلبث ان عبّر عنها «فلسفياً» في نص شهير (رسالة إلى آرنولد روجه ١٨٤٣) حيث كتب يقول : « نحن لا نذهب إلى العالم كعقائديين يقدّمون له مبدأ جديداً . لا نقول له : « هي ذي الحقيقة . اسجد لها خاشعاً ! » . نبسط وننمّي للعالم ، انطلاقاً من مبادئه ذاتها ، مبادىء جديدة . لا نقول له : « أوقف نضالاتك ! انها حماقات !... » ... إن العالم قد ملك منذ زمن طويل حلم شيء يكفي الآن أن يعيَه حتى يملكه فعلاً ... ليست المسألة وضع خط كبير يفصل الماضي والمستقبل ، بل تحقيق أفكار الماضي ...»]

الهيغلية – اليسارية ، أياً كانت الانجازات الايجابية لأفرادها أو بعضهم (وبصرف النظر عن منتجاتها اللاحقة وغير الإيجابية على يد رجل من طراز شتيرنر) هي ، في الفلسفة ، انتكاسة جذرية عن هيغل ، قرينة عن تفسّخ الهيغلية ومدرستها . الماركسية على الباب . الهيغلية – اليسارية نتاج – أدنى ، سقطة ، فضْلة ، على الدرب القائد إلى ماركس والماركسية . على هذا الدرب ، في هذا الاطار ، « جدول – النار » فويرباخ ، الذي « أعاد المادية إلى سدة العرش» ، الذي «تنتسب» اليه الماركسية كمادية ، انتسابها الى هيغل كديالكتيك.

(١٦) فويرباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) . فيلسوف ألماني آخر وأعلى حلقة في تاريخ المادية السابقة لماركس

بدأ هيغلياً مثالياً . ثم انقلب مادياً . ولكنه مع نبذه المثالية ضيّع الديالكتيك . في المجموع ، كفلسفة ، إنه مقصّر عن هيغل . ولكن مأثرته المادية حلقة ضرورية وطبيعية على الطريق من هيغل إلى ماركس . وماديّته متقدّمة على مادية القرن الثامن عشر : « الانسان » في مركز اهتمام فلسفة فويرباخ. وواقع انه هو ايضاً – في التحليل الأخير - لم يطبّق ماديته على الانسان – المجتمع الانساني لا يحجب هذه الأهمية وهذا التفوّق الفلسفي على المادية السابقة .

في كتابه « نقد الفلسفة الهيغلية » (١٨٣٩) كافح فويرباخ المثالية معلناً أن مذهب هيغل عن تحوّل الفكرة الى طبيعة ما هو إلا العقيدة المسيحية عن خلق العالم من قبل الإله ، معبّراً عنها بشكل عقلي .(وهذا من قبَل فوير باخ موقفٌ أحادي الجانب) .

في كتابه « جوهر المسيحية » (١٨٤١) ، أكد ان الله ما هو إلا الجوهر الانساني مفصولاً عن الانسان ومقاماً في المطلق ؛ أي ان صفات الاله (والمسيح) هي الصفات الخيّرة للانسان بالغةً ذروتها ومجسّدة في الاله (الانسان خلع جوهره في الاله) . . .

لقد حسم فوير باخ المسألة الاساسية في الفلسفة حسماً مادياً ضد المثالية كلها ؛ وحسم مسألة المعرفة مادياً ضد كنط وسواه .

ولكن ماديّته ازتدت طابعاً تأملياً Contemplatif وميتافيزياً : لم ير الممارسة (أو رآها في مستوى ما رأته المادية التقليدية ، كتجربة حسية عادية تثبت الوجود الموضوعي للاشياء المادية ، لم يرها – لم يرَ أهميتها المعرفية والفلسفية – كفاعلية عملية انسانية اجتماعية ، لم يرَ الانتقال الجدلي من الاحساس إلى الفكر ، من الخاص الى العام ، لم يقدّر دور التجريد . ظل مثالياً في نظرته الى المجتمع (رغم وجود جُمَل مادية أو « مادية – تاريخية » في بعض مؤلفاته ؛ [ولكنها دون مستوى مأثرة ابن خلدون الحقيقية]) . المراحل

التاريخية هي عنده مراحل الوعي (التاريخ محدّد بتعاقب الأديان الكبرى) ، نظرته للانسان هي مفهوم «الانسان» العام ، « الانسان بوجه عام » ، منظوراً اليه فقط ككائن بيولوجي (كنوع) مميز عن الحيوان . مذهبه يُدعى « انتروبولوجيا » أي نظرية أو علم أو فلسفة الانسان [هذا الانسان الذي هو كائن نوعي (spécifique ، خاص ، مميز عن الأنواع الاخرى ، عن الحيوان ، والوجود) ، هو نوعي بمعنى آخر ، في الوجه الثاني ، العام ، الكلي ، انه كائن للنوع ، يتخطى الفردية والخاص الى النوع genre ، انه كائن نوعي être générique يعرف نوعه ، وبالتالي كل الأنواع ...] . فويرباخ اذن لا يرى التاريخ المادي ، الانتاج ، علاقات الانتاج ، الطبقات .. عنده ، العلاقة بين البشر هي محض الرابطة الطبيعية ، لاسيما الرابطة بين الجنسين . من هنا أيضاً نقص (قصور) فهمه ونقده للدين . مذهبه في الأخلاق هو الحب : الحب دواء عميم النفع ، علاج ناجع لمشاكل البشر وآلامهم . [وقد انضم فويرباخ في آخر حياته الى حزب العمال الالماني] .

بعض مؤلفات ماركس الشاب (١٨٤٢ — ١٨٤٤) تحت تأثير فويرباخ . في ١٨٤٥ ، في « الاطروحات عن فويرباخ » (أي في نقد فويرباخ ، وضع ماركس الأسس الفلسفية للماركسية (الممارسة ، فاعلية الانسان الحسية ، معيار حقيقة الفكر ، الانسان = جملة العلاقات الاجتماعية ، تفسير العالم وتحويله) . ماركس ، انجلز ، لينين ، بينوا مزايا وحدود ونقائص فويرباخ .

(١٧) **ماركس** (١٨١٨ — ١٨٨٣) ، **انجلز** (١٨٢٠ - ١٨٩٥) ، **لينين** (١٨٧٠ — ١٩٢٤) — **الماركسية** (١٨٤٥ - ...) .

١٨٤٠ — ١٨٤٤ هي مرحلة انتقال بالنسبة لماركس (هيغل ، مؤثرات أخرى ، المثالية) الهيغلية — اليسارية ، فيخته ، الفلسفة الالمانية بوجه عام ؛ الراديكالية السياسية ، فويرباخ ، هس ، الشيوعية ، البروليتاريا ، الدراسة الأولى للاقتصاد السياسي ، مفهوم العمل المنخلع ، انجلز وحالة الطبقات الكادحة في انكلترة .

ثم : الانفصال عن فويرباخ وتحديد الموقف من المادية السابقة ، تصفية حساب الوعي السابق ،الرد على جماعة النقد النقدي . الاطروحات عن فويرباخ، العائلة المقدسة ، الايديولوجيا الالمانية ، الرسالة الى آننكوف(١٨٤٥ ١٨٤٦)، ثم الرد على برودون (١٨٤٧) .

المؤلفات الفلسفية للماركسية (رغم ان هذا الفصل لـ « الفلسفة » نسبي . نأخذ هذه النسبية في القائمة الآتية ، التي هي بالتالي غير كاملة . ولا ننسى ان المادية التاريخية جزء من الفلسفة الماركسية ، وبالضرورة والحتم) .

ماركس : الاطروحات عن فويرباخ (١٨٤٥) .

ماركس – انجلز : البيان الشيوعي (لا سيا الفصل الأول) ١٨٤٨ .

ماركس : مقدمة نقد الاقتصاد السياسي ١٨٥٩ ؛ رأس المال ، الفصل الأول ، ١٨٦٧ ، وملحق الطبعة الثانية الالمانية ١٨٧٣ .

انجلز : آنتي دوهرنغ (الجزء الأول : الفلسفة ، المادية الجدلية والتاريخية) ١٨٧٨ .

لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، ١٨٨٦ ،

ديالكتيك الطبيعة (لا سيا المقدمة ؛ دور الشغل في تحول القرد إلى انسان ؛ ولكن أيضاً كل الباقي) ؛

لينين : المادية والتجريبية النقدية ١٩٠٨ ؛

كارل ماركس ١٩١٤ ؛ المصادر الثلاثة والاجزاء الثلاثة المكونة للماركسية ؛ الدفاتر الفلسفية .

ماوتسي تونغ : في المارسة ؛ في التناقض (١٩٣٧) .

كما قلنا ، هذا الفصل للفلسفة نسبي . فالمادية التاريخية جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية (لا وجود للفلسفة « الماركسية »إذا حذفنا المادية التاريخية)؛ وكل «الباقي» (الاقتصاد السياسي ، نظرية وستراتيجية وتاكتيك الثورة ،تجربة عمل الماركسيين) يرتبط بالفلسفة الماركسية ارتباطاً في اتجاهين . لا ريب أن تحليلات ماركس (وانجلز) عن الشرق ، عن روسيا ، عن ايرلنده ، دراسة

ماركس للتراكم الأولي الرأسمالي (في كتاب « رأس المال ») ، الخ ...، مجادلة لينين ضد الشعبيين ، ضد الماركسيين الشرعيين (ولاسيما أقسامها الفلسفية) ، ضد الاقتصاديين ، « ما العمل ؟ » ، ضد روزا لوكسمبورغ ، ضد كاوتسكي الخ الخ * ، مقالاته عن الشرق ، قانون تفاوت النمو ، مبدأ « ليس من ثورة اجتماعية خالصة » ، و « ليس من عامل خالص » ، كتاباته الأخيرة ، هذا كله بالغ الأهمية للفلسفة الماركسية .

إن فلسفة « ماركسية » لا تسعى إلى استيعاب تجربة البشر في نصف القرن الأخير (تواجد النظامين ، الحرب العالمية الثانية ، النازية ، الصهيونية ، الأمم والمسألة القومية، الدول وعالمها ، نزع الاستعمار ، الامبريالية الاميركية وهيمنتها وسياستها ، والتقدم التقني والعلمي ، تخبط العالم الثالث ، خطر الحرب النووية ، الانقسام الصيني – السوفياتي ومسائل الحركة الشيوعية العالمية ،... تطورات الكنيسة الكاثوليكية واللاهوت ،:... « عصر الامبريالية والثورة الاشتراكية العالمية » ، الملخص – أي بالتالي المبسّط – في «عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ») ليست ماركسية تماماً !

١) الماركسية مادية : العالم ، عالم الأشياء ، موجود وجوداً موضوعياً ؛ انه العالم المادي . مقولةُ « المادة » الفلسفية هي التعبير الكامل عن هذا الوجود الموضوعي ، عن موضوعية هذا العالم الذي هو يولّد احساساتنا . الماركسية تؤكد ذلك ، ضدّ المثالية الذاتية ، ضد بركلي وآخرين ، ومع الاعتقاد العام للبشر ، وغالبية الفلاسفة الساحقة . الماركسية (لينين) بلورت نهائياً مقولة « المادة » أهم المقولات الفلسفية .أن تكون المادّة مقاومة ، ممتدّة ، لها فيزيائياً وزن ، أو ، كتلة ، مؤلفة فيزيائياً من ذرات ، أو من الكترونات ، أو من أجزاء أصغر... ، ان يكون ثمة حقل كهرطيسي أوسع بكثير مما يُسمّيه علم الفيزياء

(*) قدرته على التعميم واشتراطه العيانية ، تمسكه بالقوانين وممارضته لأقنمة القوانين ، تمسكه بالموضوعية وبالمبادرة ، بالحزب وبالجماهير ، بالوعي وبالعفوية ، بالتنظيم وبثروة « الحياة » الخ .

« المادة » ، أن يكون الحقل هو أساس « المادة » بالمعنى الفيزيائي الخ الخ ، فهذا أمرٌ لعِلم الفيزياء ، وعلمُ الفيزياء الحديث يثبت لا محدوديـــة المادة بهذا المعنى أيضاً (وليس فقط بمعنى ان الكون الكبير ، عالم الافلاك غير محدود) — ومعرفتنا محدودة وستكون دائماً محدودة ، انها عملية نمو* ، مرتبطة بعملنا وعلمنا — . إن بلورة لينين (البديهية) لمقولة المادة تلتقي مع اللفظ الالمـاني Gegenstand (ما ينتصب أمامنـــا) المرادف لـ Objekt = Objet = الموضوع ، في مقابل الذات = Sujet ؛ وكلمة Objet الفرنسية مرادفة أيضاً لـ chose = الشيء [« والشيء » الفلسفي ليس حتماً من نوع « كاتيدرائيـة القديس بولس » . نقول هذا توضيحاً ورداً على برتراند راسل B. Russel ولنكولن بارنت L. Barnett . سنعود إلى ذلك] . ما ليس مـادّة هو واقع ذاتي (وطبيعي أن يكون هذا الواقع الذاتي موضوعاً لمعرفة ، لعلم النفس مثلاً) . انه (هذا الذي ليس مادّة) الفكرُ ، الروح ، الوعي ، المعطى الثاني ، الاحساس ، الادراك ، الافكار . اذن تمييز « المادة » و « الفكر » تمييزاً مطلقاً في مسألة الأولية (الفكر نتاج المادة) ؛ ومسألة التفاعل والوحدة تنقلنا إلى نسبية التمييز (الفكر هو فكر الانسان والانسان جزء من الطبيعة ، الفكر جزء من الطبيعة ؛ الفكر فاعل مادياً ، يتحوّل إلى قوة مادية ، يغيّر ويخلق العالم) . والذات (الانسان) ليست عارفة وحسب ، بل فاعلة وعارفة ، الانسان صانع وعاقل ، عامـل ومفكر . لا وجود لفكر ، أو فكرة ، أو روح ، أو وعي ، أو نفس ، الخ ، خارج الانسان (المادي) ، فوق الكون ، قبله والعالم المادي (الطبيعة ، المجتمع ، وأيضاً « نفس » الانسان = الجزء ، النتاج) قابل لأن يُعرف ، وهو يُعرف وتعرف قوانينـه ، بواسطة العقل ، العلم ، الممارسة ، التجربة ، الانتاج الافكار صورة عن الواقع ، المعرفة صورة عن موضوعها ، صحيحة أو خاطئة ، صحيحة وخاطئـة . الممارسة (العمل ، مطابقة النتائج المادية المحسوسة على التوقعات) هي معيار صواب المعرفة . المعرفة عملية تاريخية

(*) معرفتنا دائماً محدودة ، (عملية نمو) لا محدودة .

لا نهاية لهـا ، غير محدودة ، كموضوعها ، غير محدودة في كل الاتجاهات . هذا يقودنا إلى الديالكتيك (التي لمسناها تماماً ، أكثر من مرة ، في عرضنا لمـادية الماركسية) .

٢) الماركسية مادية ديالكتية : العالم مترابط ، وحـدة كلية ، ليس تراكم عرضي لأشياء وأحداث . ووظيفة العقل الانساني (العـلم ، المعرفة الخ) النقل الأمين لهذا الترابط ، إنشاء اللوحة المترابطة عن العالم المترابط . وهو في حركة ، تغيّر ، تطوّر ، تحوّل ؛ كل الاشياء خاضعه للولادة والموت ، النشوء والزوال . لا مادّة بلا حركة (الفيزياء الحديثة) ؛ كل العلوم هي علوم حركة المادة في أشكالها وأنواعها . التغير ليس تغيراً كمياً وحسب ، بـل هو أيضاً تغير في الكيف ، في الصفة ، في الطبيعة ، في الهوية ؛ الشيء (شيء ما) لا يكبر ويصغر فقط ، بل يزول ، أي يتحوّل إلى شيء آخر ، (آ لا تبقى أبداً آ ، آ تصير ب ؛ آ المادية الواقعية ، وبالتالي أيضاً آ المقولة ، آ المنطق) ؛ تراكم التغيرات الكمية يفضي إلى تغير في الكيف : الماء السائل لا يتحول إلى ماء أسخن وأبرد وحسب ، بل هو عند نقطة ما (عند درجة من الحرارة محدّدة) يتحول إلى بخار والى جليـد . الماء السائل يزول ، يصير بخار ماء وجليد ماء (فيزياء ، فيزياء أولية ، دنيا) . والماء كماء ، الماء كهوية كيميائية H2O ، يصير هيدروجـين وأوكسيجين (كيمياء) والذرة تزول ، تتفتت ، تصير شيئاً آخر (فيزياء نووية) ، الذرة تزول (ما يبقى هو المادة بالمعنى الفلسفي ، نتاج زوال الذرة محسوسٌ تمامـاً : مثلاً القنبلة الذرية) . التناقض في صلب الاشياء ؛ صراع الضدين هو دافـع التطور ، محتوى الشيء المتحرك ؛ الحركة = تناقض . لا مادة بلا حركة (الفيزياء كلها ، لا سيما الفيزياء العليا) ، لا وجود بـلا تغيّر ؛ والحركة ، التغير تناقض . الهوية موقتة ، نسبية ، عابرة ، الحركة مطلقة . لا شيء مطلق (كل شيء نسبي) لأن كل شيء يتغيّر ، يزول ، يفنى ، يتحول الى آخر لا شيء مطلـق سوى تجريد الحركة . كل حقيقـة هي نسبية (وكل قانون تقريبي) ، ولكن (اي) المطلق قائم في النسبي ، الحقيقة المطلقة هي الحقيقة النسبية (الحقيقة المطلقة هي

« ضد » الحقيقة النسبية ، والحقيقة المطلقة هي الحقيقة النسبية) . العام ليس موجوداً الا في الخاص ، اي ، العام موجود في الخاص . مذهب النسبية relativisme مرفوض لأن (أي أن) لحظة النسبية relativité مستوعبة في الديالكتيك . الديالكتيك يستوعب إيجابيات (لحظات الصواب في) المذاهب الريبية ، السفسطائية ، النسبية ، الخ الخ ، المثالية ، الصوفية* الخ . الوجود الوجود الحقيقي) نسبة ، علاقة Verhaeltnis,rapport, relation ، قسمة ، موقع ، ظرف الخ ... (الفيزياء الحديثة ، نقد المكان والزمان الكلاسيكيين الخ الخ ، تصبّ على المادية الجدلية) . الحدود (والتخوم) قائمة (العالم ليس مخلوطة ، الارتباط ينفي الاختلاط وليس صنوه) ، ولكنها نسبية ، مرنة : انها مناطق فصل وربط ، فصل وانتقال ، هوية وتغير ، هو وليس هذا متضمّن في منهج (في قانون) الترابط – الحركة – التغير – التناقض**. المفاهيم ، الحدود ، المقولات ، مرنة .

٣) الماركسية مادية ديالكتية وتاريخية ، مادية ديالكتية ومادية تاريخية .

الانسان له تاريخ ، الطبيعة لها تاريخ ، المعرفة لها تاريخ . في العمليات الموضوعية (اي في العالم المادي ، في الوجود) ، الماركسية تميّز تمييزاً أساسياً أولياً : عمليات الطبيعة (الفيزيائية ، الكهرطيسية الخ الخ ، الكيميائية ، البيولوجية) ، و ، الفاعلية الانسانية الواعية ، الرامية الى هدف . هذه الفاعلية الانسانية الواعية (التي فيها فكر) هي أيضاً عملية موضوعية ، مادية . هدف الاجتماع الانساني إنتاج وسائل العيش . (ومفهوم الشغل = فاعلية إنسانية ،

(*) يمكن ان نضيف في عرضنا لبداية الفلسفة الحديثة ، إلى جانب بيكن ، فيلسوفاً من طراز مغاير تماماً ، نال تثمين ماركس والماركسيين: ياكوب بوم Boehme (١٥٧٥–١٦٢٤): صانع أحذية (من مرتبة معلم أو « أسطه ») ومتصوف كبير . لقب بـ « الفيلسوف الألماني » . نجد تأثيره عند سبينوزا ، شيلنغ ، هيغل ، وآخرين من مبادئه : الـ « نَعَمْ » يفترض الـ « لا » . (« ماركسيو » بلادنا لم يصنعوا أحذية ، ولا شيء ، كانوا أسطه كلام (ومؤخراً بنادق وسلطة وشبه سلطة) ، لم يكونوا متصوفين (ولا زاهدين) ، بل تعاطوا المفهوم « العلمي ») .

(**) قوانين الديالكتيك الثلاثة أو الأربعة أو العشرة الخ هي قانون واحد ، هي واحد .

واعية) . المجتمع = قوى الانتاج ، علاقات الانتاج ، البناء العلوي (وبشكل أوسع الوعي عامة، المعرفة) ؛ الروابط ، العلاقات، الحركة؛ الطبقات، صراعها، المسائل الأخرى = المادية التاريخية ← نظرية الثورة ، الوعي ، بالمعنى الأعلى (السياسي) ، ضد العفوية، الوعي الطبقي - السياسي - الثوري - الاشتراكي، الهدف الثوري وطريقه : تحويل العالم ثورياً وسبل (ستراتيجية ، تاكتيك ، تنظيم ، تعبئة الجماهير) هذا التحويل .

ماركس (الماركسية) لم يؤسس المادية ، لم يؤسس الديالكتيك ، أسس (أنشأ) المادية التاريخية ، علم تطور المجتمع الانساني ، القاعدة التي لا غنى عنها لكل العلوم الانسانية ؛ وأسس (أنشأ) علم الاقتصاد الماركسي (نظرية فضل القيمة ...)... المادية مذهب بالغ القِدَم، الديالكتيك منهج بالغ القدم ، المادية والديالكتيك ملازمتان لكل معرفة انسانية . المادية الديالكتية لهيراكليت لم تر التطور الصاعد التقدمي ، لم تر الفاعلية الانسانية ، لم تر لحظة الذاتية . من هيراكليت إلى ماركس، المادية لها تاريخ طويل ، الديالكتيك لها تاريخ طويل . ماركس أنمى المادية ، طوّرها، أكملها، جعلها ديالكتية ، أنشأ المادية التاريخية؛ طوّر الديالكتيك ، فتحها نهائياً ، جعلها مادية ، مادية واعية كلياً (بالدرجة الأولى : قلب ديالكتيك هيغل ، وعى ثورية الديالكتيك ، طبّقها على المجتمع البشري ، وجهها نحو الهدف الانساني ، وضعها في خدمة مهمة التاريخ الآنية). المادية الديالكتية والتاريخية لها تاريخ بعد ماركس وانجلز .

(١٨) الفلسفة بعد ماركس . لينين والتجريبية النقدية. المثالية الفيزيائية اليوم .

آ) بعد ماركس ، الماركسية تستولي على مئات الملايين من البشر بالارتباط مع مهمة التاريخ ، تقود انتقال البشرية (روسيا ، الصين الخ) من الرأسمالية إلى الاشتراكية ، أي أكبر عملية انتقال - تحوّل - زوال ونشوء ، موضوعية في تاريخ الانسان . والنتائج في مخالفتها للتوقعات - انتصار الثورة في روسيا ،

تأخرها في الغرب المتقدم - (وهذه المخالفة هي مبدئياً في صلب جدل الفاعلية الانسانية الواعية ، في صلب مفهوم الوعي ، في صلب المادية التاريخية والجدلية. يجب أن نعي ذلك . من لا يعيه ميتافيزي بالمعنيين) ، إنما تثبت المنهج ، تغني المعرفة ، النظرية ، المنهج ، الفلسفة . (يجب على الماركسية الواقعية البشرية أن تعي ذلك ، أي أن تحققه ، إلى النهاية ، كاملاً).

العلوم – الطبيعية ، الانسانية ، الرياضية – تعرف تطوراً لم يُشهد له مثيل من قبل .

التصوّر الفيزيائي للكون ينقلب . بعد عصر غاليليو – نيوتن ، عصر آينشتاين . بعد هيمنة الهندسة الاقليدية ، الهندساتُ غير الاقليدية ، الخ . القديم يتخذ مكانه داخل الجديد ، وفي بعض الأحيان يُحذف . معرفة الكون تتعمّق (ولا محدوديته تتأكد !) . المعرفة الفيزيائية * في أسرع تقدم ، وهي (أي هي) في أزمة حادّة . الماركسية في نظرتها « الفيزيائية » (إن صح التعبير . نقصد : في نظرتها الأساسية للطبيعة ، للمادة) صمدَت وتصمد (رغم حذف « الأثير » وبالتالي رغم حذف قبول لينين بالأثير ، ورغم حذف أخطاء انجلز في « ديالكتيك الطبيعة ») . اذا جرّدنا «السياسة»، ونظرنا الى أمور الفلسفة والعلم نظرة « موضوعية » ، « حيادية » (كما يريد أساتذة الجامعة وكما « تحب » البرجوازية) ، وجب علينا القول : الفلسفة الماركسية، نظرية المعرفة الماركسية (=المنطق = الديالكتيك = نظرية المعرفة المادية) ثبتت في كل أسسها ومنهجها ، ولم تثبت الفلسفاتُ الأخرى .

ونشأت طائفة من العلوم الانسانية المختصّة ،نشأت أحياناً من العدم،وأحياناً (وغالباً) بصورة مستقلة عن الماركسية (وفي الغرب) على يد علماء لا صلة لهم بالماركسية . والماركسية – المادية التاريخية والديالكتية – تستطيع أن تواجه، ان تجابه ، ان تنمو ، ان تستوعب وتتمثّل المنجزات الحقيقية . [هناك علماء

(*) هذا الانقلاب في معرفة بنية الكون (« الحقل » ، تحطم الذرة ، النسبية ...) انقلاب طويل يرافق ويعقب ظهور وانتصار نظرية تطور الانواع ..

كبار في هذه المجالات المختصة ، ماركسيون ، في الغرب ايضاً .] الفلسفات الأخرى تُثبِت عقمها ، وتعثُّر .

ب - ليس هنا مكان حصر تطور ومدارس الفلسفة البرجوازية في زمن ماركس وخصوصاً بعده . نذكر :

الوضعية الفرنسية (اوغست كونت وخلفاؤه) والألمانية (دوهرنغ الذي خلّده انجلز)*، التطوّرية الانكليزية (سبنسر Spencer : أراد هذا المسكين أن يقيم مذهب تطوّر آخر بعد ديالكتيك هيغل وماركس ، فكان مذهبه تطوّرية تدرّجية سطحية فقيرة عقيمة زائفة ، ورجعية مقاتلة) ، الكنطية الفرنسية (ظِل باهت للفيلسوف الألماني ، ظل فرنسي انتقائي) ، الكنطية – الجديدة الألمانية ، الهيغلية - الجديدة ، تيار « فلسفة الحياة » الألماني اللاعقلي (نيتشه ... شبنغلر ...) ، حدْسية برغسون ، فينومينولوجيا هوسرّل ، التجريبية النقدية ، البراغماتية (وليم جيمس) والبراغماتية الجديدة (ديوي) ، الوضعية المنطقية ، الوجودية (بأشكالها) ، البنيانية الحاضرة ...

وبالطبع ، لا يمكن أن نعتبر عقمَ هذه الفلسفات كأنه عقم مطلق وتفصيلي، لا يمكن أن ننفي إيجابيات نيتشه أو هوسرل أو ديوي ، دور هذا أو ذاك في في هذا المجال أو ذاك . الغرب البرجوازي في تقدم تقنيّ سريع ، ورذاذ هذا التقدّم يصيب مجالات معرفة الانسان ، والمجالات الفلسفية [المنطق الصوري الحديث ، منطق الرموز ، اللوجيستيك ، هو ابن الغرب ، وهو على صلة « بالوضعية المنطقية » وسواها . الماركسية لا ترفضه ولا يجوز أن ترفضه . ذكرنا المنطق لأنه جزء من الفلسفة . ولم نذكر علم النفس ، أو علم المجتمعات البدائية ، أو علم اللغة ، أو التحليل النفسي ، لأنها خارج إطار الفلسفة ، استقلّت عنها في القرن التاسع عشر ، كما استقلت الفيزياء عن الفلسفة في العصر اليوناني الثالث الهيلنستي] ولكن كل هذه الفلسفات عقيمة كأساس ، كفلسفة : ليس لها جديد صحيح

(*) ونضيف « المادية المبتذلة » (بوشنر وآخرين) - أنظر القسم السابق من هذه المقدمة : الفلسفة ومدارسها – « ومادية علماء الطبيعة » (هكل وغيره) .

تقوله وكلها مناهضة للمادية ، للديالكتيك ، في الأساس . بعضها (اكثرها) مناهض (صراحة) للعقل ، للمعرفة ، يرفع لواء الحدس ضد الحاكمة ، و« الحياة » ضد الضرورة الخ .

ج – ولقد فتح لينين معركة ضد فلسفة « التجريبية النقدية » (ماخ ، آفيناريوس الخ) التي نفذت الى صف الماركسيين الروس وحزبهم وأجنحته (بوغدانوف ، بازاروف ، تشرنوف الخ)* .

هذه الفلسفة أخذت مدداً من تطور وأزمة علم الفيزياء (وماخ كان عالم فيزياء وفيلسوف ، شغل منصب استاذ فلسفة العلوم في جامعة فيينا بالنمسا) . أعلنت ان « المادة » ماتت أو تبخرت ، بعثت افكار بركلي وهيوم وكنط : المادة « عقدة إحساسات » الخ ... غطّت منطقها المثالي – الذاتي الصميمي بمعطيات الفيزياء الحديثة (كان ذلك زمن اكتشاف الراديوم ، وغير ذلك) ، وبعدد من المفاهيم والآراء ذات المظهر الديالكتي .

ماخ ركز على مفهوم الوظيفة [كما يركّز ألتوسر اليوم على مفهوم البنية : كما يستطيع أي ماركسي أن يركّز على مفهوم العلاقة ، النسبة ، الخ . يكفيه أن « ينسى » مقولة « المادة » الفلسفية ، أن « ينسى » المادة والفكر ، الموضوع والذات ، الخ (تحت ستار ما ، مثلاً تحت ستار معارضة تعارضها الميتافيزي العقيم -- كما يفعل ألتوسر ! -- حتى يكفّ عن كونه ماركسياً] الذي يربط الظاهرات فيما بينها (وهذا مظهر جدلي) الظاهرات الفيزيائية والظاهرات النفسية تدخل إذن في « شبكة وظيفية » واحدة ؛ فالذات والموضوع ، داخل التجربة ، مترابطان ترابطاً وثيقاً . (وهذا أمر لا شك فيه ، ليس في فيزياء الذرة والنسبية فقط ، بل أيضاً في العمل الانساني الثوري والمعرفة السياسية

(*) لا بأس بالمناسبة ان نلاحظ ان الفلسفة احتلت مكاناً مرموقاً في المجادلات الفكرية الماركسيين الروس . (الفلسفة ، بدءاً من سهوزيدنون الطائر الثابت) . فضلاً عن أن الديالكتيك المادي (أو التقصير عنه ، ومخالفته) يطبع كل عقل ، كل فكر ، كل عمل لينين (والآخرين ، المقصرين ، المخطئين الخ) .

الملازمة المرشدة الناتجة ، وفي كل علم ومعرفة. ولذا أيضاً فإن بذرة الديالكتيك موجودة في كل علم ، موجودة عند غاليليو ونيوتن الخ) . آفيناريوس (وهو فيلسوف ألماني سويسري) يرى أن طبيعة (؟) الاحساسات ليست لا فيزيائية ولا نفسية ، الإحساسات هي عناصر المعطى . [« صهر » المنبّه الفيزيائي والإحساس الفيزيولوجي – النفسي – الشعوري في « الإحساسات »] . الأنا والبيئة مترابطان بشكل وثيق ؛ هذا ما يدعوه آفيناريوس « مبدأ التناسق أو التضافر المبدئي». فلسفة ماخ وآفيناريوس الخ فلسفة مثالية ذاتية ، وهم يقولون صراحة : المادة هي « جملة إحساسات » ، « عقدة إحساسات » الخ .

ولنتذكر فلسفة هيوم : الظاهرة أكلت الماهية . وكأن الظاهرة ذاتية (عند هيوم والتجريبيين الجدد) وكأن الماهية (في نظر المادية) موضوعية – أخيرة ، « كنه » أخير ، مستوى أخير . في المادية الجدلية (وايضاً عند هيغل) الظاهرة ليست محض ذاتية (الظاهرة والظاهر = ما يظهر ، الموضوع يظهر ، المنبع هو الموضوع) وليس ثمة مستوى أخير . (الظاهرة، الظاهر الخ – الجوهر، الماهية، القانون الخ ، ثنائية اي مترابطة) . التجريبيون - النقديون الروس (الذين أرادوا « تطوير » الماركسية ، وأحياناً كانوا يعون ارتدادهم عنها) لم يميّزوا اذن بين سقوط المادية الميتافيزية والميكانيكية – سقوط مفهوم الماهية الميتافيزي ، سقوط مفهوم « المادة » القديم الميكانيكي – الذي هو انتصار وتسويغ المادية الجدلية نهائياً ، وبين تصفية المادية كمادية .

بعض المفكرين الغربيين (منهم ماركسيون) نشروا حكايات عن كتاب لينين « المادية والتجريبية النقدية » (١٩٠٨) : تسرّع لينين ، ما كان ليكتب كتابه لولا دخول هذه الفلسفة الى الحزب (وهذا بالطبع أمر معقول) ، أجحف بحق الفلسفة المذكورة (وهذا في منتهى الخطأ والغباء) ؛ وهذا المذهب الفلسفي ثانوي ، عابر ، في الفلسفة .

بالحقيقة، هذا المذهب كمنظومة محددة «متكاملة» تفصيلية، لماخ وآفيناريوس وآخرين ، عابر ولكن منطقه الأساسي ثابت تماماً ، قوي ، واسع الانتشار ،

كامن (وظاهر) عند طائفة من شراح الفيزياء الحديثة وناشري مبادئهـا على الجمهور . [في فترة مـا ، نفذ الى كتب علم النفس المدرسية المقرّرة في سوريا : عنـد موضوع الادراك الحسّي (كتكملة فلسفية حمقاء) ، عند موضوع اللغة والفكر حيث اختلط مع كلام برغسون وترّهات مؤلّف جاهل ومائع . وهذا كله يقود الى اسلوب ما من التفكير أو اللاتفكير] . هذا المنطق هو ما يسميه الماركسيون « المثالية الفيزيائية » او مثالية فلاسفة علم الفيزياء الحديث، وهو على صلة بالبراغماتية ، بالوضعية المنطقية ، وتقريباً بكل الفلسفة البرجوازية في القرن العشرين .

(د) لقد ذكرنا سابقاً انكولن بارنِت وكتابه « آينشتاين والكون » ، وهو اذا حذفنا منـه المثالية (اي اذا حذفنا في طائفة كبيرة من المقاطع والفصول جملاً وأنصاف – جمل) يبقى عرضاً شعبياً جيداً للفيزياء الحديثة . ليس هنـا مكان هـذا العمل : تدقيق الكتاب ، فرز الفيزياء العلمية عن الفلسفة المثالية ، النظريات الفيزيائية الجبارة عن الاستنتاجات والمرافقات (والمقدمات، الأطباق الأولى ، الـ hors d'oeuvre) الفلسفية ، تبيان أن هـذا الانقلاب الفيزيائي العظيم (الذي يؤلف آينشتاين حلقته المركزية) والذي لم تحكهولم تسيّره فلسفة ما [ولا يجوز ولا يمكن ! – ولينين لا يستطيع ان يكون لينين وعالم فيزياء ، آينشتاين لا يستطيع ان يكون آينشتاين وقائد ثورة ، ولا آينشتاين وماركس آخر ، أو آينشتاين وهيغل آخر] إنمـا يصبّ – فلسفياً ، كتصوّر أساسي للكون ، ولعملية المعرفة – عند لينين وانجلز وماركس وهيغل . [أخطاء أو تقصيرات انجلز ولينين عن ركب تقدّم العلوم الطبيعية أو الطبيعية والرياضية أمر آخر غير هذا الأساس الجوهري لفلسفتها ، وهـو أمرٌ كما قلنا مفهومٌ ، طبيعي ...]

ليس هنا مكان تدقيق كتاب بارنت ولكن لا بأس من بعض الملاحظات ، لا سيا وانها « تنفـذ » على دفاتر لينين عن هيغل .

يستشهد بارنت بقول برتراند راسل : «الكهرباء ليست شيئاً مثل كاتيدرائية

القديس بولس ، إنها طريقة سلوك للأشياء [طريقة تملكهـــا الأشياء للسلوك ، لسلوكها] . حين نكون قد قلنا كيف تتصرّف الأشياء حين تكون مكبربة ، نكون قد قلنا كل ما يجب قوله » (الكتاب المذكور ، الطبعـــة الفرنسية ، باريس ، ص ١٥) .

– المهمّ أن هـــذا التصرّف (الكهرباء) موضوعي. في الفلسفة « الشيء » ليس بالضرورة كاتيدرائية لندن ، انه هذه الكاتدرائية ، وأصغر أجزائهـــا ، وتصرّفها المادي ، الشيء هو أيضاً الكهرباء ، الضوء ، « الحقل » الخ . كما قلنا هذا التصرف الكهربي موضوعي ألا يتعامل الفيزيائيون مع هـــذه التصرفات كلها ، على أنها موضوع – موضوعي ، على انها « شيء » ، Gegenstand ؟ أليس هذا قصد راسل بخصوص الكهرباء ؟ والباقي (الضوء ، الحقل) هل يخرج ، هل « يفلت » من هذا السؤال ؟

[سنرى أهمية مفهوم ومصطلح « الشيء » في مؤلف لينين ، وكيف يتعامل هيغل ولينين مع هـــذا المفهوم ، مع « الشيء » ، و « الأشياء » و « الشيء ما » و « الشيء الآخر » . مقولة « الشيء » ، « الأشياء » ، ملازمـــة للديالكتيك ، وبالأحرى للديالكتيك المادي ، للينـــين ، لماوتسي تونغ ، في الفاسفة ، في السياسة . وبالضبط ، اليسار الكاريكاتوري لا يرى الأشياء ، لا يرى الشيء ، يرى ذاته ، أحلامه ، ألفاظه . المادية ، الفلسفة ، هي أيضاً للسياسة] .

الجملة الثانية في كلام راسل يمكن أن تفهّم على نحوين ، تتضمن وجهين : أحدهما إيجابي (ضد الشيء في ذاته الكنطي الذي لا يمكن معرفتـه ، التجريد الفارغ العقيم كما يقول هيغل ولينين ؛ – وبارنت في كتابه يخالف هذا الوجـــه الايجـــابي ؛ منطلقه الأصلي الشعبي شعبي – عامي : يسعى وراء كُنْه القوى الغريبة السرية mystérieuses ، ثم يعلن العجز ، الاستحالة) ؛ والآخر سلبي (فعلاً نكون قد قلنا كل ما يجب قوله في هذا المستوى ، ولكن ليس ثمة مستوى اخير) .

ويلحق بارنت العالم آينشتاين بالفيلسوف بركلي صراحـة وبالاسم يقول بارنت (ص ٢٠ – ٢٢) :

« هكذا بالتدريج وصل الفلاسفة والعلماء* الى هذه النتيجة المدهشة : بما أن كل موضوع [شيء ، objet] ليس سوى حاصل تجمّع صفاته ، وبما أن هذه الصفات ليست موجودة إلا في ذهننا [روحنا esprit] ، لذا فان الكون الموضوعي ، كون المادة والطاقة ، الذرات والنجوم ، ليس موجوداً إلاّ كبناء من وعينا [شعورنا] ، بناء رموز اصطلاحية تكوّنها حواس** الانسان.

بركلي ، عدو المادية اللدود ، لخّص هذا التصوّر على النحو الآتي: « كل قبة السماء الهائلة وكل ما يزيّن الأرض، بكلمة مقتضبة كل الأجسام التي تؤلف شكل العالم ليس لها ماهية إلا في ذهننا [روحنا] ... وهي طالما أنها لم تدرَك فعلاً من قِبَلي او طالما انها لم توجد في ذهني [روحي] ولا في أي ذهنٍ مخلوقٍ ، يمكن اعتبار انه ليس لها أي وجود أو أنها موجودة فقط في ذهنٍ ما أزلي » . وآينشتاين قد دفع هذه الحاكمة المنطقية الى حدّها الأخير «حيث بيّن أن المكان والزمان أيضاً هما أشكال للحدس لا يمكن ان تُفصل عن وعينا شأنها شأن مفاهيم اللون والشكل والمقاييس . المكان ليس ذا واقع موضوعي، اللهم إلاّ [sinon] كنظام أو ترتيب للأشياء التي ندركها خلاله . الزمان ليس ذا وجود مستقل إن لم يكن si ce n'est [هذا الوجودُ المستقل] تسلسلَ [نظام ، ترتيب ordre] الحوادث الذي به نقيسه » (ص ٢٠ — ٢١) .

— نظام الأشياء هذا ليس موضوعياً ؟ وتسلسل الحوادث ؟ أهــذه فيزياء آينشتاين العليا للجمهور غير العالي ؟ اذا كانت مادية ٌ قديمة (وجمهور من الناس) تتصوّر المكانَ علبةً « فيها » الاشياءُ ، فإن المادية الديالكتية أكدت ان المكان

---

* هذا غباء وسوء نية !

** من البداية (ص ١١) ، وضع بارنت معرفة الكون ومسألة الوجود تحت سلطة التجريبية، تحت سلطة « لوك ، بركلي ، هيوم » (ص ١١) . وهــو الآن ، في هذه الصفحات ، يكرر المسيرة الميتافيزية الانكليزية ، من لوك الى بركلي ، من التجريبية المادية الى تقريباً الى المثاليــة الذاتية . فلنتابع قراءة بارنت .

والزمان نمط وجود الأشياء * . نسبية آينشتاين لا تنفي أبداً موضوعية الزمان والمكان ، بل تربطها ربطاً كامــلا مطلقاً « نهائياً » بالوجود (الموضوعي) ، وتجمعها في مقولة فيزيائية واحدة « الزمان – المكان » . أهذا ضد الديالكتيك المادي . المادية الجدلية تصحّح الجملتين الاخيرتين في نص بارنت ** على النحو الآتي : المكان و الزمان وجودهما موضوعي اي همـا مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالوجود ، بالمادة ، بالأشياء ، اي بالحركة ؛ ومعرفتنا للاشياء تتمّ خلالها ، على أساسها (الزمان ليس فقط لِ «قياس تسلسل الحوادث» ، بل لمعرفة الحوادث ، لمعرفة الأشياء ، التحولات ، العمليات ، الحركة ، الصيرورة) . نسبية المكان والزمان هي نسبية الحركة (وهذه النسبية تلمّستها الفلسفة قبل هيغل ، تلمّسها لوك وآخرون ، والعلماء) . وإطلاقية المكان والزمــان هي اطلاقية الحركة (لا مادة بلا حركة ، لا وجود بلا حركة . كل الفيزياء الحديثة تثبت هذا المبدأ الفلسفي غير الحديث) .

ويتابع بارنت كلامه : « العلماء وعوا الحدّ المطلق الذي يسبّبه للانسان ضعفُ حواسّه » [انــه يجلد نفسه ، فهو الذي انطلق من « لوك ، بركلي ، هيوم »] . ثم لا يلبث أن يشرح : العين الانسانية الضعيفة المسكينة لا تتأثر ، لا تتحسّس ، إلا بما بين الأحمر والبنفسجي ، أي ما بين الموجة طول ٠,٠٠٠٠٧ سم والموجة طول ٠,٠٠٠٠٤ سم [والحمد لله يا أستاذ !] . والحال هناك الأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء وغيرها الكثير من الموجات الكهرطيسية ؛ « من البدهي اذن أن العين البشرية تحذف معظم « أضواء » العالم ؛ ما يستطيع الانسان أن يدركه من الواقع الذي يحيط به 'مشوّه' [؟] و'مضعّف [؟] بحدود أعضاء البصر » (ص ٢٣ ، مع المخطط البياني لتركيب الضوء يبيّن أن القطعة التي تتحسس بها عين الانسان صغيرة جداً) .

(*) يقول هيغل في « دروس تاريخ الفلسفة »، فصل الفلاسفة الايليات : « ان جوهر الزمان والمكان هو الحركة لأنها الكلي – الكوني » . ويعلق لينين : « صح ! » (الدفاتر الفلسفية) .

(**) بعد رفضها للحكاية الطويلة السابقة : بركلي ...

ليس فقط بارنت يريد أو يتمنى لو أن عيننا ترى كل الأشعة وكل تركيب الضوء وكل الحقل [ليته عارفٌ الفيزيولوجيا ايضاً ، مفكّر بالعلاقة بين الشمس والعين ، بين الطبيعة ونتاجها وجزئها الحيوان والانسان] ، بل إنه أيضاً لا يعي انه انتهى الى نسف جوهر المثاليــة الذاتية ، جوهر المثالية الفيزيائية ، أي انه نسف منطلقَه ذاته. حقاً ، إن الأشياء أوسع ، الى ما لا نهاية ، من إحساساتنا (وأيضاً من معرفتنا الأكبر بكثير من إحساساتنا وادراكنا الحسّي) : هذا ما تثبته قصة الضوء الفيزيائي وأدراكنا (الفيزيولوجي – النفسي) له. أمـا بركلي وبارنت فقد قرأنا قولها : الاشياءهي الصفات التي هي احساساتنا ، ادراكاتنا الحسية ، وهي موجودة فقط في ذهننا (روحنا) او في ذهنٍ آخر مخلوقٍ ، أو في ذهنٍ أزلي (خالق الأذهان) .

ويضيف بارنت كخاتمة لهذه الفقرة : لكانَ العالم يظهر للانسان مختلفــاً اختلافاً عميقاً ، لو كانت عيناه مثلاً تتحسّــان الأشعة السينية » .

لو !... ما في ذلك أدنى ريب . لظهر العالم مختلفاً اختلافاً عميقاً ، للعين ، للادراك الحسي . ولكن هل كان يختلف العمق العلمي ، معرفة نيوتن وآينشتاين وبارنت وهيغل وماركس للعالم الفيزيائي ؟ ألا يرى بارنت أنه ، بهذا الافتراض أيضاً ، يجلد بارنت ويجلد بركلي ، ماخ ، والمثالية الفيزيائية ؟

(د) إن قضية التجريبية النقدية ليست وهمــاً أو تسرّعاً أو تضخيماً من لينين انها مسألة بالغة الأهمية والآنية .

إن فلسفة عصر الامبريالية - النازلة إلى الشارع – ، ضد المادية ، ضد الموضوعية ، ضد ثنائية الذات والموضوع ، ضد المعرفــة ، في حربها ضد وعي الشعوب ، تركب أيضاً حصان « اللامادية » .

هذا اولاً .

وثانياً . لقد ارتبطت التجريبية النقدية داخل صف البلاشفة الروس بالتيار « اليساري » (الاوتزوفي) . بوغدانوف كان رئيس بـــلاشفة اليسار وأول التجريبيين النقديين (وسيصبح أيضاً رائد البرولتكولت « الثقافة البروليتارية » .

المزعومة العدمية التخريبية في روسيا السوفياتية البادئة *) . هذه الآنية السياسية تضاعفت أضعافاً في زمننا : « اليسار » المغامر الكاريكاتوري مناهض للمادية ، للواقع ، المعرفة ؛ الواقع هو تصوّراته ، أفكاره ، احساساته ، إدراكاته الحسية .

وتتضاعف الآنية بارتباط أو تضافر وعي الأمبريالية وذاتية « اليسار » .

(و) سنجد أصداء نضال لينين ضد التجريبية النقدية ، ضد ماخ ، الماخية ، تشرنوف الخ (فضلاً عن كنط ، هيوم ، ويحتلاّن مكاناً مرموقاً من هذا المؤلف) في دفاتره عن ديالكتيك هيغل . بالنسبة للينين ، الديالكتيك والمادية لا ينفصلان. [« المنطق ، الديالكتيك . النظرية المادية للمعرفة ... هذا شيء واحد »].

إذن ، حين ندرس دفاتر لينين عن ديالكتيك هيغل ، فاننا لا ننسى المادية .

ولا ننسى أن هذه الدفاتر هي دفاتر دراسة شخصية لم تُعَدّ للنشر **.

إذا كان من الخطأ (من المناقض للماركسية) أن « نسحب » مقطعاً ما من كتب لينين والماركسية على ظاهرة أو مشكلة أو موقف ، فبالأحرى حين نكون أمام مخطوطة من هذا النوع .

[نقترح على القارىء أن يعود مرة ثانية إلى قراءة الملاحظة الأولى (مخطوطة لينين واخراجها) ، والمصطلحات وتعريفها ، قبل الشروع في قراءة نص لينين] .

[وكما قلنا ، الشكل والترجمة مطابقان في الأساس لطبعة لوفافر-غوترمان .

(*) ولنذكر أنه أسس «علماً كلياً كونياً » هو ... « علم التنظيم » !

(**) « الدفاتر الفلسفية » مجموعة خلاصات كتبها لينين بين ١٨٩٥ و ١٩١٦ . خلاصات متنوعة . عدا عن « منطق » هيغل : مؤلفات أخرى لهيغل ، العائلة المقدسة لماركس وانجلز ، « ميتافيزياء » ارسطو ، كتب في «فلسفة العلوم » ، كتاب فويرباخ عن فلسفة لايبنتس الخ الخ. وقد اعتمدنا في عرضنا السابق على هذه الدفاتر ، كما اعتمدنا على المؤلفات الكلاسيكية والقواميس ...

طابقنا أيضاً على ترجمة بوتيجلي - فرنان (الأمر الذي أوجد بعض الأقواس العمودية [ ] في نصنا ، حيث رأينا توضيحاً أو اختلافاً) .

حرصاً على عدم ضياع القارىء بين مصطلحات «مجلد» و«جزء» و« كتاب» ، وحرصاً على تثبيت التسلسل الجوهري لمضمون منطق هيغل ، جعلنا صفحات العناوين مطابقة في الأساس لهذه الترجمة الثانية ، لا سيا وان هذا التسلسل هو أيضاً تسلسل فهرس المنطق الصغير كما نقله لينين في خلاصته التالية : « مخطط ديالكتيك (منطق) هيغل »] .

خلاصة

« علم المنطق »

لهيغل

(هيغل ، المؤلفات الكاملة : المجلدات III ، IV ، V)

مقدمة الطبعة الاولى

المجلد III ، ص ٥ – ملاحظة نافذة عن المنطق : انه « حكم مسبق وباطل » ان المنطق « يعلّم التفكير » (كما أن الفيزيولوجيا « تعلّم الهضم » ؟؟) .

... « علم المنطق الذي هو الميتافيزياء بحصر المعنى أو الفلسفة التأملية الخالصة » (٦) .

. . « الفلسفة لا يمكنها أن تستعير طريقتها من علم تابع ، الرياضيات » (٦ – ٧) . . .

« هذه الطريقة لا يمكن أن تكون سوى طبيعة المحتوى المتحرك في المعرفة العلمية ، وفي الوقت نفسه إن هذا الانعكاس للمحتوى يفترض مسبقاً وينتج تعيينه . » (٧) .

(حركة المعرفة العلمية ، هوذا الأمر الجوهري) .

« الفهمُ entendement يحدّد [يعيّن] ، العقلُ ينفي ، العقلُ ديالكتي لأنه يحلّ (يحلّ في العدَم) تحديدات الفهم وحدة هذا وذاك ، « العقل الفاهم » أو « الفهم العقلي » (٧) = الموجب [الايجابي - الوضعي] .

نفي «البسيط» ... « حركة الروح » (٧) .. « فقط بسلوكها هذا الطريق الذي يبني نفسه بنفسه ، تستطيع الفلسفة ... أن تصبح علماً موضوعياً ، مبرهَناً » (٧ - ٨) .

«الطريق الذي يبني نفسه بنفسه » = طريقُ (هو ذا ، على ما أعتقد ، سرّ) المعرفة ، الحركة الواقعية من الجهل إلى العلم [savoir] .

إن حركة الوعي « مثل تطور كل حياة طبيعية وروحية » مؤسسة على « طبيعة التجريدات الخالصة التي تشكل محتوى المنطق » (طبيعة الكيانات أو الجوهريات الخالصة) [١] .

اقلبْ * : المنطق ونظرية المعرفة يجب أن ينطلقا من « تطور كل الحياة الطبيعية والروحية ».

(١) هذا ذو دلالة !

(*) هذه العبارة (أقلب ، يجب أن نقلب ، أن نعكس) ستتكرر . يقصد لينين : القلب المادي لجدل هيغل المثالي).

مقدمة الطبعة الثانية

« تقديم ميدان الفكر فلسفياً ، أي في فاعليته الخاصة الملازمة له ، أو ، وهذا شيء واحد ، في انبساطه – تطوّره الضروري . NB » (١٠)...[١]

« أشكالُ الفكر المألوفة » – هــذا مبدأ هام ، « عظامُ هيكل عظمي بلا حياة » (١١) .

يلزم لا عظامٌ بلا حياة ،
بل حياةٌ حيةٌ .

علاقة الفكر واللغة (اللغة الصينية ، بين لغات أخرى ، واقع أنها ليست متطورة . . تشكُّلُ المصادر والأفعال) (١١) . في الالمانية ، الكلماتُ لها أحياناً « معانٍ متعارضة » (ليس فقط « مختلفة » بل متعارضة) – « تلك سعادةٌ للفكر » (١٢) [٢] * .

مفهوم القوة في الفيزياء – والقطبية (« القطبان متعارضان مترابطان دون امكان فصل [التشديد من هيغل] » (١٢)

---

(١) هذا ملفت للانتباه ! (اشارة NB السابقة معناها Nota bene = لاحظ جيداً) .

(٢) تاريخ الفكر = تاريخ اللغة ؟

(الاضداد في اللغة العربية كانت ، قبل سنوات قليلة ، موضوع ندوة مستشرقين في باريس. – المترجم العربي) .

لاحظ أيضاً ص ١١ ... « ولكنْ إذا أقمنـا الطبيعة بوصفها فيزياء في معارضة الروحي ، يجب أن نقول أن المنطقي هو بالأحرى فوق — الطبيعي »...[١]

إن الأشكال المنطقية هي « كل ما هو الأكثر « إلفـة » ، ولكن « ما هو مألوف ليس بعدُ لذلك معروفاً » (١٣) .

« التقدّم غير المحدود » — « تحرير » « أشكال الفكر » من المـادة ، من التمثيلات [الصور] ، من الرغبات ، الخ ، إنضاج الكلي — الشمولي (أفلاطون ، أرسطو) ، بداية المعرفة ...

فقط « حين حصل البشر على الضروري... بدأ البشر يتفلسفون » ، هذا ما يقوله ارسطو (١٣ ، ١٤) ، ويتحدثون أيضاً عن وقت فراغ الكهنة المصريين بوصفه شرط بدايات العلم الرياضي (١٣) . الانشغال بـ « الافكار الخالصة » يفترض «طريقاً طويلاً كان على الروح البشرية أن تقطعه» . في فكر كهذا .

« تسكت المصالح التي تحرّك حياة الشعوب والأفراد » (١٤) [٢] إن مقولات المنطق هي اختصارات (epitom:irt * في مقطـع آخر) « للكتلة اللامحدودة » لِ « الوقائع الخاصة للوجود البشري وللفاعلية » (١٥) . وبدورها ، هذه المقولاتُ تخدم في الممارسة (« في الاستخدام الروحي للمحتوى الحيّ » في الابداع والتبادل » (١٥) .

« صحيح أننا لا نقول أن إحساساتنا ، غرائزنا ، اهتماماتنا ، تخدمنا ؛ فهي تعتبر قوى مستقلة وقدرات نحن هي » (١٥) [١] .

لا يمكن القول عن أشكال الفكر أنها تخـــدمنا لأنها « تجتاز كل تمثيلاتنا [صورنا] » (١٦) ، إنها «الكلي الشمولي من حيث هو كلي شمولي » .

---

(١) الطبيعة و « الروحي ».

(٢) المصالح « تحرك حياة الشعوب » .

(* ملخص ، اختزال) .

(١) علاقة الفكر والمصالح والغرائز ...

موضوعية : مقولات الفكر ليست أداة للانسان ، بل التعبير عن قوانين الطبيعة والانسان . — أنظر في مكان لاحق تعارُض .

« الفكر الذاتي » و « المفهوم الموضوعي لجوهر الاشياء ذاته » . لا نستطيع « الخروج من طبيعة الأشياء » (١٦) .

وهذه الملاحظة ضد « الفلسفة النقدية » (١٧) . انها تتصوّر العلاقة بين « الحدود الثلاثة » (نحن ، الفكر ، الأشياء) كما لو كنا « في الوسط » ، بين الأشياء والفكر ، كما لو كان هذا الوسط « يفصلنا » « بدلاً من أن يجمعنا » .
هيغل يقول أنه يجب الاجابة على ذلك بـ « الملاحظة البسيطة » القائلة ان

« هذه الأشياء نفسها التي يُفترَض انها في ما – بعد أفكارنا ، هي ذاتها أفكار (Gedankendinge [أشياء من الفكر ، أشياء فكرية]) . و « أن ما يسمّى الشيء في ذاته ليس سوى فكر التجريد الفارغ » (١٧) [١] .

في رأيي ، هذا هو جوهر هذه البرهنة : ١) عند كنط Kant ، المعرفة تفصل الطبيعة والانسان : بالحقيقة ، إنها توحّد ؛ ٢) عند كنط ، لدينا « التجريدُ الفارغ » ، تجريدُ الشيء في ذاته ، بدلاً من تقدّم معرفتنا ، بدلاً من الحركة الحية ، حركة معرفتنا المتزايدة العمق للأشياء .

الشيء في ذاته الكنطي هو تجريد فارغ ، وهيغل يطالب أن تكون المجردات متفقة مع جوهر الاشياء : « مفهومُ الأشياء الموضوعيُّ هو جوهر الأشياء ذاته » – انه يطالب أن تكون التجريدات – إذا تكلمنا بلغة المادية – متفقة مع التعمق الواقعي لمعرفتنا العالمَ .

ليس صحيحاً أن أشكال الفكر هي « وسيلة » فقط ، أن معناها هو « الاستعمال » (١٧) .

وليس صحيحاً كذلك أنها فقط « أشكال خارجية » ، « أشكال تُمنح وحسب للمحتوى ، وليست هي المحتوى نفسه » (١٧) NB .

---

(١) ضد مذهب كنط .

هيغل يطلب منطقاً تكون أشكاله أشكالاً مليئة بالمحتوى :
أشكالَ محتوى واقعي ، حيّ ، أشكالا متحدة مع المحتوى بشكل وثيق .

وهيغل يلفت الانتباه إلى « أفكار كل الأشياء الطبيعية والروحية » (١٨) ، إلى « المحتوى الماهويّ » (١٨) ...

– « المهمّة هي أن تُرفع إلى الوعي هذه الطبيعة المنطقية التي تحرّك الروح ، التي تعيش وتفعل في الروح » (١٨) .

المنطق هو علم لا الأشكال الخارجية للفكر ، بل قوانين تطور « كل الأشياء المادية والطبيعية والروحية » - أي تطور كل المحتوى العياني للكون ومعرفته - أي حاصل جمع ، حصيلة تاريخ معرفة العالم .

ان « الفاعلية الغريزية » « تتفتّت إلى مادة متنوّعة تنوّعاً لا حدّ له » . بالمقابل ، ان « الفاعلية الواعية والفاهمة » تحرّر [dégage] « المحتوى الحيّ » « من الوحدة المباشرة مع الذات » ، وتقوده إلى « الموضوعية أمام الذات » .

« في هذه الشبكة تتوطد هنا وهناك عقدٌ أكثرُ صلابة هي نقاط استناد وتوجيه لحياته ووعيه (حياة ووعي الروح أو الذات) » (١٨) ...

كيف نفهم ذلك ؟

أمام الانسان ، توجد شبكة الظاهرات الطبيعية . الانسان الغريزي ، الهمجي ، لا يتحرّر من الطبيعة . الانسان الواعي يتحرر [se dégage] منها ، المقولات هي درجات هذا التحرّر ، أي درجات معرفة الكون – نقاطٌ عقدية في الشبكة تتيح معرفتها والسيطرة عليها .

« الحقيقة ليس لها نهاية » (١٩) – نهائيتها هي نفيُها ، هي « نهايتُ » ها . إن أشكال الفكر ، اذا أخذناها كـ « أشكال متميّزة عن المحتوى وممنوحة له وحسب » (١٩) غيرُ ملائمة لأن تحتضن الحقيقة . فراغ هذه الأشكال (أشكال المنطق الصوري) تجعلها « جديرة

بالاحتقار » و « سخيفة » (٢٠) . قانون الهوية ،آ = آ ، فارغ ، « لا يطاق » (١٩) .

من الاجحاف أن ننسى ان هذه المقولات « لها ميدان في المعرفة ، وفي هذا الميدان يجب أن تكون صالحة » . ولكنها ، كـ « أشكال لامبالية » يمكن أن تصبح « أدوات للضلال والسفسطة » (٢٠) ، لا للحقيقة .

« التحليل الفكري » يجب أن يحتضن ليس فقط « الشكل الخارجي » ، بل أيضاً « المحتوى » (٢٠) .

« مع هذا الإدخال للمحتوى في التحليل المنطقي » ، يصبح موضوعه « لا الأشياء » ، بل « جوهر الأشياء ، مفهوم الشيء » NB .

لا الأشياء ، بل قوانين حركتها ، مادياً .

... « اللوجوس ، علة * ما هو كائن » . . (٢١) .

وصفحة ٢٢ في البداية ، موضوع المنطق معرّف بالكلمات الآتية :

« تطور (انبساط) الفكر في ضرورته » [١] ...

يجب أن نستنتج [déduire] المقولات (لا أن نأخذها تعسفيا أو ميكانيكيا) ، لا « أن نروي » ، لا « أن نؤكد » ، بل أن ندلل [أن نبرهن] (٢٤) ، منطلقين من المقولات الأبسط ، الأكثر أساسية (الوجود ، العدم ، الصيرورة) (بدون أن نأخذ سواها) — هنا في : « هذه البذرة هي كل تطورها » (٢٣) .

---

* لوجوس ، logos ، في اليونانية = العقل - وتعني (كما في العربية) الربط - ومنها logique = المنطق . raison الفرنسية (العقل ، مصدرها اللاتيني يعني في الاصل : حسب ، عد) تعني ايضاً علة الشيء ، سببه ، تعليله .

١. « تطور » الفكر في ضرورته .

المدخل

فكرة عامة عن المنطق

عادةً يُفهَم المنطق على أنه « علمُ الفكر » ، « فقط شكلُ المعرفة »(٢٧).
هيغل يدحض هذا المفهوم . ضد الشيء في ذاته « الذي ليس سوى شيء في ما – بعد الفكر » (٢٩) .
أشكال الفكر في هذه الحال لا تنطبق على « الاشياء في ذاتها » (٣١) .
ولكنها معرفة حمقاء المعرفةُ التي لا تعرف الأشياء في ذاتها ثم أليس الفهمُ شيئاً في ذاته ؟ (٣١) .
« المثالية العليا - الخارقة المنسجمة مع نفسها والواصلة الى نهايتها قد اعترفت ببطلان « الشيء في ذاته» الشبَحي الذي ما تزال الفلسفة النقدية تحتفظ به – ببطلان هذا الظل التجريدي ، الخالي من أي محتوى - ووضعتْ لنفسها هدفَ تدميره كلياً » (٣٢) . هذه الفلسفة (فيخته ؟) « بدأت ايضاً تستنتج من ذواتها تعيينات العقل . ولكن المعنى الذاتي لهذه المحاولة لم يُتح لها ان تكتمل » (٣٢) .
الأشكالُ المنطقية هي أشكال ميتة - لأنه لا يُنظَر اليها كـ « وحدة عضوية » (٣٣) ، كوحدتها « العيانية والحية » (٣٣) .
« في مؤلف فينومينولوجيا الروح فحصتُ « الوعيَ في حركته من التعارض الأول مع الموضوع حتى العلم المطلق » (٣٤) . « هذا الطريق يمرّ بكل أشكال علاقة الوعي والموضوع » ...

« من حيث هي علم، الحقيقة ُ هي وعي ُ الذات الخالص الآخذ ُ في التطور»...
« الفكر ُ الموضوعي » ... « المفهوم ُ بوصفه المفهوم هو َ ما ... هو في ذاته ولذاته » (٣٥) .

(٣٦ : حكايات خوارنة : الله ، عهد الحقيقة ، الخ .)

٣٧ : كَنْط أعطى « معنىً ذاتيـاً بشكل جوهري » لِ « التحديدات المنطقية » ولكن تحديدات الفكر لها « قيمةٌ ووجودٌ موضوعيان » (٣٧) .
ووصل الأمر ُ نتيجة ذلك الى ازدراء المنطق القديم (٣٨) . يجب إعادة صنعه ...

٣٩ : المنطق الصوري القديم هو مثل ُ لعبة أطفال يركّبون لوحة بواسطة قطع صغيرة (ونجم عن ذلك ازدراؤه : ٣٨) .

٤٠ : الفلسفة ُ يجب ان يكون لديها طريقةٌ لها (لا الطريقة الرياضية ، ضدّ سبينوزا ، فولف Wolff ، وآخرين) .
٤٠ : ٤١ : « لأن الطريقة هي وعي شكل حركة محتواها الداخلية »
N. B. وكل تتمة الصفحة ٤١ شرحٌ جيّد للديالكتيك .
« إنّ المحتوى نفسه، الديالكتيك الذي فيه، هو ما يدفعه الى أمام» (٤٢).
« إن ما يسيِّر تقدّم جملة معطاة من الظاهرات هو محتوى هذه الجملة نفسه ، الديالكتيك الذي لهذا المحتوى في نفسه» (أي ديالكتيك حركته الخاصة ذاتها).
السالب هو أيضاً موجب (٤١) — النفي ُ هو شيء ما محدّد ، له محتوى محدّد، التناقضات ُ الداخلية ُ تسبّب زوال القديم وحلول الجديد، الأعلى، محله .
في المنطق القديم ، ليس ثمة انتقال ، تطوّر (للمفاهيم وللفكر) ، ليس ثمة « رابطة داخلية ، ضرورية » (٤٣) لكل الأجزاء وانتقال من أحدها الى آخر . NB .
هيغل يضع اشتراطين أساسين :

١ ؛ ضرورةُ الرابطة .

و

٢) أصلٌ للفروق [الاختلافات] أصليٌ - ملازم

هام جداً ! هذا ما يعنيه ذلك ، في رأيي :

١ً . ضرورة وجود رابطة ، رابطة موضوعية لكل الوجود ، القوى ، الميول [الاتجاهات] الخ ، في جملة معطاة من الظاهرات .

٢ً . «أصلُ الفروق الملازم» — منطق داخلي موضوعي للتطور ولصراع الفروق الصائرة قطبيّة .

عيوب ديالكتيك أفلاطون في مؤلفه « بارمِنيد » :

« عادةً يُنظر الى الديالكتيك كأنّه فاعلية خارجية وسلبية لا تنتمي الى جوهر الشيء نفسه ، — كأنّه بحث ذاتيَ يسعى ، من باب غرور خالص ، الى زعزعة وحل ما هو صلب وحقيقي ، ولا يقودِ الى أي شيء سوى غرور الموضوع المعالج ديالكتياً » (٤٣) .

٤٤. إن مأثرة كَنط الكبرى أنهَ نزع عن الديالكتيك « مظهر العسف » . شيئان هامان :

١) موضوعية الظاهري :

NB : غير واضح .

الرجوع الى هذه النقطة !)

٢) ضرورة التناقض .

نفْسٌ تتحركُ تلقائياً (« السلبية [النفْسِيّة] الداخليـة ») ... « مبدأ كل حياة طبيعية وروحية » (٤٤) .

ألا يَقصد أن الظاهري هو أيضاً موضوعي ، لأنّ فيـه أحد وجوه العالم الموضوعي ؟ ليس فقط الجوهر ، بل أيضاً الظاهر ، هو موضوعي . اختلاف الذاتي والموضوعي موجود ، ولكن له أيضاً حدوده .

الديالكتيك
= Fassen * ، « إدراك التناقضات في وحدتها » ...

٤٥ . المنطق يشبه قواعد اللغة في كونهـــا بالنسبة للمبتدىء تعني شيئاً ، وبالنسبة لمن يعرف اللغة (واللغات) وروح اللغة ، إنها شيء آخر . « إنهـــا شيء آخر بالنسبة لمن يقترب وحسب منها ومن العلوم ، وشيء آخر بالنسبة لمن يعود اليها [١] » .

عندئذ يعطي المنطق « جوهرَ هذه الثروة (ثروة تمثيل العـــالم) ، طبيعة الروح والكون الداخلية » (٤٦)

« ليس فقط الكلّي المجرّد ، بل الكلّي الذي يتضمّن في ذاتـــه ثروة الخاص [٢] » (٤٧) .

صيغة رائعة : « ليس فقط الكلّي المجرد ، بل الكلّي الذي يجسّد في ذاته ثروة الخاص ، الفردي ، المفرد (كل ثروة الخاص والفردي ؟) » !! جيّد جداً !

« هكذا نفس المثل الشائع بقوله فتى يفهمه بشكل صحيح ليس له نفس المعنى والمدى اللذان له في ذهن رجل ذي خبرة يفصح عن كل قوة محتواه (٤٧)» [٣] .
هكذا فإن المنطقي لا يقدّر حق قدره الا حين يصبح نتيجة الاختبار العلمي [٤] ؛ إنه يَمثُل عندئذ للذهن كحقيقة عامـــة ، لا كمعرفة خاصة الى جانب موادّ ووقائع أخرى ، بل كجوهر كل هذا المحتوى الآخر [٥] ... (٤٧) .

« أن منظومة [système] المنطق هي مملكة الظلال » (٤٧) الحرّة من « كل العياني الحسّي » ..

---

* قبض على ، ادرك .
١. دقيق وعميق !
٢. انظر « رأس المال » .
٣. مقارنة جيدة (مادية) .
٤. « حاصل جمع التجربة العلمية » . NB .
٥. (« جوهر ») « المحتوى الجوهري لكل العلوم » .

(٥٠) — ... « ليس مجرداً ، ميتاً ، ساكناً ، بـــل عياني »
(هذا ذو دلالة ! روح وجوهر الديالكتيك !)

٤٢ ملحوظة :. نتائج الفلسفة الكنطية[١] : « العقل لا يستطيع معرفة المحتوى الواقعي ، والحقيقة المطلقة هي في متناول الايمان فقط » . .

٥٣ . مرة أخرى أن الشيء في ذاته = تجريد ، نتاج الفكر المجرّد .

---

١. كنط : الحد من « العقل » وتعزيز الايمان .

الكتاب الاول
مذهب الوجود

- الوجود
- الكيف
- الكم
- القياس

(المجلد III . منطق موضوعي)

الوجود

موضوع المنطق ، مقارنة مع « نظرية المعرفة » الحالية .

٥٩ .. (مروراً) .. « طبيعة المعرفة » كذلك ص ٦١ .

٦٠ ... « لا يوجد [التشديد من هيغل] شيء في السماء ، ولا في الطبيعة ولا في الروح ولا في اي مكان آخر الا ويحوي معاً المباشر والوساطة » . NB .

١) السماء - الطبيعة - الروح . لتسقط السماء : المادية .

٢) كل شيء « موسّط » médié = vermittelt ، مربوط في وحـدة ، مربوط بانتقـالات . تسقط السماء - وحـدة قوانين كل (سير تطوّر PROCESSUS) الكون .

٦٢ - « المنطق هو العلم الخالص science pure ، اي العـلم الخالص pur savoir في كل مدى تطوّره » .

السطر الأول حماقة .

الثاني عبقري :

من أين البدء ؟ « الوجود الخالص » (٦٣) — « عـدم افتراض أي شيء مُسبقـاً » (٦٣) ، هو البداية . « ليس له أي محتوى » .. « يجب أن لا يكون مُوسّطاً بأي شيء » .

٦٦ . « تقدُّم (المعرفة) ... يجب أن تحدّده طبيعة الموضوع والمحتوى ذاتها » NB .

٦٨ . البداية تحوي « العدم » و « الوجود » ، انها وحدتها :
... « البادىء ليس بعدُ ؛ انــه يقترب وحسْب من الوجود ... » (من **اللاوجود نحو الوجود** : « اللاوجود الذي هو في الوقت نفسه الوجود ») .
حاقات عن المطلق ص ٦٨ – ٦٩ . أحاوِل دائماً قراءة هيغل قراءة مادية .
هيغل هو الماديةُ رأسُها موضوعٌ في الأسفل (حسْبَ انجلز) - اي ، أستبعدُ الى حد كبير [en grande partie] الآلة ، المطلق ، الفِكرة الخالصة ، الخ.

٧٠ . لا يمكن بدءُ الفلسفة بالـ « أنا » . إذْ لا يكون عندئذٍ ثمة « حركة موضوعية » (٧١) .

الباب الأول : الكيف

٧٧ الوجود الخالص « ليس له تعيينات أخرى » .
(إن تعيناً ما هو كيفٌ [صفة qualité]) * .
انتقال من Sein الوجود إلى Dasein الوجود المعيّن .
موجود حاضر (؟) معيّن .
— ومن هذا الأخير إلى الموجود لذاته .
وجود — لا وجود — صيرورة .

٨٢ : هذا يبدو « مفارقة » :
« الوجود الخالص والعدَم الخالص هما ... نفس الشيء » .

(٧٨) : وحدتها هي الصيرورة .
« حركة الزوال المباشر للواحد في الآخر ، هذه » .. يقام العدم في معارضة الشيء ما ولكن الشيء ما هو سلفاً موجود معيّن متميّز عن موجود آخر .
شيء ما ، في حين أننا هنا بصدد اللاوجود البسيط . (٧٩).
(فلاسفة مدينة ايليه Eléates وخصوصاً بارمنيد Parménide كانوا أول من بلغ هذا التجريد ، تجريدَ الوجود). عند هيراكليت كل شيء « يجري » (٨٠) ... « أي : كل شيء صيرورة » .

---

* لا بأس أن نشير إلى أن هذا الباب الأول عنوانه في ترجمة فرنان و بونيلي : « التعيين (الكيف) » . التعيين ، التحديد = كيف ، صفة .)

من لا شيء لا شيء يخرج ؟ من العدم يخرج الوجود (صيرورة) ... ٧١ :
« ليس من الصعب تبيان هذه الوحدة للوجود والعدم . . في كل [التشديد من هيغل] واقع أو فكر » ... « لا يوجد شيء لا في السماء ولا على الارض الا ويحوي في ذاته الاثنين ، الوجودَ والعدم » . ثمة اعتراضات تُستَمَدّ من الوجود المعيّن (معي أو ليس معي مئة دينار (ص ٨٢ ، في الأسفل) – ولكن ليس هنا المسألة ...) .

« إن موجوداً معيّناً [محدّداً]، محدوداً ، هو موجود ينتَسِب إلى آخر؛ إنه محتوىً هو في علاقة ضرورية مع محتوىً آخر ، مع العالم أجمع . بخصوص الوحدة المعيّنة [المحدّدة ، المقرّرة] للكل بصورة تبادلية ، استطاعت الميتافيزياء ان تضع التأكيد ، التكراري أساساً، الذي يقول انه اذا دُمّرت ذرّة من غبار، فان الكون أجمع سينهار » (٨٣)[1] .

٨٦ : « ما هو أول في العلم يجب أن يظهر أوّلَ تاريخياً . N.B » .
ذو رنّة مادية جداً !

٩١ : « الصيرورة هي بقاء الوجود كما هي بقاء اللاوجود » .
« الانتقال هو مثل الصيرورة » (٩٢ ، في النهاية) .

٩٤ : « عند بارمنيد كما عند سبينوزا يُفترض أننا لا نتقدّم من الوجود أو من الماهية المطلقة إلى السلبي ، إلى المحدود . »

ولكن ، عند هيغل ، إن وحدة أو عدم امكان فصل (ص ٩٠ ، هذه العبارة الأخيرة أفضل أحياناً من الوحدة) الوجود والعدم ، تعطي الانتقال ، الصيرورة.
المطلق والنسبي ، المحدود واللامحدود ، هي أجزاء ، درجات الكون الواحد . أليس الأمر هكذا ؟

(١) « ترابط كل الكون ترابطاً ضرورياً » ... « وحدة مقررة للكل تبادلياً » .

٩٢ : (بالنسبة للوجود الموسّط سنحتفظ بعبارة « Existenz »، [« وجود معيّن »]) .

١٠٢ : عند افلاطون في مؤلفه «بارمنيد»، الانتقال من الوجود و والواحد = « انعكاس خارجي » [« تفكير خارجي »]

١٠٤ : يقال أن الظلام هو غياب النور . ولكن في « النور الخالص لا نرى أكثر مما نرى في الظلام الخالص »...

١٠٧ اشارة إلى الكميات المتناهية الصغر التي تؤخذ في سير اختفائها .
« لا يوجد شيء الا وهو حالة وسيطة بين الوجود والعدم » NB .
« الابتداء لا يمكن أن يفهم » — اذا كان العدم و الوجود يطرد كلٌ منهما الآخر - ولكن هذا ليس ديالكتيا ، بل هو سفسطة (١٠٨) .
« اذ أن السفسطة هي محاكمة تذهب من افتراض مسبق غير مؤسس ، مُقر بلا نقد ولا تفكير ؛ ولكننا ندعو ديالكتيكاً حركة العقل العليا التي فيها الظواهر المنفصلة ببساطة تنتقل بنفسها ، بما هي ، بعضها في البعض الآخر ، والتي فيها المقدّمة تتجاوز نفسها » (١٠٨) [١] .

الصيرورة . لحظاتها . الولادة والزوال (١٠٩) .
تجاوز الصيرورة : الـ Dasein
وجود عياني ، محدّد ؟

١١٠ : تجاوزَ = انتهى من (وحفظ في الوقت نفسه)
= أبقى

١١٢ : الـ Dasein هو الوجود المحدّد [المعيّن] (NB « عيانيٌ » [« un concret » « واحد عياني » ، ص ١١٤) – كيفٌ مفصول عن الآخر – قابل للتغيّر ومحدود N. B. .

---

(١) السفسطة والديالكتيك .

١١٤ : « التحديد معزولاً على هذا النحو لذاته ، كتحديدِ كائن ، هو الكيف »...

« الكيف مميّزاً بحيث يُفهَم على أنه كائن ، هو الواقع » (١١٥) .

١١٧ : « التعين هو النفي » ... (سبينورا) . « كل تعيين هو نفي ، هذه القضية ذات أهمية لا حدّ لها » ...

١٢٠ : « إن شيئاً ما هو أول نفي للنفي » .
هنا ، العرضُ جزئي جداً وغائم جداً .
تركيبة هيغلية مجردة وعويصة .— انجاز .

١٢٥ :— ... زوجان من التعاريف : ١) شيء ما وشيء آخر ؛ ٢) موجود للآخر وموجود في ذاته .

١٢٧ — شيء في ذاته — « تجريد جدّ بسيط » . يُعتَقد انه من العمق ان نقول اننا لا نعلم ما هو الشيء في ذاته. الأشياء في ذاتها هي التجريد من كل تعيين (وجود للآخر) (من كل علاقة مع الآخر) ؛ اي : لا شيء . اذن الشيء في ذاته « ليس سوى تجريد فارغ بلا حقيقة » . NB .

هذا بالغ العمق : الشيء في ذاته وتحويله الى الشيء لآخرين (انظر انجاز) . الشيء في ذاته وحسْب هو تجريد فارغ لا حياة فيه . في الحياة وفي الحركة ، الكل وكل شيء هو « لذاته » وايضاً « لآخرين » ، في علاقة مع شيء آخر ، يمضي باستمرار من حالة الى أخرى [١] .

١٢٩ — مروراً : الفلسفةُ الديالكتية التي تجهلها « الفلسفةُ الميتافيزية التي تشمل أيضاً الفلسفةَ النقديةَ » [٢] .

---

١. جيد جداً ! واذا تساءلنا ما هي الأشياء في ذاتها ، « عندئذ في هذا السؤال تعطى بشكل غير متفكر استحالة الجواب » (١٢٧) .
٢. الكنطية = ميتافيزياء .

الديالكتيك هو العــلم الذي يبيّن كيف ان المتناقضات يمكن ان تكون (وهي تصير) متماثلة في الهوية - في أية شروط يتحوّل نقيض إلى آخر ، - لماذا يجب على العقل الإنساني ان لا يأخذ هذه المتناقضات كأشياء ميتة ، محجّرة بل ان يأخذها كأشياء حيّة ، مكيّفة بشروطها ، متحرّكة ، يتحول أحدهـا الى آخر . حين نقرأ هيغل* ...

١٣٤ - « الحدّ هو النفي البسيط أو النفي الأول » للشيء ما كل شيء ما له حدّه ، و « لكن الآخر هو في الوقت نفسه نفي النفي » .

١٣٧ - « ان شيئاً ما موضوعاً مع حدّه اللازم له على أنه تناقضُ ذاتــه الذي به يُطرَد ويُدفَع الى ما - بعد نفسه ، هو المحدود » .

(إن شيئاً ما مأخوذاً من وجهة نظر حدّه اللازم ، - من وجهــة نظر تناقضه الداخلي الذي يدفعه الى ما - بعد نفسه ، هو المحدود) .

حين يقال عن الأشياء انها محدودة ، فإنه بذلك يُعترَف بأن لا وجودَها هو طبيعتها (« اللاوجود هو وجودها ») .

« هذه الاشياء كائنة ، ولكن حقيقة هذه الكينونة هي نهايتها » .

نافذٌ وذكي ! المفاهيم التي عادةً ما تبدو ميتة ، هيغل يحلّلها ويبيّن ان ثمة حركة فيها NB . - محدود ؟ اذنْ ، متحرّك نحو الحدّ ! شيء ما ؟ اذنْ ليس هذا الذي هو شيء آخر . - وجود بوجه عــام ؟ اذن لا معيّن لدرجة أن الوجود = لا وجود . مرونــة كلية - كونية للمفاهيم ، مرونة تنتهي الى تماثل المتناقضات - ذلك هو الجوهر . مرونة الفكـر هـذه مطبّقة ذاتياً = انتقائية وسفسطة [1] . مطبّقةً موضوعيا ، أي عاكسةً كلّيةَ - كونيةَ سير التحول المادي ووحدته ، انها الديالكتيك ، انهــا الانعكاس الحقيقي للتطور الأزلي للكون .

(*) هذه الاشارة (*) إحالة إلى مكان لاحق (ص١٤٣ من نص هيغل) .

١. أفكار عن الديالكتيك . حين نقرأ هيغل (*) .

١٣٩ - اللا محدود والمحدود ، كما يقال، متعارضان؟ (انظر ايضاً ص١٤٨ ؛ ١٥١) .

١٤١ - وجوب ان يكون وحدّ — لحظتان للمحدود .

١٤٣ - « في الذي يجب ان يكون يبدأ الانتقــال الى ما ـ بعد المحدودية ؛ تبدأ اللا محدودية » .

١٤٣ — يقال ان العقل له حدوده . « هذا التأكيد يحوي عدم وعي واقع اننا بالضبط حين نعيّن شيئاً ما كحدّ، نذهب بذلك الى ما وراء هذا الحد[١] . »

١٤٤ — ان حجَراً لا يفكّر ولذا فإن حدّه ليس حدّه له . ولكن الحجر أيضاً له حدوده ، مثلاً قابلية ان يصبح حامضاً ، اذا كان أساساً قابــلاً للتغير بفعل الحوامض .

تطور الحجر

١٤٥ كل ما هو إنساني يتخطى حــدوده (الغريزة ، الألم ، الخ) ، و العقلُ يريدونه « ان يكون عاجزاً عن تخطي الحدّ » !

« ولكن، بطبيعة الحال، ليس كل تجاوز للحدود تحرراً حقيقياً من الحدود » !

إن حجر مغناطيس ، لو كان ذا وعي لاعتَبَرَ حراً توجههُ نحــو الشمال (لايبنتس Leibniz) - كلاّ إطلاقاً ، لأنه سيكون قد عرف كل الجهات الاربع وسيكون قد اعتبر جهة واحدة حدّ حريته ، أي تحديداً ، الخ .

١٤٨ ... « انما طبيعة المحدود نفسه ان يتجاوز نفسه ، ان ينفي نفيه ، وان يصير غير محدود[٢] » .

ليست قوةٌ خارجية هي التي تحوّل (١٤٩) المحدود الى اللامحدود ، بــل طبيعته ذاتها (المحدودة) .

---

١. جيد جداً .

٢. ديالكتيك الأشياء نفسها ، الطبيعة ، سير الحوادث .

١٥١ « اللامحدود السيء » – لا محدود معارض كيفاً للمحدود ، غــير مرتبط به ، مفصول عنه ، كما لو أن المحدود هو ما ـ قبل واللامحدود ما ـ بعد ، كما لو أن اللامحدود هو فوق المحدود ، خارجه ...

١٥٣ : ولكن بالحقيقة ، المحـدودُ واللامحدود لا ينفصلان انهما واحد (١٥٥) .

١٥٩ : ... « إن وحدة المحدود واللامحدود ليست تراصفاً خارجياً، رابطة مضادة ، لا تتفق مع تعريفهما ، تَوَحـّد كيانين مستقلين ومتعارضين ، أحدهما مستقل عن الآخر ، بل إن كلاً منهما هو في ذاته هذه الوحدة ، وإن كلاً منهما هو فقط تجاوُزُ نفسه ، وليس لأحد على الآخر امتياز الموجود في ذاته والموجود المعيّن التأكيدي . كما بيّنّا سابقاً ، إن المحدودية ليست كائنـــة الا كانتقال الى ما ـ بعد الذات ؛ لذا فهي تحوي اللامحدوديةَ ، ذاتَها الاخرى [1] » ...

. « ولكن التقدّم اللامحدود يعبّر اكثر (مما تعبّر المقارنة البسيطة بين المحدود واللامحدود) ، فيه توجد ايضاً رابطة [التشديد من هيغل] ما هو في الوقت نفسه مختلف متميّز » (١٦٠) [2] .

١٦٧ : « إن طبيعة الفكر التأمـــلي – الاستِدْلالي تكمن فقط في إدراك اللحظات المتعارضة في وحدتها » .

إن مسألة الانتقال من اللامحدود الى المحدود تُعتبَر أحياناً جوهرَ الفلسفة . ولكن هذه المسألة تعود الى مسألة تفسير ارتباطهما ..

١٦٨ .. « في ميادين أخرى ايضاً ، ان بعض التربية ضروري لمعرفة طرح أسئلة ، ولكن هذا ضروري أكثر في الفلسفة ، اذ بدونه يُخشى ان ينال المرء جواباً فحواه ان السؤال كان بلا معنى [3] » .

---

١. تطبيق ذلك على الذرات مقابل الالكترونات . بوجه عام ، لانهائية المادة في العمق ...
٢. ترابط (كل أجزاء) التقدم اللامحدود .
٣. جيد جداً !

– لقد اختفَت العلاقة مع الأخر : لم يبق الا العلاقة مع الذات . –

١٧٣ – ١٧٤ : الوجود لذاته = الوجود اللامحدود ، الوجـــود الكيفي qualitatif المحقّق الناجز . الكيف يصل الى الطرف الأقصى ويصير كماً .

مثالية كنط وفيختة ... (١٨١) « تبقى في ثنائيـــة ((غير واضح)) الوجود المعيّن والوجود للذات » ...

اي هذا الانتقال من الشيء في ذاته (المذكور فيالجملة التالية) الى الظاهرة؟ من الموضوع الى الذات ؟ .

لماذا الوجودُ لذاته هو وحدة (Eins واحد) ، هذا لا أفهمه ، هيغل يبدو لي هنا غامضاً تماماً .

الواحد – انـــه المبدأ القديم « الذرّة » = لا يُجزّأ (و الفراغ) . الفراغ يعتبر مصدر الحركة (١٨٥) ليس فقط بمعنى ان المكان ليس محتلاً ، بل « انـه يحوي ايضاً فكرة أعمق وهي أن السالبَ حسْب يحـوي أساسَ الصيرورة ، قلق الحركة الداخلية »[١] .

١٨٣ – « مثالية الوجود لذاتـه ، بوصفها جامعة كلية ، تتحول بادىء بدء إلى واقع، ولا سيا إلىالواقع الأكثر صلابة ، الأكثر تجريداً ، بوصفه واحداً ». ماء عكر ...

إن فكرة تحوّل المثالي إلى واقعيفكرة عميقة: بالغة الأهمية بالنسبة للتاريخ. ولكنْ ، أيضاً في حياة الانسان الشخصية ، من الواضح أنّ في هذا القول كثيراً من الصواب ضد المادية المبتذلة . NB . إن تمايز المثالي والواقعي هو أيضاً ليس مطلقاً ، ليس مبالغاً .

١٨٩ – ملحوظة . واحدات [monades] لايبْنتس . مبـدأ الواحد وطابعه الناقص عند لايبنتس .

---

١. NB : الحركة الداخلية .

من الواضح أن هيغل يأخذ إغناءه للمفاهيم ، للمقولات ، بالارتباط مع كل تاريخ الفلسفة . هذا يقدّم وجهاً جديداً للمنطق كله .

١٩٣ — « انها قضية قديمة ان الواحد متعدّد وبشكل خاص ان المتعدد واحد » .

١٩٥ — « ان الفرق بين الواحد والمتعدّد يعرّف نفسه بأنه فرق علاقتها المتبادلة ، التي تنفكّ الى علاقتين ، هما النبذ و الجذب » ...

لا ريب [sans doute ، على الأرجح] ، كلُّ هذا الوجود لذاته ، كان هيغل بحاجة اليه ليستنتج كيف يتحوّل الكيف الى كمّ – الكيف هو تعين ، تعين لذاته ، موضوعٌ [posée] ، انه وحدة – هذا كله يترك انطباعاً بأنه متصنّع جداً وفارغ .

ويجدر ان نسجل ، ص ٢٠٣ ، الملاحظة غير الخالية من السخرية ضدّ

« أسلوب المعرفة المفكّرة على التجربة ، الذي يبدأ بادراك تعيينات في الظاهرة ، - ثم يأخذها كأساس ، ويقبل من أجل تفسير مزعوم لهذه التعيينات ذاتها مواد أساسية ، أو قوى موافقة ، يفترض انها تنتج هذه التعيينات للظاهرة » ...

الباب الثاني : الكمّ

عند كنط ، هناك أربعة تعارضات [antinomies] . بالحقيقة ، كل مفهوم ، كل مقولة هي تعارضية (٢١٧) بشكل مساوٍ .

« الريبية القديمة لم توفّر جهداً لتبيان التناقض أو التعارض في كل المفاهيم التي كانت تجدها في العلوم [1] » .

إن هيغل ، اذْ يحلل كنط تحليلاً بالغ العدوانية (وبالغ الذكاء) ، يخلص إلى أن كنط إنما يردّد في النتيجة ما كان قد قاله في المقدمات ، — ولا سيما واقع أن هناك مقولات اتصال و انقطاع . ينجم عن ذلك أن الحقيقة ليست ملكاً لأحد هذين التعيينين، مأخوذاً على انفراد ، بل فقط لوحدتهما. تلك هي الكيفية الديالكتية الحقة للنظر اليهما ، تلك أيضاً النتيجة الحقة » (٢٢٦) [2] .

٢٢٩ « الانقطاع ، مثل الاتصال ، هو لحظة من الكمّ » ..

٢٣٢ : « الكمية [Quantum] ، وهي بادىء بدء كمّ مع تعيين أو حدّ ، هي في تعيينها الكامل العدد »

٢٣٤ : « العدد (المبلغ) و الوحدة هما لحظتا العدد. »

الكمّ ، التعداد ؟

(١) دور الريبية في تاريخ الفلسفة .

(٢) الديالكتيك الحق .

٢٤٨ - حول دور ومعنى العدد (أقوال كثيرة عن فيثاغور ، الخ) .
بينها هذه الملاحظة الصحيحة :
« كلما أصبحت الأفكارُ غنية في التميينات ، وبالتالي في العلاقات ، أصبح أكثرَ تعقيداً وتعسفاً وفراغاً تصورُها في أشكالٍ ، كالأعداد »(٢٤٨ — ٢٤٩).
(هذا التقدير للأفكار : غنية في التحديدات و بالتالي في العلاقات) .

بخصوص تعارضات كنط (العالم ليس له بداية ، الخ) ، يدلـّل هيغل مرة أخرى بالتفصيل على ان المقدّمات « تقبلُ كشيء مبرَهن ما يجب البرهان عليه » (٢٦٧ - ٢٦٨) .

في مكان لاحق، الانتقال من الكم الى الكيف غامض في هذا العرض النظري والمجرّد لدرجة أنني لا أفهم شيئاً . يجب الرجوع !!

NB ٢٨٣ : اللانهاية في الرياضيات . الى هنـــا ، تبريرها [تبرير الرياضيات]يكن فقط فيصواب النتائج (« المبرَهن عليها بعلل أخرى ») ... وليس في وضوحِ
الموضوعِ (انظر انجلز) .

٢٨٥ : في حساب النهايات الصغرى لا يؤخذ في الاعتبار بعضُ عدم الدقة (مقبول سلفاً) ، ومع ذلك فإن النتيجة ليست تقريبية ، بل صحيحة تماماً !

٢٨٥ : ومع ذلك ، في هذه الحال ليس البحثُ عن تسويغ « نافلاً » بقدر ما يكون نافلاً ان يُطلَب بخصوص الأذن برهانٌ على حقنا في استخدامها .

جواب هيغل معقـّد ، عويص ، الخ . المسألة هي الرياضيات العليا . أنظر انجلز عن حساب التفاضل والتكامل .

من المفيد أن نسجل ملاحظة قالها هيغل مروراً : « عالٍ - خارق ، أي ، في الأساس ، ذاتي وسيكولوجي » ... « بصورة عالية - خارقة ، ولا سيما في الذات » (٢٨٨) .

٢٨٢ - ٣٢٧ وبعدها - ٣٧٩

تحليل بالغ التفصيل لحساب التفاضل والتكامل مع شواهد منقولة عن نيوتن، لاغرانج ، كارنو ، أولر ، لايبنتس ، الخ ، شواهد تدلـّل على مدى اهتمام هيغل بهذا « الاختفاء » للنهايات الصغرى ، « هذا الوسط بين الوجود واللاوجود » . هذا كله لا يمكن فهمه بدون دراسة الرياضيات . ذو دلالة هذا العنوان من عند كارنو Carnot : « أفكار في ميتافيزياء حساب النهايات الصغرى » !!!

إن بسط مفهوم « العلاقـة » (٣٧٩ - ٣٨٤) غامض جـداً . نسجّل فقط ، ص ٣٩٤ ، الملاحظة عن الرموز ، ألا وهي أنـــه لا يمكن قولُ شيءٍ ضدها بوجه عام . ولكن يجب أن نقول « ضد كل رمزية » أنها أحياناً «وسيلة مريحة لتجنـّب فهم وتعيين وتسويغ التحديدات المفهومية » . وهـذا كله هو بالضبط شغل الفلسفة .

« ان التعاريف الجارية للقوةِ ، الماهويّةِ ، السببِ والنتيجـة ، الخ ، هي أيضاً رموزٌ للتعبير عن علاقات حيوية أو روحية ، أي تحديدات خاطئة لهذه الأخيرة » (٣٩٤) NB ؟

الباب الثالث : القياس

« في القياس، معبّراً عنه تجريدياً ، يتحد الكيف والكمّ . الوجود كوجود هو مساواة مباشرة للتحديد ولذاته ان الصفة المباشرة للتحديد قد تجاوزت نفسها الكم هو اذن الوجود الذي عاد الى نفسه على شكل هو فيـــه مساواةٌ بسيطة مع نفسه ، بوصفه لا مبالاةً تجاه التحديد » (٣٩٥) .

الحدّ الثالث هو القياس .

كنط أدخل مقولة النمطيّة modalité (الممكن ، الواقع ، الضروري) وهيغل يلاحظ أنّ عند كنط .

هذه « المقولة تعني علاقة الموضوع والفكر . في نظر هذه المثالية ، الفكر هو جوهرياً خارج الشيء في ذاته (٣٩٥) ... الموضوعية الخاصة بالمقولات الأخرى ليست ملكاً لمقولات النمطية (٣٩٦) .

مروراً (٣٩٧) .

الفلسفة الهندية حيث براهما ينتقل الى [يمضي في] سيفا (تحول = زوال ، ولادة) ...

الشعوب تعبد القياس (٣٩٩) .

القياس ينتقل الى [يمضي في] الجوهر (Wesen) .

(بخصوص القياس لا بأس أن نسجل هذه الملاحظة التي قالها هيغل مروراً :

« في المجتمع المدني المتطوّر ، إن أعداد الأفراد المشتغلين في المهن المختلفة هي في تناسبٍ تبادليٍ ما » (٤٠٢) .)

بخصوص مقولة التدرّج [graduali té] ، يلاحظ هيغل :

« بسهولة بالغة تُطرّق هذه المقولة من أجل تمثيل أو تفسيرِ اختفاء كيفِ [صفة]أو شيءٍما، لأنه،بهذا الشكل،يبدو الاختفاء وكأنهيتحققأمام عيونكم؛ بما أن الكمّ معيّنٌ كحدّ خارجي ، لذا فإن تحوّل الكم يُفهَم تلقائياً . ولكنْ في الواقع هذا لا يفسّر شيئاً ؛ التحوّل هو جوهرياً الانتقالُ من كيفٍ إلى آخر ، أو ، بشكل أكثر تجريداً ، من وجود الى لا وجود: ثمّة في هذا السير التحوّلي [في هذه العملية] تعيينٌ آخر غير التدرّج الذي ليس سوى تنقيص أو زيادة والإبقاء الأحادي الجانب على المقدار ...

.. أمّا أنّ تغيّراً يظهر محضَ تغيّر كمي يصبح تغيّراً في الكيف أيضاً ، -هذا ما سبق ان لاحظه الأقدمون وبيّنوا علىأمثلة شعبية الصعوبات التي تحصل حين نجهل هذه العلاقة » (٤٠٥-٤٠٦) .. («الأصلع» ، نزع شعرة واحدة؛ « كَوْم » ، أخذ حبّة واحدة ...) « ما تدحضه أمثلة كهذه هو الانتباه الأحادي الجانب إلى التعيين التجريدي للكم» (أي ، بدون أن تؤخذ فيالحساب التغيّراتُ المتعدّدة في الصفات العيانية ، الخ) .

. . « هذه الصيغ ليست ... مداعبة فارغة أو مدّعية ؛ انها صحيحة بذاتها ، وهي تتولّد من وعي يهتمّ بظاهرات الفكر » NB .

« إن كمّاً معيّناً من حيث يؤخذ كحدّ [كنهاية] لا مبالٍ هو هذا الوجه للوجود المعيّن المعرّض لهجوم مفاجىء والذي يدمّر . إن حيلة المفهوم هي في كونه يقبض على موجود معيّن من الجهة التي يبدو فيها كيفُه غير ذي أهمية ، ويفعل ذلك لدرجة أن تناميَ دولة أو ثروة الخ الذي هو شقاء هذه الدولة أو هذا المالك يبدو باديء الأمر سعادتها أو سعادته » (٤٠٧) .

« إنها مأثرةٌ كبيرة ان نعرف أعداد الطبيعةِ التجريبيةَ ، مثلاً المسافات بين الكواكب ؛ ولكنها مأثرة أكبر بما لا يقاس أن نزيل تعيينات العدد التجريبية

بأن نرفعها إلى الشكل العام للتعيينات الكمية بحيث نجعلها لحظات قانون أو قياس »[1] ؛ مآثر غاليليو و كبلر Kepler ... « لقد دللا على القوانين التي اكتشفاها بتبيانها أن جملة الخصائص المدركة تتفق معها » (٤١٦) . ولكن يجب أن نطلب دليلاً أعلى أيضاً على هـــذه القوانين ؛ يجب أن نطلب أن تكون تعييناتها الكمية مستنتجة من « الصفات أو المفاهيم المعينة ذات العلاقة (مثل الزمان والمكان) » .

ان بسط مفهوم القياس ، من حيث هو كمّ نوعي وقياس واقعي (بما في ذلك التجانسات الانتخابية مثلاً العناصر الكيميائية ، الأنغـــام الموسيقية) غامض جداً

ملاحظات أخرى عـــلى الكيمياء مع مجادلة ضد برزيليوس ونظريته الكهربا ـ كيميائية ، ٤٣٣ ـ ٤٤٥ .

« الخطّ العقـــدي لعلاقات القياس » ـ انتقالات [تحولات] الكم الى كيف ... تدرّج و قفزات .

وبرهنات طويلة ، من ٤٤٨ ، على انّ الانتقال التدرجي لا يفسر شيئاً بدون قفزات . NB .

في الملاحظة ، نجد ، كما هي المادة عند هيغل ، وقـــائعَ ، أمثلةَ (فويرباخ لهذا السبب يسخر من هيغل بقوله ان هيغل قد أحال الطبيعة [طرّدها] الى الملاحظات . فويرباخ ، المؤلفات ، المجلد الحادي عشر ، ص ؟) .

٤٤٨ - ٤٥٠ . ملاحظة، معنوَنة في فهرس المواد (لا في النص!! ادّعاء!!): « أمثلة عن مثل هذه الخطوط العقدية ؛ بخصوص الاطروحة القائلة انـــه ليس هناك قفزات في الطبيعة[2] » .

الأمثلة : كيمياء ؛ موسيقى ؛ ماء (بخار ، جليد) ـ ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ـ ولادة وموت .

---

(١) قانون أو قياس .

(٢) قفزات !

انقطاعات التواصل ، ص ٤٥٠ [١] .

٤٥٠ – « يقال ان الطبيعة لا تقوم بقفزات[٢] ؛ والرأي العـــادي ، حين يريد أن يفهم الولادة أو الدمار ، يتخيل ، كما رأينا ، أنه يفهمها حـــين يتمثّلها كولادة أو اختفاء متدرجـين . ولكننا قلنا سابقاً ان تغيرات الوجود ليست الانتقال من مقدار الى آخر ، بل هي الانتقال من الكيف الى الكم وبالعكس،التحول إلى آخر ، انقطاع المتدرّج وتغيّر في الكيف بالنسبة للوجود المعيّن السابق[٣]. الماء المبّرد لا يصبح صلباً شيئاً فشيئاً ، بحيث يتجمّد ثم يتصلب شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى قوام الجليـد ، بل يصير صلباً دفعة واحدة ؛ إن الماء بعد بلوغه حرارة الجليد يمكن أن يحافظ على حالته السائلة إذا بقي بلا حركة ، ولكنه عند أول هزّة يمضي إلى حالة الصلْب . »

« إن تدرّج الولادة مؤسس على (٤٥١) تصوّر مفاده ان الآخذ في الولادة موجـــود من الآن حسياً أو واقعياً ، ولكن دون أن يكون بالامكان إدراكه بسبب صغَرِه ؛ كذلك في تدرج الزوال ، يُتخيَّل أن اللاوجود أو الآخر [الغير] الذي يطفو محل الزائل موجودٌ أيضاً ولكن دون أن يكون قابلاً لأن يُدرَك ؛ – موجودٌ لا بمعنى أن الآخر محتوىً في الآخر المعطى في نفسه ، بـل بمعنى انه موجود ككائن معيّن ولكنْ غير قابل لأن يدرَك . بذلك يُحذَف تماماً الولادةُ والزوال؛ بتعبير آخر يُحوَّل الكائن في ذاته ، الداخلي ، الذي به يكون شيءٌ ما [est] قبل أن يوجد [exister ، يوجد وجوداً معيّناً] ، إلى مقدار صغير من الوجود [الوجود المعيّن] الخارجي ، ويُحوَّل الفرقُ الجوهري أو المفهومي إلى فرق خارجي كمّي محض . – ان تفسيرَ ولادةٍ أو زوالٍ بتدرّج التغيّر يولّد مللَ تكراريةٍ [tautologie] ؛ ان تفسيراً كهذا يفترض مسبقاً ان الآخذ في الولادة أو في الزوال جاهزان سلفاً ، والتغيّر يصبح محض انتقال مكاني لفرق

---

(١) انقطاعات التواصل .

(٢) قفزات .

(٣) قفزات .

خارجي ، وهكذا لا يكون معنا بالواقـــع سوى تكرارية . الصعوبة التي يصادفها هنـــا الفهم الذي يسعى إلى أن يفهم تكمن في التحوّل الكيفي [qualitatif] من شيء ما الى آخره وُمعارِضه ؛ ولكن الفهم يتصوّر التماثل والتغير على أنه الكمي اللامبالي والخارجي » .

« في الحياة الاخلاقية ، من حيث يُنظر اليها في ميدان الكينونة [être ، الوجود] ، نجد نفْس التحوّل من الكم الى الكيف ؛ ان صفات مختلفة تظهر مؤسسة على اختلاف كمّي . بزيادة أو تنقيص يُعبّر قياسُ خفة العقل [الطيش ، frivolité] ، ويظهر شيء مختلف تماماً ، هو الجريمة ، التي بها يصير العدلُ ظلماً والفضيلةُ رذيلةً . - بالطريقة نفسها ، ان دُوَلاً ، بسبب اختلاف حجمها ، مع تساوي العوامل الأخرى ، تكتسب طابعاً مختلفاً في الكيف » (٤٥٢) .

في مكان لاحق :

الانتقال من الكينونة إلى الجوهر معروض بشكل غامض جداً .

الكتاب الثاني
مذهب الجوهر

- الجوهر
- الظاهرة
- الراهنية (الواقع)

(المجلد IV . الجزء الأول : المنطق الموضوعي .
الكتاب الثاني : مذهب الجوهر)

الباب الاول : الجوهر

« إن حقيقة الوجود [être] هي الجوهر [essence] » (٣) تلك هي الجملة الأولى التي تبدو مثالية وصوفية بشكل عميق. ولكن هذا يُتبَّع مباشرة، إن صحّ القول ، بنسيم عليــل . « الوجود هو المباشر . بما أن المعرفة تريد أن تعرف[1] الحقيقة — ما الموجود هو في ذاته ولذاته — فإن المعرفة لا تقف (NB) عند المباشر وتعييناته ، بل هي تذهب الى أبعد خلال (NB) هذه التعيينات في افتراض ان وراء [التشديد من هيغل] هذا الموجود ثمة بعدُ شيئاً آخر غير الموجود نفسه ، وان هذا الأساس الخلفي هو حقيقة الموجود . هذه المعرفة هي معرفة موسّطة، لأنها لا توجد مباشرةً عندَ وفي الجوهر ، بل هي تبدأ بآخرَ ، هو الموجود ، وعليها أن تقطــع درباً أولياً ، هو الدرب الذي يذهب الى ما — بعد الموجود ، او بالأحرى ، الدرب الذي يذهب في أعماقه[2] » ..

هذه الحركة ، طريقُ المعرفة هذا، يبدو « فاعلية المعرفة » « التي هي خارج الوجود » .

---

١. نظرية المعرفة .

بالمناسبة . كثيراً ما يسخر هيغل (أنظر المقاطع المنقولة عن التدرج) من كلمة (ومفهوم) « فسّرَ » (expliquer ، هال) ، لا ريب لكي يعارض الحل الميتافيزي المطلق (« فسر الأمر » II) بالسير الأبــدي لعملية المعرفة الآخذة في التعمق دومــاً . أنظر المجلد III ، ص٦٣٤ : « يمكن أن يكون معروفاً ، أو كما يقال ، مفسراً » .

٢. « الدرب » .

« ولكن هذه الحركة هي حركةُ الوجود نفسه »[١] .

«الجوهر هو ما هو .. بِ حركته اللامحدودة الخاصة به»، بحركة الوجود»(٤).

« الجوهر المطلــق ... ليس له وجود معيّن . ولكنْ عليه ان يمضيَ الى الى الوجود المعيّن » (٥) .

الجوهر هو بين الوجود والمفهوم ، كانتقال الى المفهوم (= مطلق) .

تقسيمات تحتية للجوهر : الظاهر ، الظاهرة ، الراهنية .

الجوهري واللاجوهري (٨) . الظاهر (٩).

في اللاجوهري ، في الظاهر ، ثمة لحظة لا وجود (١٠) .

أي ان اللاجوهري ، الظاهري ، السطحي ، يختفي أحيانـاً أكثر ، وهو ليس بدرجــة « صلابة » و « حزم »« الجوهر » . مثلاً : حركة النهر — الزبـــدُ فوق ، والتياراتُ الأعمق تحت . ولكن الزبَد أيضاً هو تعبير عن الجوهر !

الظاهر والريبية والكنطية :

« هكذا ، إن الظاهر هو ظاهرةُ الريبيين او المثالية — صفةٌ مباشرة [une immédiatcté] ليست شيئاً ما أو شيئاً ، وجودٌ لا مبالٍ خارج تعيينه وعلاقته مع الذات [sujet] . الريبية لا تسمح لنفسـها بأن تقول إنه موجود ؛ المثالية الحديثة لا تسمح لنفسها بأن تواجه معرفة الشيء في ذاته ؛ هذا الظاهر لا يكون له إذاً أي وجود كأساس ، الشيء في ذاته لا يكون في لائحة المعارف . ولكنْ في الوقت نفسه ، كانت الريبية تقبل التعيينات المتعدّدة لظاهرِها ، أو بالأحرى إن ظاهرَها كان له كمحتوى كل ثروة العالم المتنوعة . كذلك ، إن ظاهرةَ المثالية تحوي كل اتساع هذه التعيينات المتعدّدة» N B .

تضمون في الظاهر كل ثروة العالم ثم تنفون موضوعية الظاهر !!!

« هذا الظاهر ، هذه الظاهرة هما مباشرةً (١٠، ١١) معيّنان في كل هذا التنوّع.

---

١ دلالة موضوعية .

هذا المحتوى يجب إذن أن لا يكون له كأساس أي وجود، أي شيء أو شيء في ذاته ؛ لذاته يبقى كما هو ؛ لقد تُرجم وحسب من الوجود إلى الظاهر [1] ؛ لدرجة ان الظاهر له في نفسه كل هذه التعيينات المتنوعة التي هي مباشرة، التي هي موجودة، والتي هي متغايرة الواحدة تجاه الأخرى. إذن الظاهرُ هو نفسه مباشرةً معيّنٌ . يمكن أن يكون له هـذا المحتوى أو ذاك ؛ ولكنْ أياً كان المحتوى ، فإن الظاهر لا يضعه هو ، بـل يملكه مباشرةً . إن المثالية – سواء كانت مثالية لايبنتس أو كَنط أو فيخته أو في أشكالها الأخرى – لم تذهب شأنها شأن الريبية ، الى ما – بعد الوجود كتعيين ، الى ما – بعد هـذه الصفة المباشرة [2] الريبةُ تدَعُ نفسها تُعطَى محتوى هذا الظاهر ((« معطى مباشر » !!!)) ؛ أياً كان هذا المحتوى ، فهو بالنسبة للريبية مباشَر الجوهرُ الفرد اللايبنتسي [monade ، « واحدة » لايبنتس] يبسط صورَه [تمثيلاته] من نفسه تلقائياً ؛ ولكنه ليس هو قوّتها المنتجة والموحّدة ، بل هي تطفو عليه مثل فقاعات ؛ إنها لا مبالية ، مباشرة لبعضها بعضاً ، وبالتالي أيضاً تجاه الجوهر الفرد كذلك ، الظاهرةُ الكنطية هي محتوى معطى للادراك ، يفترض انطباعات ،تعيينات من الذات [sujet]، هي مباشرة لبعضها بعضاً وبالنسبة للذات . صحيح ان النبذ اللامتناهي في مثالية فيخته ليس له كأساس شيء في ذاته لدرجة انه يصبح تعييناً خالصاً من الأنا . ولكن هذا التعيين هو في الوقت نفسه مباشر بالنسبة للأنا، الذي يتملكه ويحذف صفته الخارجية؛ انه حد لهذا الأنا الذي يستطيع أن يتجاوزه ، ولكن هذا الحد فيه وجهٌ من لامبالاة يجعل انه رغم كونه في الأنا فإنه يحوي لا وجودَه المباشر » (١١) .

.... «التعييناتُ التي تميّزالظاهر عن الجوهر هي تعيينات الجوهر نفسه »(١٢).

.. « إن مباشريّة اللاوجود هي التي تؤلف الظاهر ... الوجودُ لا وجود في الجوهر . عدَمُه في ذاته [عدميته، لا قيمته، nullité]هو طبيعةُ الجوهر.

---

١. صفة الظاهرة المباشرة (مباشرية الظاهر) .

٢ لم يذهبوا أبعد !!

نفسه السالبة' [النفيّة ، النافية] » (١٢) [١] .

. . « اللحظتان ، العدَم' ولكن كاحتفـــاظ ، والوجود' الذي ليس سوى لحظـة ، – بمفردات أخرى ، السلبية' الكائنة في الذات والمباشريّة' المفكـّرة اللذان يؤلفان لحظتَي الظاهر – هما بذلك لحظتا الجوهر نفسه » ..

« الظاهر هو الجوهر نفسه في تعيين الوجود » ...

الظاهر هو :

١) « لا شيء » ، اللاموجود الموجود ؛

٢) الكينونة كلحظة

« هكذا إن الظاهر هو الجوهر' نفسه ، ولكنْ الجوهر' في تعيينٍ ما، بحيث لا يكون سوى لحظته ، والجوهر هو انعكاس ذاته في ذاته» (١٤).

الظاهر هو الجوهر في أحد تعييناته ، في أحد وجوهه ، في إحدى لحظاته . الجوهر يظهر هذا . الظاهر هو انعكاس الجوهر ذاته في ذاته .

. . « الجوهر . . يحوي في نفسه الظاهرَ ، كحركة لا نهاية لها داخل ذاته».

.. « في هذه الحركة الداخلية ، الجوهر هو الانعكاس . الظاهر هو شيء واحد والانعكاس' [– التفكير] » (١٤) .

الظاهر (الذي يبدو) هو انعكاس' الجوهر في ذاته ...

... « الصيرورة' في الجوهر ، حركتُها العاكسة هي اذاً حركة' العدم الى العدم وبالتالي حركةٌ راجعة على ذاتها » (١٥)

هذا ذكي وعميق . في الطبيعة والحياة ؟ هناك حركات تنتهي الى « العدَم » (الى « لا شيء ») . لا ريب ليس هناك حركات تذهب من « لا شيء » . دائماً من شيء ما .

« التفكير يُفهَم عادةً في معناه الذاتي ، كحركة الملَكة الحكـْم تسير إلى ما بعد تمثيلٍ مباشر معطى وتبحث له عن (أوتقارن‌معه) تعييناتٍ عامة»(٢١) (يتبع شاهدٌ من كنط ، مؤلـّف « نقد الحكـْم »). . « ولكن المقصود هنا

---

١. الظاهرة – طبيعة الجوهر السالبة .

ليس تفكيرَ الوعي ، ولا تفكيرَ الفهم المعيّن أكثر والذي له كتعيينات الخاصُ والعام ، بل التفكيرُ حسْب » .

إذن ، هنا ايضاً ، هيغل يتّهم كنط بالنزعة الذاتية . هيغل يؤيد (NB) « الدلالةَ الموضوعية » (ونعتذر عن الكلمــــة) للظاهر ، « للمعطى المباشر » (كلمة « معطى » دارجة عند هيغــــل · انظر ص ٢١ – ٢٢) . إن فلاسفةً أصغر منه يتناقشون لمعرفة ما اذا كان يجب أن يُتّخذ كأساس الجوهرُ أمْ المعطى المباشر (كنط ، هيوم ، كل انصار ماخ) . هيغل يُحل محل الـ « أمْ » الـ « وَ » [الواو] ، ويشرح المحتوى العياني لهذا الـ « و » .

« Die Reflexion ist das Scheinen des Wesens in sich selbst » (27)*

(كيف نترجم ؟ تفكير ؟ تعيين انعكاسي ؟ « تفكير » لا تناسب) .

(الجوهرُ حركةٌ عبْر لحظات متمايزة ، توسّطٌ مطلق مع نفسه » (٢٧) ..

هوية [تماثل] – فرق [اختلاف] – تناقض .

+ Gegensatz [تعــارض ، تضادّ] ، خصوصاً تعارض .

(علّة وجود) ...

هكذا يفسر هيغل أحاديةَ ، خطأَ قانون « الهوية » (آ = آ) ، المقولات (كل تعيينات الوجود هي مقولات – ص ٢٨) .

« اذا كان كل شيء متماثلاً مع ذاته ، عندئذ لا اختلاف ، لا تعارض ، لا علّة وجود » (٢٩) .

« الجوهر .. محض تماثل مع الذات » (٣٠) .

« التفكير العادي يراصف التشابه والاختلاف ، دون أن يفهم « حركة الانتقال هذه من تعيين إلى آخر » .

هجمات عديـدة ضد قانون الهويـة (آ = آ) : إن أنصاره « إذْ يتمسّكون بهذه الهويّـة الجامدة [التي لا حراك فيها] التي تعارض

(* التفكير – الانعكاس هو ظاهر (انعكاسات) الجوهر في ذاته) .

الفرق ،لا يرون أنهم بذلك يحوّلون الهوية إلىتعيين أحادي الجانب هو ، بوصفه كذلك ، محرومٌ من الحقيقة » (٣٣)[١].

(تكراريةٌ فارغة : ٣٢)

(« لا تحوي سوى الحقيقة الشكلية ، المجردة ، الناقصة » ٣٣).

أشكال التفكير : خارجي ، الخ ، مبسوطةٌ بشكل غامض جداً .

مبادىء الفرق : « كل الأشياء مختلفة »... « آ هو أيضاً لا آ »...(٤٤) .

« ليس هناك شيئان كلٌ منهما يساوي الآخر » (٤٥) .

الفرق [الاختلاف] موجود في جانب أو آخر ، باعتبار كذا ... الخ ، « insofern » [باعتبار أن ، بوصفه] ، الخ

كلام قيل بشكل جيد !!!

« بيد أن الحنان المألوف نحو الأشياء الذي ينشغل فقط بأنْ لا تتناقض ينسى هنا كما في غيره أنّ التناقض بهذه الطريقة لا يُحلّ بل يُنقل إلى مكان آخر ، في التفكير الذاتي أو الخارجي، وأن هذا الأخير بالحقيقة يحوي اللحظتين الاثنتين اللتين بهذا الابعاد أو النقل يُعبّر عنهما كأنهما وُضعتا وحسب ، – أنه يحويهما بوصفهما متجاوَزتين ومنسوبتين الواحدة إلى الأخرى في وحدتهما»(٤٧).

(هذه السخرية الناعمة لطيفة ! « الحنان » تجاه الطبيعة والتاريخ (عند البرجوازيين – الصغار) – الرغبة في تطهيرهما من التناقضات والصراع ..)

حاصل جمع الزائد والناقص صفر .

« حاصل التناقض ليس صفراً » (٥٩) .

إن حل التناقض ، تحويل [تخفيض] الموجب والسالب إلى « التعيينات فقط » (٦١) يحوّل الجوهر إلى علة الوجود (الموضع نفسه) .

« التناقض المحلول هو إذاً علة الوجود ، الجوهر من حيث هو وحدة الموجب والسالب » (٦٢) . . NB

« يكفي المرء بعض الخبرة في الفكر المفكّر [العاكس] ليتأكد من أنه

(١) NB التشديد ليس من هيغل .

حين يعيّن شيئاً ما كموجب وحين ينطلق من هذا الأساس ، فان هذا الشيء ما يتحوّل تحت اليد إلى السالب ، والعكس بالعكس ، ما يعيّن كسالب يتحول إلى موجب ؛ — والفكر المفكّر يختلط ويتناقض في تعييناته . إن جهل طبيعة هذه التعيينات يتصوّر ان هذا الاختلاط شيء خاطىء ما كان يجوز أن يحصل وهو يعزوه إلى غلط ذاتي وبالفعل ، إن هذا الانتقال يبقى محض اختلاط ما دام لم يَقُمْ وعي ضرورة هذا التحوّل » (٦٣) .

.. إن تعارض الايجابي - الوضعي والسلبي – النفيي ُينظر اليه بشكل خاص في معنى أن الأول (بحكم اسمه الذي يعبّر عن الكائن الموضوع ، المعطى) يكون موضوعياً ، والثاني ذاتياً ، لا ينتمي إلا للتفكير الخارجي ، ليس ذا صلة بالموضوعي في ذاته ، وهو غير موجـــود أو موجود قليلاً بالنسبة له ». (٦٤) . « وبالفعل ، إذا لم يكن السابي سوى تجريد تعسفي ذاتي » ... عندئذٍ فان هذا السلبى لا يوجد « بالنسبة للايجابي الموضوعي » . .

«الحقيقة أيضاً هي الايجابي من حيث هو علم Savoir متفق مع الموضوع[1] ، ولكنها هي هذه المساواة مع نفسها فقط من حيث أن العلم ينتسب سلبياً إلى الآخر ، أنه نفَذَ إلى الموضوع وتجاوز النفي الذي هو. الغلط هو شيء ما ايجابي من حيث أنه رأي يُعرف نفسه ويعاند في تأكيد ما ليس في وللذات[2] . ولكن الجهل هو إما لا مبالٍ تجاه الحقيقة والغلط ، وبالتالي غير معيّن لا ايجاباً ولا سلباً — والتفكير الخارجي يعينه عندئذ كغياب — ، وإما ، بوصفه موضوعياً ، بوصفه تعييناً خاصاً لشيء ، هو دفْعٌ [اندفاع] موجه ضد نفسه ، سلبيٌ يحوي في نفسه اتجاهاً ايجابياً . — إن إحدى أهم المعارف هي أن نكشف وان نمسك بجزم طبيعةَ التعيينات الانعكاسية هـذه ، ألا وهي أن حقيقتها ليست إلا في علاقتها المتبادلة وبالتالي أن كلاً منها يحوي الآخر في مفهومه ؛ بدون هـــذه المعرفـــة لا يمكن ، حقيقةً ، أن نخطو خطوة واحدة في الفلسفة » (٦٦ . الملاحظة I) .

---

(١) الحقيقة والموضوع .

(٢) ما هو في وللذات .

الملاحظة ١ . مبدأ الثالث المرفوع

هيغل يذكر هذا المبدأ ، مبدأ الثالث الممنوع : « إن شيئاً ما هو إما آ وإما لا – آ : ليس ثمة جواب ثالث » (٦٦) – ويحلله . إذا كان معناه ان « كل شيء تناقضي » * ، ان كل شيء له تعيينه الايجابي والسلبي ، عندئذ هذا جيد. ولكن إذا كان المقصود ، كما هي الحال عادة ، أنه من بين جميع المحمولات يجب أن نأخذ إما واحداً وإما ضدّه ، عندئذٍ هذا « مبتذل » . الروح هل هو حلو أم مرّ ؟ أخضر أم لا أخضر ؟

ويتابع هيغل بحذاقة [avec esprit ، بخفة روح] : « ومن ثم ، يقال انه ليس ثمة ثالث . والحال ، ثمة ثالث في هذه الأطروحة ذاتها : آ نفسه هو هذا الثالث ، لأن آ يمكن أن يكون زائد آ أو ناقص آ . » هذا الشيء نفسه هو هذا الثالث الذي ينبغي أن يُمنَع » (٦٧) .

هذا حذق وصحيح . كل شيء عياني هو في علاقات متنوعة وكثيراً ما تكون متناقضة مع الباقي ، إذن هو نفسُه وشيء آخر .

الملاحظة ٣ (في نهاية الفصل ٢ ، الباب الأول من الكتاب الثاني من مؤلف « المنطق » . مبدأ التناقض .

« إذا أقيمت التعيينات' الانعكاسية الأولى ، الهوية' والفرق' والتعارض' ، كمبادىء ، عندئذٍ يجب بالأحرى ان نتصور مفهومياً [Concevoir] وأن نقيم كمبدأ التعينَ الذي اليه تنتقل كا إلى حقيقتها ، ألا وهو التناقض : كل الاشياء هي في ذاتها متناقضة ، لا سيا بمعنى ان هـذه القضية ، مقارنةً مع القضايا الأخرى ، إنما تعبر عن حقيقة وجوهر الاشياء – التناقض الذي يظهر في التعارض ليس سوى (٦٧) العدم المبسوط (٦٨) أو المتضمّن في الهويّة والذي كان قد ظهر سابقاً في العبارة القائلة أن مبدأ الهوية لا يقول شيئاً . هذا النفي يتعين فيا بعد كاختلاف وكتعارضٍ ليس سوى التناقض الموضوع . »

(*) في ترجمة فرنان – بوتيجلي : « كل شيء هو عكس شيء آخر » .

« إنه حكم مسبق خاطىء أساسي في المنطق التقليدي والتصوّر العادي أن التناقض ليس تعييناً له من الجوهرية والأصلية الملازمة ما للهوية ؛ ولكن بالحقيقة ، إذا كانت المسألة مسألة تسلسل في الأولويات ، وإذا كان من الواجب إبقاء التعيينين على نحو منفصل ، في هذه الحال ينبغي اعتبار التناقض شيئاً أكثر عمقاً وأكثر جوهرية . في مقابله ، ليست الهوية [التماثل] سوى تعيين المباشر البسيط ، الوجود الميت ؛ أما التناقض فهو جذر كل حركة وكل حياة؛ فقط من حيث أن شيئاً له تناقض في نفسه ، يستطيع أن يتحرك ، له دفع وفاعلية »

« عادة يُستبعد التناقض من الأشياء من الوجود والحقيقي ؛يؤكّد أنه ما من شيء متناقض بالمقابل ، يوضع التناقض في التفكير الذاتي الذي يضمه بعلاقاته ومقارناته ولكن "يزعم انه ليس كائناً في هذا التفكير ، لأنـه لا يمكن ، على ما يُعتقد ، لا أن نتصوّر ولا أن نفكّر المتناقض . عادة يُعتبر التناقض شيئاً ما عرضياً في الواقع كما في التفكير ، وكأنه شيء شاذ ، نوبـة مرضية عارضة »

بصدد التأكيد القائل انه ليس ثمة تناقض ، ان التناقض غير موجود ، لسنا بحاجة إلى الانشغال بقضية كهذه ؛ إن تعييناً مطلقاً للجوهر يجب أن يكون قائماً في كل تجربة ، في كل واقع وفي كل مفهوم . سابقاً ، حين درسنا اللانهاية التي هي التناقض كما يظهر في ميدان لوجود ، ذكرنا شيئاً مشابهاً . إن التجربة العامـة تعلن بنفسها أنّ هناك على الأقل (٦٩) تعدّداً من أشياء متناقضة ، من مؤسسات متناقضة ، الخ ، طابعها التناقضي ليس فقط في التفكير الخارجي بل في ذاتها . بيد أنه لا يجوز أن نعتبره شذوذاً لا يظهر إلا هنا وهناك ؛ التناقض هو السلبي في تعيينه الجوهري ، مبدأ كل حركة داخلية ، التي لا تفعـل سوى شرح التناقض [illu-trer ، عرضه ، إظهاره] . الحركة الخارجية المحسوسة نفسها هي وجوده المباشر . إن شيئاً يتحرّك فقط بما أنه كائن في موقع في لحظة ما ، وفي

موقع آخر في لحظة أخرى، ولكنْ أيضاً بما انه كائن وغير كائن في الموقع نفسه، في البرهة نفسها . يجب أن نعترف مع ديالكتيي العصر القديم بالتناقضات التي بينوها في الحركة ، ولكن لا ينجم عن ذلك ان الحركة غير موجودة ، بل بالعكس ينجم عنه ان الحركة هي التناقض في مضمار الوجود المعيّن .

« كذلك ، إن الحركة الداخلية بحصْر المعنى ، الاندفاعَ حسْب (شهوة أو nisus الجوهر الفرد اللايبنتسي ، كال [entéléchie ، النزوع الكمالي لـ الجوهر البسيط بساطة مطلقة) قائمان في أن شيئاً في ذاتـه وحرمانَ أو نفيَ هذا الشيء هما موجودان بنفس الاستحقاق والقدر والصفة . الهوية المجردة مع الذات ليست بعدُ حياةً ، ولكن بمـا ان الايجابي – الوضعي في ذاته هو سلبية – نفييّة ، فانه يخرج من نفسه ويتحرك . هكذا إن شيئاً هو حيّ فقط بما أنه يحوي في ذاته التناقض ، ولا سيما أنه هذه القوة التي تمسك وتحفظ التناقض في ذاتها . ولكنْ ، إذا كان موجودٌ معيّنٌ غيرَ قادر في تعيينه الإيجابي أن يمضي إلى تعيينه السلبي وان يحفظ كلاً منهما في الآخر، ان يحوز في نفسه التناقض، فان هذا الموجود المعين ليس وحدة حية ، ليس علّة وجود (Grund ، أساس [أرضية ، قاعدة]) ، بل يذهب إلى ضياعه في التناقض* . الفكرُ التأملي – الاستدلالي قوامه فقط أنه يحفظ التناقض ويُبقي على ذاته فيه؛ بينما الرأيُ (٨٠) العادي يترك التناقضَ يهيمن عليه ويحلّ تعيينا ته في غيرها أو في العدَم » .

الحركة و « الحركة الداخلية » (هنا NB ! حركة ذاتيـة ، تلقائيـة ، ضرورية – داخلية) ؛ « التغيّر » ، « الحركة والحياة » ، « مبدأ كل حركة داخلية » ، « الاندفـاع » إلى « الحركة » وإلى « الفاعلية » – معارضة « الوجود الميت » – من يصدّقْ ان هذا هو جوهر الهيغلية ، جوهر هـذه الهيغلية المجرّدة والعويصة (الثقيلة ، الحمقاء) ؟ هذا الأساس الجوهري كان يجب

* (لعبة الفاظ في النص الألماني . حرفياً: « ليس له قاع ولكنه يسيل من القاع في التناقض ».
– ملاحظة ننقلها عن الطبعة الفرنسية .)

أن يُفهم ، أن يُكتشف ، أن يُنقذ ، ان يُقشّر ، ان ينقّى ، وهذا ما فعله ماركس وانجلز .

ان فكرة الحركة الكليـة — الكونية والتغير (١٨١٣ ، مؤلف المنطق) مُستشعرة حتى قبل تطبيقها على الحياة والمجتمع . وهي مطبّقة عـلى المجتمع قبل (١٨٤٧) ان تبرهَن في تطبيقها على الانسـان (١٨٥٩) *

« في الحركة ، في الاندفاع ، الخ ، إن التناقض يُخـفى على التصوّر التمثيلي من قِبل بساطة (١) تعييناته ؛ ولكن في تعيين العلاقات ، هذا التناقض ينكشف مباشرة . الأمثلة الأكثر عامية كأمثلة العالي والواطيء ، الأب والابن ، الخ ، إلى ما لا نهاية ، كلها تحوي التناقض. العالي هو ما ليس الواطيء ؛ تعريف العالي قوامه الوحيد أنه ليس الواطيء ، إنه ليس موجوداً إلا بما أن الآخر موجود ، وبالعكس ؛ في كل تعيين ، عكسه متضمن . الأب هو آخر الابن ، والابن هو آخر الأب ، وكلٌ هو فقط آخر الآخر ؛ وبنفس الوقت ، كل تعيين هو فقط علاقة مع الآخر ؛ وجوده هو فقط موضع ما [وضع ما] . . .

« التصوّر التمثيلي العادي يحوي اذن في كل مكان التناقض (٧١) ، ولكنه لا يبلغ وعيه ؛ انه يبقى تفكيراً خارجياً يمضي من المساواة إلى اللامساواة ، أو من العلاقة السلبية إلى انعـكاس الاختلاف في نفسه . إنه يقيم تعارض هذين التعيينين بشكل خارجي ولا يحوز سواهما ، لا يحوز الانتقالَ من أحدهما إلى الآخر ، الانتقالَ الذي هو الأمر الجوهري والذي يحوي التناقض . — بالمقابل ، إن الـ « روح »* ، إذا أردنا أن نذكرهـــا هنا ، تقوم على اكتشاف التناقض والافصاح عنه رغم كونها لا تفصح عن مفهوم الاشياء وعلاقاتها وليس لها كمادة

(* ١٨١٣ : مؤلف المنطق الكبير لهيغل (١٨١٢ — ١٨١٦) . ١٨٤٧ : المجادلات ضد فايتلنغ وبرودون ، الأعمال الممهدة للبيان الشيوعي ١٨٥٩ : مؤلف ماركس « مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي » ومؤلف داروين « أصل الانواع » . نقلا عن الطبعتين الفرنسيتين).

(١) يخفى من قبل بساطة .

(*) مأخوذة هنا بالمعنى الفرنسي للكلمة كما في عبارة « mot d'esprit» . (أي خفة الروح ، روح النكتة ، حذاقة ، إصابة بلا عمق) . — نقلا عن الطبعة الفرنسية) .

١

ومحتوى سوى تمييزات تمثيلية ،فإنها مع ذلك تقيم فيما بينها علاقة تحوي تناقضها وتترك المفهوم يظهر من خلالهـــا . – ولكن العقل المفكّر يشحذ ، إن صح القول ، اختلافَ المختلف ، الاختلاف الذي نبا حدُّه ، محضَ تنوع التمثيل ؛ يشحذه ويجعله اختلافاً جوهرياً هو التناقض . إن المتعددات ، فقط حين تُدفع إلى أقصى التناقض ، تتعارض بشكل حيّ وقويّ فاعل ، وفي التناقض تنـــال هذه السلبية التي هي النبض الداخلي للحركة التلقائية وللحياة » (٧١) .

NB . ١) التصوّر العـــادي يدرك الاختلاف والتناقض ، ولكنه لا يدرك الانتقال من الواحد الى الآخر ،والحال هذا هو الأمر الأهم .

٢) « الروح » والعقل .

الروح تدرك التناقض ، تقوله ، تضع الأشياء في علاقة متبـــادلة ، تجعل « المفهوم يظهر خـــلال التناقض » ، ولكنهـــا لا تعبّر عن مفهوم الأشياء ومفهوم علاقاتها

٣) العقل المفكر (الفهم [الذكاء]) يشحذ تنوّعَ المختلفِ المطموسَ ، محض تنوّع التمثيلات ، حتى يجعله اختلافاً جوهرياً ، حتى التعارض . فقط على ذروة التناقض تصبح التنوّعات متحركةً بعضها لبعض ، وحيّة ، وتنال هذه السلبية التي هي النبضُ الداخلي للحركة العفوية وللحياة .

تقسيمات – تحتية :

der Grund (أساس أو علة وجود)

١) علة وجود مطلقة – أساس ، « شكل ومادة » ، « محتوى » ؛

٢) علة وجود معيّنة كعلّة وجود محتوى معيّن .

(انتقالها إلى الوساطة التي هي الشرط [التي تكيّف]

die b·dingende Vermittelung [الوساطة الشارطة]) .

٣) الشيء في ذاته (انتقال إلى الوجود المعيّن) .

ملاحظة . مبدأ العلّة الكافية .

عادةً : « كل شيء له علته الكافية » .

هذا « بوجه عام يعني فقط ما يلي: كل ما هو كائن يجب أن يُعتبر لا كوجود مباشر ، بل كوجود موضوع ؛ يجب أن لا نقف عند الوجود المباشر أو عند التعيين بوجه عام ، بل يجب أن نعود منهما إلى علة وجودهما » (٧٦) . من النافل أن نضيف : علة كافية . غير الكافي ليس علة وجود .

لايبنتس الذي جعل مبدأ العلة الكافية قاعدةَ فلسفته قد فهم ذلك على نحو أعمق . « لا يبنتس يقيم العلة الكافية في معارضة السببية بمعناها الضيّق ، كفعل ميكانيكي » (٧٦) . كان يبحث عن «علاقة» الأسباب (٧٧) — « الكلية الجامعة كوحدة جوهرية »

كان يبحث عن الغاية ، ولكن التيليولوجيا [الغائية ، نظرية الغايات] لا تأتي هنا ؛ انها تأتي في مذهب المفهوم .

« لا يمكن أن نسأل كيف يقود الشكل الى الجوهر ، لأنه ليس سوى انعكاس الجوهر في ذاته ، الانعكاس الذي هو فيه (كذا !) » « .. (٨١).

الشكل جوهري . الجوهر مشكّل بطريقة أو أخرى تبعاً للجوهر . .

الجوهر كهوية بلا شكل (متماثلة مع ذاتها) يصير مادّة (٨٢)

« المادة هي .. الأساسي الحقيقي للشكل أو قوامه [سنده] »(٨٢) .

« حين نجرّد شيئاً من كل التعيينات ، من كل شكل ، تبقى المادة غير المعيّنة . المادة شيء خالص التجريد . (— لا يمكن أن نرى ، أن نشمّ الخ ، المادة — ما نرى ، نشمّ ، هو مادة معينة ، أي وحدة مادة وشكل) » (٨٢).

المادة ليست اساس الشكل ، بل وحدة الأساس والمؤسّس (٨٣) . المادة انفعاليةٌ ، الشكل فاعلية (٨٣) . « المادة يجب أن تتشكّل ، والشكل يجب أن يتمودّد » (٨٤) ...

« ما يظهر على أنه فاعلية الشكل هو أيضاً حركةُ المادة الخاصةُ ذاتها » (٨٥ ، ٨٦) NB .

... « الاثنان ، فاعلية الشكل وحركة امادة ، متماثلان في الهوية .. المادة معيّنة كمادة ، بتعبير آخر لها بالضرورة شكلٌ ، والشكل هو ببساطة الشكل المادي ، الصلب » (٨٦) ..

ملاحظة . طريقة تفسير شكلية ، انطلاقاً من علل تكرارية .

كثيراً جداً ، خصوصاً في العلوم الفيزيائيـة ، ما تفسّر « علة الوجود » على نحو تكراري : حركة الأرض تفسّر بـ « قوة جاذبية » الشمس . ولكن ماهي « قوة الجاذبيـة » ؟ إنها أيضاً حركة ! (٩٢) . تكرارية فارغة : لماذا يذهب هذا الرجل الى المدينة ؟ بسبب قوة جاذبية المدينة !(٩٣) يحدث أيضاً في العلم أن يشرعوا في تقديم الذرات [molécules] (٩٥) ، الأثير (٩٥) ، « المادة الكهربائية » (٩٦) الخ كـ « علة وجـود » ، ثم ينكشف أن « هذه المفاهيم هي بالحقيقـة تعيينات مستنتجة من هـذا الذي عليها أن تؤسّسه ، فرضيات واختراعات تفكير غير نقدي » ... (٩٦) . أو يقال « اننـا نجهل الجوهر الداخلي لهذه القوى والمواد نفسها » (٩٦) . فلنوفرّ عن أنفسنا « التفسير » ، يكفي أن نقتصر على الوقائع . .

إن علة الوجود الواقعية ... ليست تكراراً ، بل هي فوراً « تعيين آخر للمحتوى » (٩٧) . .

بصدد « علة الوجود » ، يسجّل هيغل بين عدة أمور :

« حين يقال عن الطبيعة انها علة وجود الكون ، عندئذ ما يُدعى الطبيعة من جهـة هو شيء واحد والكون ، والكون ليس شيئاً آخر سوى الطبيعة نفسها » (١٠٠) من جهة أخرى ، « لكي تصبح الطبيعة الكون ، تحتاج أيضاً إلى كثرة من تعيينات تأتيها من الخارج » ...

بما أن كل شيء له « عدّة تعيينات لمحتواه ، عدة علاقات ووجهات نظر » ، لذا يمكن للمرء أن يقدّم ما يشاء من حجج مع و ضدّ (١٠٣) . هذا ما كان سقراط وأفلاطون يدعوانه السفسطة . إن حججاً كهذه لا تحوي كل « اتساع الشيء » ،« لا تستنفده » (بمعنى« إدراك وحدة الشيء »و« تغطية » كل وجوهه).

الانتقال من علة الوجود إلى الشرط .

إذا لم أكن مخطئاً ، ثمة عند هيغل ما يكفي من الصوفية ومن الادّعاء الفارغ في هذه الاستدلالات ، ولكن الفكرة الأساسية عبقرية : فكرة الترابط الكلي

– الكوني ، المتعدّد الجوانب، الحيّ ، لكل شيء مع كل شيء ، فكرة انعكاس هذا الترابط – هيغل مقلوب قلباً مادياً – في المفاهيم البشرية التي هي أيضاً يجب أن تكون مشحوذة ، مشغولة ، مرنة ، متحرّكة ، نسبية ، مترابطة ، واحدة في التعارضات ، كي تحتضن الكون . إن مواصلة عمل هيغل وماركس يجب أن تكون في الانضاج الديالكتي لتاريخ العلم والتقنية والفكر الانساني[1] .

النهر و القطرات في هذا النهر . موقع كل قطرة ، علاقتها مع قطرات أخرى ؛ رابطتها مع قطرات أخرى ؛ وجهة حركتها ؛ السرعة ؛ خط الحركة – مستقيم ، منحنٍ ، الخ – نحو الأعلى ، نحو الأسفل . حاصل جمع الحركة . المفاهيم بوصفها حسابات الوجوهِ الخاصة للحركة ،القطراتِ الخاصة(« الأشياء »)، « تيارات » خاصة ، الخ . تلك هي بصورة تقريبية لوحة العالم حسبَ منطق هيغل – بالطبع ناقصاً الله والمطلق[2] .

« إذا حضرت كل شروط شيء ، دخل في الوجود المعيّن »(١١٦).

جيّد جداً ! ماذا تعمل هنا الفكرة المطلقة والمثالية ؟

مضحكٌ هذا « الاستنتاج » للوجود [المعيّن] ...

(١) والانضاج «المنطقي المحض» ؟ هذا مطابق تماماً coincide . على الاثنين أن يتطابقا ، كالاستقراء والاستنتاج في كتاب « رأس المال » .

(٢) كثيراً ما تتخذ كلمة « لحظة » عند هيغـــل بمعنى لحظة الرابطة ، لحظة في الترابط (التواصل) .

الباب الثاني : الظاهرة

– جملة أولى : « الجوهر يجب بالضرورة ان يظهر » (١١٩)

إن ظهور الجوهر هو ١) الوجود المعيّن (الشيء) ؛ ٢) الظاهرة(« الظاهرة هي ما الشيءُ في ذاته هو ، أو حقيقته » ، ص١٢٠). « عالم الظاهرات يعارض العالمَ المنعكِس في نفسه ، العالم في ذاته » (١٢٠)... ٣) العلامة(Verhältniss [علاقة ، نسبَة]) و الراهنية .

بين عدة أمور : « الدليل هو المعرفة الموسّطة » (١٢١) ... « إن أنواع الوجود المختلفة تتطلب أو تحوي نوعَ وساطتها الخاص ؛ لذا فإن طبيعة الدليل [البرهان] في كل واحد منها مختلفة » (١٢١) ...

وهذا تتبعه كميات من حكايات ... عن وجود الإله ! هـذا الإله الطيّب ، ما أن نذكر كلمة وجود [وجود معيّن] حتى يشعر بأنه مستهدَف .

إن الوجود يختلف عن الكينونة* بواقع أنـه موسّط (Vermittelung : ١٢٤) – ؟ بطابعه العياني وتسلسله ؟ –

... « الشيء في ذاته وكينونته الموسّطة كلاهما محتوى في الوجود ، وكلاهما وجود ؛ الشيء في ذاته موجود ، وهو الوجود الجوهري للشيء ، بينما الكينونة الموسّطة هي وجوده اللاجوهري » (١٢٥) .

(* في هذا الباب الثاني : كينونة = être ؛ وجود : exister, existence) .

؟ الشيء في ذاته ينتسب إلى الكينونة كما ينتسب الجوهري إلى اللاجوهري ؟

. . « هذا الشيء في ذاته يجب أن لا يكون فيه أي تعدّد معيّن ؛ لذا فهو يناله فقط حين يُنقَل إلى التفكير الخارجي ؛ ولكنه يبقى لا مبالياً ازاءه . (— الشيء في ذاته ليس له لونٌ ، إلا إذا نُقِل أمام العين ، — رائحةٌ ، إلا إذا نُقل أمام الانف ، الخ) (١٢٦) ...

« إن لشيءٍ خاصّيةَ انتاجِ هذا أو ذاك في الآخر والتعبير عـــن نفسه في علاقته بطريقة خاصة » (١٢٩) ... « الشيء في ذاتـــه موجود هكذا جوهرياً » (١٣١) .

الملاحظة تعالج « الشيء في ذاته للمثالية العليا — الخارقة » ...

... « الشيء في ذاته كشيء في ذاته ليس شيئاً آخر سوى التجريــد الفارغ من كل تعيين ، الذي لا نستطيع بطبيعة الحال أن نعلم عنه شيئاً ، بالضبط لأنه التجريد من كل تعيين » .. (١٣١) ...

« المثالية العليا — الخارقـــة ... تنقل وتضع في الوعي كلَّ تعيين للأشياء ، شكلاً ومحتوى » (١٣١) ... « حسب وجهة النظر هذه ، في أنا ، الذات ، يحدث واقعُ انني أرى أوراقَ الشجرة لا سوداء بل خضراء ، والشمسَ — مستديرة لا مربّعة ، انني أشمّ السكّر لا مراً بل سكّرياً ، — أنني أعيّن الدّقة الأولى والدّقة الثانية لساعة جدارية كدقّتين متعاقبتين ، وان الأولى تعين كسبب لا كنتيجة التالية ، الخ » (١٣١) ... هيغل يذكر في مكان لاحق أنـــه هنا نظر فقط إلى مسألة الشيء في ذاته و « التفكير الخارجي » .

« إن النقص الجوهري في هذا المنظور الفلسفي يكمن في انه يعاند في الاحتفاظ بتجريد الشيء في ذاته كتعيين نهائي ، وأنه يقيم التفكير أو تعيين وتعدّد الصفات كمعارض للشيء في ذاته ؛ ولكنْ في الواقع ، إن الشيء في ذاتـــه له في نفسه جوهرياً هذا الانعكاس الخارجي وهو يتعين كحائز على تعييناته ذاتها وخصائصه ،

كاشفاً غلطَ أن نعيّنه كتجريد للشيء ، كمحض شيء في ذاته[1] » (١٣٢).

... « إن أشياء مختلفة متعدّدة هي في تفاعل جوهري بحـــكم خصائصها ؛ والخاصة هي هذا التفاعل ذاته ، والشي خارجها ليس شيئاً » (١٣٣) .

الشيئيّة [Dingheit ، « choséité »] تنتقل [تمضي] إلى خاصيّـة (١٣٤). الخاصية تمضي إلى « مادة » أو « Stoff » [مادة ، ماهية ، قماش...] (« الاشياء مصنوعة من مادّات ») ، الخ.

« الظاهرة هي ... أولاً بأول الجوهر المنتقل إلى [الماضي في] الوجـــود « existence » ... (١٤٤) . . « الظاهرة هي ... وحـــدة الظاهر والوجود « existence » (١٤٥) .

وحدة في الظاهرات : « هـــذه الوحدة قانون الظاهرة[2] . القانون هو إذن الايجابي في توّسط ما يظهر » (١٤٨) .

هذا كله بالغ الغموض . ولكن الفكر الحيّ هو بالطبع ما يلي : إن فكرة القانون هي إحدي درجات معرفة الوحدة و التواصل ، معرفة ترابط وتكامل العملية الكلية ـــ الكونية ، من قبل الانسان. هنا هيغل « يكسر » و « يلوي» الكلمات والمفاهيم ، لكي يناضل ضد أقنمة مفهوم القانون ، ضد تبسيطه ، ضد جعله صنماً أو تميمة . NB بالنسبة للفيزياء الحديثة !!!

« هذا الاستقرار الثابت الذي للظاهرة في القانون » (١٤٩)[3] ...

« القانون هو انعكاس الظاهرة في التماثل مع الذات » (١٤٩).(القانون هو المتماثل في الظاهرات : « انعكاس الظاهرة في تماثلها مع نفسها »)[4] .

... « هـــذا التماثل ، أساس الظاهرة الذي يؤلف القانون ، هو لحظة خاصة بالظاهرة ... (١٥٠) NB . القـانون ليس إذن في ما ـــ بعد الظاهرة ، بل

---

١. الأساس = ضد الذاتية وفصل الشيء في ذاته والظاهرة .

٢. قانون (الظاهرات) . القانون (للظاهرات) .

٣. NB . القانون هو ما هو صلب (ما يبقى) في الظاهرة .

٤. (القانون هو المتماثل الهوية في الظاهرة) .

حاضرٌ فيها مباشرة ؛ إن مملكة القوانين هي الانعكاس الهادىء [التشديد من هيغل] للعالم الموجود existant أو الظاهراتي » . [1] .

هــــذا تعريف ماديّ بشكل مرموق وصحيح بشكل مرموق (خصوصاً كلمة « هادىء ») . القانون يأخذ ما هو هادىء – ولهذا السبب ،فان القانون، كل قانون ، ضيق ، ناقص ، تقريبي .

« الوجود existence يعود إلى القانون كما إلى علّة وجوده . الظاهرة تحويها معاً ، علة الوجود البسيطة وحركة الكون الظاهراتي الحالّة التي هو جوهرها ، (١٥٠) . « القانون هو إذن الظاهرة الجوهرية » (١٥٠)[2] .

(إذن، القانون و الجوهر هما مفهومانمن نوع واحد(من صنف واحد)، أو بالأصح من مستوىواحد ، يعبّران عن تعميق المعرفة الانسانية للظاهرات ، للكون ، الخ) .

حركة الكون في الظاهرات ، في جوهرية هذه الحركة القانونُ [3] .

« مملكة القوانين هي المحتوى الهادىء للظاهرة ؛ هــذه الأخيرة هي المحتوى نفســه ، ولكن في التغيّر القلق وكانعكاس في الآخر .. الظاهرةُ لهـذا السبب تعارض القانون بوصفها كليةً جامعة ، إذْ هي تحوي القانون ، وأكثر أيضاً، لا سيما لحظة الشكل الذي يتحرك تلقائياً » (١٥١)[4] .

ولكنْ ، في مكان لاحق ، يبدو هيغل كأنه يعترف ، ولو بشكل غامض ، ص١٥٤ ، ان القانون يستطيع ان يكمل هذا النقص ، ان يشمل أيضاً الوجــه السابي وكليّة [جمعية] الظاهرة . الرجوع إلى هذه النقطة !

الكون فيذاته مماثل لعالم الظاهرات، ولكنه في آن معاً معارض له (١٥٨). ما هو موجب في أحدهما سالب في الآخر . مــا هو سيء في العالم الظاهراتي

---

١ . القانون = انعكاس الظاهرات الهادىء .NB .

٢ . NB . القانون هو الظاهرة الجوهرية .

٣ . NB . (القانون هو انعكاس الجوهري في حركة الكون) .

٤ . (الظاهرة هي التام ، الجمع الكلي)، « القانون = جزء » (الظاهرة أغنى من القانون).

جيد في العالم في ذاته أنظر، على حد ما يقول هيغل هنا، مؤلف « فينومينولوجيا الروح » ، ص١٢١ وبعدها .

« العالم الظاهراتي والعالم الجوهري ... كلاهما هو الكل المستقل للوجود ؛ أحدهما يجب أن لا يكون سوى الوجـود المنعكس ، الآخر الوجود المباشر ؛ ولكن كلاهما يتواصل في آخِره وهو لذلك تماثل [هوية] هاتين اللحظتين... كلاهما هو قبل كل شيء مستقل ، ولكن فقط ككلية جامعة ، وفقط من حيث ان كلاهما في ذاته جوهرياً لحظة الآخر » (١٥٩ - ١٦٠) ...

ما هو الأمر الأساسي هنا هو ان عالم الظاهرات والعالم في ذاته هما لحظتان لمعرفة الطبيعة من قبل الإنسان ، درجتان ، تغيّران ، أو تعميقان للمعرفة . إن نقل [نزوح] العالم في ذاته بعيداً أكثر فأكثر عن الظاهرات - هذا ما لا نراه إلى هنا عند هيغل .

NB : هل « لحظات » المفهوم عند هيغل تعني شيئاً آخر سوى « لحظات الانتقالات ؟. •

... « هكذا ، القانون هو علاقة جوهرية » (١٦٠) [التشديد من هيغل].

القانون علاقة . هذا NB للماخيين وغيرهم من لا أدْريين و كنطيين الخ . علاقة للجواهر أو بين جواهر .

« إن كلمة « العالَم » تعبّر بوجه عـام عن الكلية الجامعة [الجمع الكلي] بدون شكل المتعدّد » (١٦٠) ...

والفصل الثالث (« العلاقة الجوهرية ») يبـدأ بالقضية الآتية : « حقيقة الظاهرة هي العلاقة الجوهرية » ... (١٦١) ...

تقسيمات - تحتية :

علاقة الكل مع الجزء (كذا ! ! ص ١٦٨ هـذه العلاقة تنتقل الى التالية) ؛ علاقة القوة بتجلّيها ؛ علاقة الداخلي والخارجي . - انتقال

الى الماهية ، الى الراهنية .

« حقيقة العلاقة هي اذن في التوسّط » (١٦٧) .

« الانتقال » الى القوة : « القوة هي الوحدةُ السلبية التي فيها انحلّ تناقض الكل والأجزاء ، حقيقةُ هذه العلاقة الأولى » (١٧٠)

(هذا واحد من ألف موضع مشابه عند هيغل يُخرِج عن طورهم الفلاسفة الساذجين من نوع بيرسُن Pearson صاحب كتاب « قواعد العلم » — يذكر مقطعاً مشابهاً ويصرخ بغضب : « هذا ما يدرّس في مدارسنا ، هذه الخلوطة !!! » . وهو على حق بمعنى ما ، جزئياً . تدريسُ هذا حماقةٌ . من هذا ينبغي اولاً « تحرير » الديالكتيك المادي . وذلك يعطي ٩٠٪ من قشور ، من حطام) .

القوة تظهر « ملكاً » (١٧١) « للشيء الموجود او للمادة » ... « لذا اذا سألنا بأي طريقة يصل الشيء او المادة الى أن يملك قوة ، عندئذٍ تبدو هذه مرتبطةً بالمادة ارتباطاً خارجياً ومغروسةً في الشيء [مُدخلةً اليه] من قبل قدرة خارجية » (١٧١) .

... « في كل تطور طبيعي ، علمي وروحي ، يَمْثُل ويكون من الجوهري ان نعرف هذا الا وهو ان البداية (das Erste [الأول ، البدء ، الابتداء]) ، ما دام شيء ما ليس بعدُ الا داخلياً او في مفهومه ، هي بالضبط لهذا السبب ، فقط وجوده المنفعل ، المباشر » (١٨١) .

إن بداية كل شيء يمكن اعتبارها داخلية ، منفعلة ، — وفي الوقت نفسه خارجية .

ولكن ما يهمّنا هنا هو شيء آخر ، الا وهو : محكّ الديالكتيك الذي أفلت من هيغل عَرَضاً : « في كل تطور طبيعي ، علمي

وروحي » : هنـا حبّةُ الحقيقة العميقة في غلاف التركيبة الهيغلية الصوفي ..

مثلاً : إن بذرة الانسان ليست الا الانسان الداخلي المسلّم لقدرة الكائن الآخر ، للانفعالية . الله في البداية ليس بعدُ روحاً . « مباشرة ، الله ليس اذن سوى طبيعه » (١٨٢)[١] .

(هذا أيضاً ذو دلالة !!)

---

١. فويرباخ يرتبط بهذا : يسقط الاله ، تبقى الطبيعة .

الباب الثالث : الراهنية

... « الراهنية هي وحدة الجوهر والوجود – المعين » (١٨٤)* .

تقسيمات – تحتية : ١) « المطلق » – ٢) الراهنيـــة بالمعنى الحقيقي .

« الراهنية والامكانيات والضرورة تؤلف عناصر المطلق الشكلية القطعية » .

٣) « العلاقة المطلقة » : الماهية .

« في المطلق ليس ثمة صيرورة » (١٨٧) وحماقات أخرى عن المطلق ...

المطلق هو المطلق المطلق . (!!)

المحمول هو المطلق النسبي . (!!)

في « الملاحظة » ، يتحدث هيغل (بشكل بالغ العمومية وغائم) عن عيوب فلسفتي لايبنتس وسبينوزا .

نسجل بين أمور أخرى :

« إن أحادية مبدأ فلسفي تعارَضُ بالمبدأ المعارِض ، وكما يحصل دائمـــا ، يجري توحيدهما ، على الأقل ككليةٍ جامعة [totalité] متناثرة (١٩٧)[1] .

الراهنية متفوّقة على الوجود وعلى الوجود – المعيّن .

١) الوجود مباشر .

« الوجود ليس بعدُ راهناً » (٢٠٠)

(* الراهنية = الواقع ، في ترجمة أخرى. الوجود – المعين existence والوجود être)

١. عادة : من طرف إلى طرف مقابل . تكامل (intégralité ، تام – في شكل كلية جمعية متناثرة.

١

يمضي في الآخر [يتحوّل الى الآخر]

٢) الوجود ـ المعيّن (وهو يمضي في الظاهرة) يخرج من علة الوجود ، من الشروط ، ولكن ليس فيه بعدُ وحدة « الانعكاس والمباشر » .

٣) الراهنية

وحدة الوجود ـ المعيّن والوجود في ذاته .

... « الراهنية هي ايضاً متفوّقة على الوجود ـ المعيّن » (٢٠٠) .

... « الضرورة الواقعية هي ... علاقة مليئة بالمحتوى » .(٢١١)

... « هذه الضرورة هي مع ذلك في الوقت نفسه نسبية » (٢١١) ...

« الضرورة المطلقة هي اذن الحقيقة التي اليها تعود الراهنية والامكانية ، كما تعود الضرورةُ الشكلية ـ القطعية والواقعية » (٢١٥)

[ملحوظة : هنا يبدأ لينين دفتراً جديداً]

(نهاية المجلد II من كتاب المنطق ، مذهب الجوهر) ...

نسجل ان الشيء نفسه في كتاب المنطق الصغير (الموسوعة) معروض في احيان كثيرة بشكل أوضح بكثير مع أمثلة عيانية . انظر أيضاً انجلز وكونو فيشر Kuno Fischer * .

بخصوص « الامكانية » يسجل هيغل فراغ هذه المقولة ، وفي الموسوعة يقول: « ما اذا كان شيء ما ممكناً او مستحيلاً ، ذلك يتوقّف على المحتوى ، أي على الجمع الكلي للحظات الراهنية التي في تطورها [انبساطها] تبرهن على نفسها كضرورة » (موسوعة ، ٢٨٧ ، فقرة ١٤٣ ، ملحق) .

« الكلية الجامعة ، جملة لحظات الراهنية التي في تطورها [انبساطها] تبرهن عن نفسها كضرورة »*.

(* وهو فيلسوف الماني . كان في البداية تلميذاً وشارحاً لهيغل (١٨٢٤ — ١٩٠٧) . انجلز امتدح « المنطق الصغير » كـ « بداية ممتازة » لدراسة هيغل .)

(* تتكشف عن كونها الضرورة – في ترجمة أخرى) .

إن تطور كل جملة لحظات الراهنية NB = جوهر المعرفة الديالكتية .

أنظر في ذات الموسوعة، ص٢٨٩ : كلام بليغ عن غرور الاعجاب الراضي بثروة وتحوّل الظاهرات الطبيعية ، وعن ضرورة

« ... التقدم نحو تفهم أكثر صوابـــاً لقوانين الطبيعة وتناسقها الداخلي » (٢٩٨) (على مقربة من المادية)

المرجع نفسه، ص٢٩٢ : « الراهنية المطوّرة [المبسوطة] كتبادل الداخلي والخارجي المتطابقين في وحدة ، تناوب حركاتها المتناقضة التي تتوحّد في حركة واحدة ، — تلك هي الضرورة » .

الموسوعة ، المجلد VI ، ص٢٩٤ : ... « الضرورة ليست عمياء إلا من حيث هي غير مفهومة ... »

المرجع نفسه ص٢٩٥ ... « يحصل للانسان .. أنْ يَخرُجَ من فاعليته شيءٌ مختلفٌ تماماً عمّا فكـّر وأراد » ...

المرجع نفسه ص ٣٠١ . « الماهية هي درجة جوهريـــة في سير انبساط [عملية تطوّر] الفكرة » ...

إقرأ : مرحلة هامة في عملية تطور المعرفة البشرية للطبيعة و للمادّة .

المنطق ، المجلد IV :

... « الماهية هي الوجود في كل موجود » (٢٢٠) ...

إن علاقة الماهوية تمضي في علاقة السببية (٢٢٣) .

. . « فقط من حيث هي سبب .. الماهيةُ راهنةٌ » (٢٢٥) ...

من جهة ، يجب تعميق معرفة المادة حتى معرفـة (حتى مفهوم) الماهية ، لكي نجد أسباب الظاهرات . من جهة اخرى ، إن المعرفة الفعلية للسبب هي تعميق المعرفة الذاهبة من سطح الظاهرات الى الماهية . نوعان من الأمثلة يجب ان يفسّرا ذلك ؛ أمثلة مأخوذة : ١ً في تاريخ العـــلم الطبيعي و ٢ً في تاريخ الفلسفة . وبشكل أصحّ : نحتاج لا الى

أمثلة - إن مقارنةً ليست علّة - بـــل الى خلاصة [زبدة] هذين التاريخين ، زائداً تاريخ التقنية .

« النتيجة لا تَحْوِي شيئاً . الاّ وهو محوِيٌ في السبب » (٢٢٦) والعكس بالعكس .

السبب والنتيجة ما هما اذن سوى لحظات الترابط الكوني [التبعية - المتبادلة الكونية] ، الرابطة (الكلية - الكونية) ، التواصل المتبادل للحوادث ، حلقات في سلسلة التطور ...

NB : « انه الشيء نفسه يَمْثل تارةً كسبب ، وتارة كنتيجة ، - هناك كاستقرار نوعي ، هنا كموجودٍ موضوع ، او كتمين في آخر » (٢٢٧) .

الكلية [الكونية ، الشمولية] هي الطابع الذي يغطّي الكل في التواصل الكوني الذي لا تعبّر عنه السببية إلا بشكل ناقص ومجزوء . NB .

« يمكن أيضاً أن نلاحظ هنا أنه ، ما دمنا نقبل علامة السبب والنتيجة ، رغم كون هذا الأمر بأحد المعاني غيرَ صحيح ، فإن النتيجة لا يمكن ان تكون أكبر من السبب ؛ إذ ان النتيجـــة ليست شيئاً آخر سوى تجلي [تظاهر] السبب » (٢٣٠) .

ثم ، بصدد التاريخ . هنا تذكر عادة وقائع صغيرة ، كـ « أسباب » صغيرة لأحداث كبيرة - بالواقع ، ليست هي سوى ذرائع ، سوى الحافز الخارجي « الذي كان بإمكان روح الحوادث الداخلي ان لا يكون بحاجة اليه » (٢٣٠)[1]

« هذه الزخرفات التاريخية التي تخرج مـــن ساقٍ ضعيف صورةً كبيرة هي أسلوب « روحي » * [خفيف وصائب] ، ولكن بالغ السطحية » (المرجع نفسه) .

---

١ . في التاريخ « أسباب صغيرة لأحداث كبيرة » .

(* بالمعنى الفرنسي لكلمة « روح » السابق شرحه) .

هذا « الروح الداخلي » – انظر بليخانوف – هو إيحاء صوفي ، مثـــالي ، ولكنه عميق ، عن الأسباب التاريخية للحوادث . هيغل يُخضِع التاريخ كلياً للسببية ويفهم السببية فهماً أعمق وأغنى الف مرة مما يفهمها حشدٌ من « العلماء » المعاصرين .

« هكذا إن حجراً يتحرك هو سبب ؛ حركته هي تعيــينٌ يملكه ، ولكنه خارج هذا التعيين يحوي أيضاً تعيينات أخرى عديدة ، اللون ، الشكل ، الخ ، لا تدخل في سببيته » (٢٣٢) .

السببية ، كما نفهمها عـــادةً ، ليست الا وجهاً صغيراً من الترابط الكلّي – الكوني ، ولكنها (إضافة مادية) ليست وجهاً من الترابط الذاتي ، بل الواقعي والموضوعي .

« بحركة علاقة التسبيب المعيّنة يحدث ان السبب ليس فقط ينطفىء في النتيجة ، وبذلك ايضاً ان النتيجة تنطفىء ، كما في السببية الشكلية القطعية ، بل ان السبب في انطفائه يصير ثانيةً في النتيجة ، وان النتيجة بزوالهـــا في السبب هي ايضاً تصير ثانيةً فيه . كلٌّ من هذين التعيينين يتجاوز ذاته في فعل وضع ذاته ، ويضع ذاته في تجاوز ذاته ؛ ذلك ليس انتقالاً خارجياً للسببية من قوام الى آخر ، ولكنّ هـــذه الصيرورةَ – آخَرَ هي في الوقت نفسه وضعُ ذاتٍ . هكذا إن السببية تفترض نفسها مسبقاً وتشترط نفسها » (٢٣٥) .

« حركة العلاقة السببية » – بالواقع : حركةُ المـــادة او حركة التاريخ ، مدرَكةً ، مستملَكةً في ترابطها الداخلي الى هذه الدرجة او تلك من الاتساع او العمق ...

« أولاً بأول ،إن الفعل المتبادل يَتمثل كتسبيب متبادل للماهيات الموضوعة ، التي هي شروطُ بعضها بعضاً ؛ كل ماهية هي بالنسبة للأخرى فاعلة ومنفعلة في آن » (٢٤٠) .

« في الفعل المتبادل ، السببية الأصلية تَتمثل كمتولدة من نفيه ، من الانفعالية ،

وكزائلة فيه ، كصيرورة ..

... الضرورة والسببية هما اذنْ فيه منقرضتان ؛ انهما تحويان الاثنتين ، الهوية المباشرة كارتباط وعلاقة[1] ، والماهوية المطلقة للمتميّزات[2] ، وبذلك عرَضَها المطلق ؛ الوحدة البدائية [الأولية] للاختلاف الماهوي ؛ إذن التناقض المطلق . الضرورة هي الوجود ، لأنها وحدة الوجود مع نفسه ، التي هي علة وجوده الخاصة ؛ ولكن بالمقابل ، بما أنّ لها علةً وجود ، لذا ليست وجوداً ، ليست سوى انعكاس ، علاقة ، أو توسّط[3] . السببية هي هذا الانتقالُ الموضوعُ للوجود الأصلي ، للسبب ، إلى الانعكاس أو إلى الوجود الموضوع حَسْب ، وبالعكس ، انتقالُ الوجودِ الموضوع إلى الاصلي ؛ ولكن وحدة هوية (٢٤١) الوجود والانعكاس ذاتها (٢٤٢) ما تزال الضرورةَ الداخلية . هذا الطابع الداخلي أو هذا الوجود في ذاته يتجاوز حركة السببية ؛ بذلك تضيع ماهويةُ الوجوه ذوات العلاقة وتنكشف الضرورةُ . الضرورة لا تصير حريةً لأنها تزول ، بل لأن هويتها التي ما تزال داخلية تتجلّى » (٢٤٢)[4] .

حين نقرأ هيغل عن السببية ، يبدو للوهلة الأولى من الغريب انه لم يقف إلا قليلاً عند الموضوع المحبّب جداً لدى الكنطيين . لماذا ؟ لأن السببية بالنسبة له ليست سوى أحد تعيينات الترابط الكلي — الكوني الذي كان قد أدركه على نحو أعمق وأشمل بكثير ، مشدّداً بصورة دائمة ومن البداية ، في كل عرْضه ، على الانتقالات المتبادلة الخ . إنه درسٌ غني أنْ نراصف ونقارن « الام ولادة » التجريبية — الجديدة (أو « المثالية — الفيزيائية ») مع حلول هيغل أو بشكل أدق مع طريقة هيغل الديالكتية .

جديرٌ بالملاحظة أيضاً أن هيغل في الموسوعة يشدّد على نقص وفراغ مفهوم الفعل المتبادل عارياً .

---

١. « ارتباط وعلاقة » .

٢. « وحدة الماهية في الاختلاف » .

٣. علاقة ، توسط ،

٤. الضرورة لا تزول بصيرورتها حرية .

المجلد VI ، ص ٣٠٨ .

« صحيح ان الفعل المتبادل هو الحقيقة التالية مباشرة للعلاقة سبب—نتيجة، وهو نوعاً ما على عتبة المفهوم . ولكنْ لذلك بالضبط لا يمكن الاكتفاء بتطبيق هذه العلاقة حين نكون في صدد المعرفة المفهومية . إن اعتبارَ مفهوم معطى ما فقط من وجهة نظر الفعل المتبادل[1] ، هو موقف غير متبصّـر على الاطلاق ؛ عندئذٍ لا يكون امامنا سوى واقعة جافة ،واشتراطُ[exigence]الوساطة، الأساسيُ حين نكون بصدد علاقـــة سببية ، يبقى من جديد غيرَ مشبـع[2] . منظوراً اليه عن قرب أكثر ، هذا النقصُ في تطبيق علاقة الفعل المتبادل يكمن في ان هذه العلاقة ، بعيداً عن أن تكون مساوية للمفهوم ، ينبغي أن تُفهَم هي [ان تُتَصوَّر مفهومياً]؛ ولهذا الغرض يجب أن لا يُترَك حدّا العلاقة في حالة معطى مباشر ، بل يجب ، كما بيّنا ذلك في الفقرات السابقة ، أن نتعرّف عليهما كلحظتين لحد ثالث ، أعلى ، هو بالضبط المفهوم . هكذا ، مثلاً ، إذا اعتبرنا عادات شعب مدينة سبارطة نتيجــة لدستوره ، وبالعكس إذا اعتبرنا دستوره نتيجة لعاداته NB ، فان هذه الطريقة في الفهم يمكن أن تكون صحيحة فعلاً ، دون أن ترضينا مع ذلك ، لأنها لا تتيح لنا أن نفهم لا دستور ولا عادات هــذا الشعب .ذلك لا يكون ممكنا ما لم نفهم حدّي العلاقة ،وكذلك سائر وجوه[1] وحياة وتاريخ شعب سبارطة،على أنها تابعة من المفهوم الذي هو أساسها»(٣٠٩).

في نهاية الكتاب II من المنطق،المجلد IV ،ص ٢٤٣)، عند مسألة الانتقال إلى « المفهوم » ، نجد التعريف الآتي: « المفهوم ، مملكة الذاتية أو الحر‌ية » ...

NB حرية = ذاتية

(« أو »)

هدف ، وعي ، اتجاه [ميل]

NB

---

١ . فقط « فعل متبادل » = فراغ .

٢ . اشتراط الوساطة (الارتباط) ، ذلك هو معنى السببية .

٣ . كل « الوجوه الخاصة » والجمع الكلي (الكلية الجامعة) (« Begriff ») (« محتوى، فهم ، تصور مفهومي ، فكرة ، مفهوم ») .

الكتاب الثالث

علم المنطق الذاتي
أو مذهب المفهوم

– في المفهوم بوجه عام
– الذاتية
– الموضوعية
– الفكرة
– الحياة
– فكرة المعرفة
– الفكرة المطلقة

(المجلد V . الجزء الثاني : المنطق الذاتي لمذهب المفهوم) .

في المفهوم بوجه عام

بالنسبة للجزءين الأولين من المنطق، على حد قول هيغل، لم يكن هناك أعمال تمهيدية، ولكن بالنسبة لهذا الجزء هناك «مواد مجمّدة» «ينبغي صهرها مجدّداً» (٣) ...

«الوجود والجوهر هما ... لحظتا صيرورته (صيرورة المفهوم)» (٥).

لنقلبْ: المفاهيم هي النتاج الأعلى للدماغ [المخّ]، النتاج الأعلى للمادة.

«المنطق الموضوعي الذي ينظر إلى الوجود و الجوهر يؤلف إذن، بلغة المعنى الحقيقي، العرْض التوليدي للمفهوم» (٦).

٩ — ١٠: أهمية كبرى للفلسفة السبينوزية بوصفها فلسفة الماهية (وجهةُ النظر هذه بالغة السموّ، ولكنها ناقصة، ليست هي الأكثر سمواً - بوجه عام، إن تفنيد منظومة فلسفية لا يعني نبذها، بل إنماءها [تطويرها]؛ لا أن نستبدل بها منظومةً أخرى، معارضة لها أحادياً، بل أن نستوعبها في منظومة أرقى). في منظومة سبينوزا، ليس ثمة ذاتٌ حرة، مستقلة، واعية (ينقصها «حرية واستقلال الذات الواعية ذاتها» (١٠))، ولكنْ عند سبينوزا أيضاً الفكرُ صفةٌ للماهية (١٠).

١٣ (في النهاية). مروراً، كان هناك زمن كانت فيه «موضة» في الفلسفة

« أن يقال سوءٌ » عن الخيال والذاكرة الآن تُصغَّر أهميةُ المفهوم (- « ذروة الفكر ») ، ويُمتدَح « ما هو غير قابل للفهم » (تلميح إلى كنط ؟) .

حين ينتقل هيغل (ص ١٥) إلى نقـــد مذهب كنط - فانه يعتبر مأثرته الكبرى أنـه أبرز فكرة « وحدة الادراك الفلسفي aperception العليا - الخارقة » (وحدةَ الوعي حيث يُخلَق المفهوم*) ، ولكنه يأخذ على كنط أحادية نظرته و ذاتيتها :

... « الموضوع ... كما هو في الفكر ، هـو في نفسه ولنفسه ... كما هو في الحدس أو التمثيل ، هو ظاهرة » (١٦) .. (هيغل يرفع المثالية الكنطية من الذاتي إلى الموضوعي والمطلق)[١] .

كنط يعترف بموضوعية المفاهيم (موضوعها هو الحقيقة) ، ولكنه مع ذلك يتركها ذاتية . يُسَبِّق على الفهم الاحساسَ والحدسَ . فيما يلي مـا يقوله هيغل عن ذلك :

« ولكن فيما يخص أولاً علاقةَ الفهم هذه مع الدرجات التي تسبقها ، ينطرح السؤال : ما هو العلم الذي يهتمّ بتحديد أشكال هذه الدرجات ؟ في علمنـــا ، بوصفه منطقاً خالصاً ، هذه الدرجات هي الوجود و الجوهر . في السيكولوجيا [علم النفس] ، إنها الاحساس و الحدس ثم التصوّر التمثيلي حسْب الذي الذي يوضع قبل الفهم في فينومينولوجيا* الروح ، بوصفهـا مذهب الوعي ، ارتقينا إلى الفهم على درجة الوعي الحسّي [الشعور الحسّي] ثم درجة الادراك [الحسّي] » (١٧) . كنط عرَض ذلك كله « بشكل ناقص جداً » .

ثم : واقعة أساسية .

(* هـذا المصطلح الفلسفي aperception (الذي ليس perception = إدراك أي إدراك حسي) هو - عند كنط - وعي الذات ، وأيضاً التركيب التوحيدي لمعطيات حدس الروح) .

١. من التأمل المادي contemplation إلى معرفة الواقع الموضوعي ...

(* فينومينولوجيا = علم ظاهرات ، نظرية أو مذهب ظاهرات) .

... « هنا يجب أن نعتبر المفهومَ وليس الفهمَ الذاتي؛ المفهوم لا كفعل الفهم الواعي بل المفهوم في وَلِذاته الذي هو درجة للطبيعة ودرجة للروح في آن معاً. الحياة أو الطبيعة العضوية هي درجة الطبيعة التي يظهر فيها المفهوم » (١٨)[١] .

يتبع مقطعٌ مفيد (١٩ - ٢٧) فيه هيغل يدحض كنط على صعيد نظرية المعرفة (هو على الأرجح المقطع الذي قصده انجلز في مؤلفه « فويرباخ » حين كتب ان الأمر الجوهري ضد كنط سبق أن قاله هيغل بقدر ما هو ممكن من وجهة النظر المثالية) ، - كاشفاً ازدواجيته وعـــدم انسجامه مع نفسه ، تردداته إن صحَّ القول بين التجريبية (= المادية) والمثالية ؛ هيغل يسوق كل محاججته بالتمام والخلاص من وجهة نظر مثالية أكثر انسجاماً .

المفهوم [Concept] ليس بعـــدُ هو المفهوم [notion] الأعلى ؛ أعلى منه أيضاً هي الفكرة [I deé] = وحدة المفهوم والواقعي .

« هذا ليس سوى مفهوم ! هكذا يقولون عادة وهم يضعون في معارضـــة المفهوم ، كشيء أكثر كمالاً ، ليس فقط الفكرةَ ، بـــل أيضاً الوجود - المعيّن الحسّي ، المكاني ، الزماني ، الملموس (٢٠). هكذا يُعتبرَ المجرَّد كأقل من العياني ، إذْ نُزع من هذا الأخير كثير من المادة . في هذا الرأي ، التجريد معناه أننـــا نستخلص مـــن العياني ، فقط لاستعمالنا الذاتي ، هـــذه أو تلك من العلائم المميزّة ، بطريقة لا نُنقِص معها قيمة أو كرامة الموضوع حين ننزع منه طائفـة أخرى من أوصاف وخصائص ؛ يُعتقَدُ ان التجريد يحفظها في واقعها ، ولكن في حيز ما - بعد ، في كل قيمتها ؛ لدرجة ان الفهم لئن كان لا يشمل كل هـــذه الثروة ويكتفي بالتجريد المسكين فردُ ذلـك عجزُهُ[٢] . ولكن التخلي عن الرأي الذي يأخذ مادة الحدس المعطاة وتنوعَ التمثيل على أنها الواقع في معارضة

١. مثال أنموذجي عن تحول المثالية الموضوعية إلى مادية .

٢. كنط يصغر قوة العقل .

المفهوم والفكر ليس شرط كل فلسفة وحسب بل أيضاً شرط الدين[1] ؛ إذ كيف يمكن ان نكون بحاجة إليه [إلى المفهوم] وما هو معناه ، اذا كانت ظاهرة الحسّي والخاص العابرةُ والسطحيةُ هي الحقيقة ؟... لذا يجب ان لا ننظر إلى الفكر المجرّد على أنه محض طرح المادة المحسوسة التي بذلك لا تفقد شيئاً من واقعها ؛ انه بالأحرى تجاوزُها وتحويلها من حيث هي محض ظاهرة إلى الجوهري الذي لا يتجلى إلا كمفهوم » (٢٠-٢١) .

أساساً ، هيغل محقّ تماماً ضد كنط . إن الفكر بارتقائه من العياني إلى المجرد لا يبتعدُ – اذا كان حقيقياً (NB) (و كنط مثل كل الفلاسفة يتكلم عن الفكر الحقيقي)– عن الحقيقة ، بل يقترب منها. إن تجريدات المادة ، القانون الطبيعي ، تجريد القيمة ، الخ ، بكلمة واحدة كل التجريدات العلمية (الصحيحة ، الجدّية ، غير المُسْفية) تعكس الطبيعةَ على نحو أعمق وأدق وأتم . من الحدسُ الحيّ إلى الفكر المجرَّد ، ومنه إلى الممارسة – ذلك هو الطريق الديالكتي لمعرفة الحق [الحقيقي] ، لمعرفة الواقع الموضوعي . كنط يخفض العلم ليشق الطريق للإيمان ، هيغل يرفع العلم ، مؤكداً لنا أن المعرفة هي معرفة الإله. المادّي يعمق معرفة المادة ، الطبيعة ، محيلاً الإله والفلاسفة الذين يدافعون عنه إلى حيث يجب أن يكونوا .

« الالتباس الرئيسي المهيمن هنا هو ان المبدأ الطبيعي أو البدء [البداية] ، الذي يُنطلق منه في التطور الطبيعي أو في تاريخ الفرد الذي يتشكل ، مأخوذٌ على أنه الحق والأوّل في المفهوم » (٢١). (– فالبشر يبدؤون بذلك ، ولكن الحقيقة ليست في البداية ، بل في النهاية ، وبالأصح في المتابعة . الحقيقة ليست الانطباع الأول) ... ولكن الفلسفة يجب أن لا تكون رواية ما يجري ، بل معرفة ما هو حقيقي فيه » (٢١) ...

كنط هو « المثالية السيكولوجية » : عند كنط ، المقولات هي فقط « تعيينات تأتي من الوعي » . ارتقاءٌ من الفهم إلى العقل ، كنط يخفض أهمية الفكر ، منكراً عليه القدرة على بلوغ الحقيقة الكاملة » (٢٣) .

---

١. المثالي الاكثر انسجاماً يتعلق بالإله !

« كنط يفضح كتجاوز [abus ، خرق ، تعدٍّ] واقعَ ان المنطق الذي يجب أن يكون محض قانون [canon ، قاعدة] للحكم ، يُعتبر عضواً منتجاً معارفَ موضوعية (٢٣) . إن مفاهيم العقل التي يجب ان نستشعر فيها قوة أعلى (جملة مثالية !) ومحتوى أعمق (صحّ !) ليس فيها شيءٌ أكثر تكوينية (يجب قول موضوعية) مما هو خاص بالمقولات ؛ ليست سوى أفكار ؛ صحيح انه من المسموح به تماما استخدامها ، ولكن هذه الكيانات القابلة للفهم والتي يجب أن تتجلى فيها كل الحقيقة ، تُعتبر فقط فرضيات — من العسف والجنون أن نعزوَ إليها حقيقة في ولذاتها — لأنها لا تظهر في أية تجربة . — هل كان ممكناً التفكير بأن الفلسفة ستنفي حقيقة الجواهر الممكنة الفهم لأن هذه الكيانات الفهمية محرومة من المادة المكانية والزمانية للحساسية ؟ » (٢٣).

هنا أيضاً هيغل على حق في الأساس : القيمة مقولة محرومة من مادّة حسية ، ولكنها أكثر حقيقة من قانون العرض والطلب .

بيد أن هيغل مثالي ؛ من هنا الحماقات عن « التكويني » ، الخ .

كنط من جهة يعترف بوضوح تام بـ « موضوعية » الفكر (وحدة هوية المفهوم والشيء ») (٢٤) - ومن جهة أخرى :

« ولكنه من جهة أخرى يؤكد اننا لا نستطيع ان نعرف الاشياء كما هي في ذاتها ولذاتها ، وان الحقيقة ليست في متناول العقل العارف (٢٤) [1] ؛ هذه الحقيقة التي هي وحدة الموضوع والذات لاتكون اذن سوى ظاهرة ؛ وذلك لأن المحتوى لا يكون سوى تنوع الحدس . سبق ان ذكرنا بهذا الخصوص العكسَ ، أي ان المفهوم هو بالضبط الذي يتجاوز التعدُدية بوصفها ملكاً للحدس المعارض للمفهوم ، وان الموضوع إنما عَبْرَ المفهوم يُعاد الى جوهريته اللاعرَضية ؛ هذه الجوهرية تتجلى في الظاهرة ، ولذا فان الظاهرة ليست محض شيء ما بلا جوهر ، بل هي تجلٍّ للجوهر » (٢٤ ، ٢٥) [2]

---

١ . هيغل يؤيد إمكان معرفة الشيء في ذاته .

٢ . الظاهرة هي تجلي الجوهر .

« سنعتبر دائماً أمراً غريباً جداً واقعَ ان الفلسفة الكنطية قد تعرّفت على هذه العلاقة بين الفكر والوجود – المميّن الحسّي التي توقّفت عندها كعلاقة فقط نسبية للظاهرة ؛ ورغم أنها تعرّفت على وعبّرت عن وحدة عليا للاثنين في الفكرة ، مثلاً في فكرة الفهم الحدْسي ، فقد توقفت عند هذه العلاقة النسبية وأكدت ان المفهوم هو وسيظل مفصولاً تماماً عن الواقع (NB) ؛ بذلك اعترفت كحقيقة بما كانت هي قد أعلنته معرفة محدودة ؛ وما كانت قد اعترفت به كحقيقة وأقامت مفهومه المعيّن ، أعلنته مفرطاً محظوراً ووجوداً للعقل [كينونة معقولة] » (٢٦) NB .

في المنطق ، الفكرة تصبح « خالقة الطبيعة » (٢٦) [1] .

« المنطق هو « العلم الشكلي » (٢٧) في تعارض مع العلوم العيانية (للطبيعة والروح) ، ولكن موضوعه هو الـ « حقيقة » الخالصة (٢٧) ...

كنط نفسه ، حين يتساءل ما هي الحقيقة (في مؤلفه نقد العقل الخالص ، ص ٨٣) وحين يعطي الجواب العامّي (« توافق المعرفة والموضوع ») ، انما يدحض نفسه ، لأن « التأكيد الأساسي للمثالية العليا – الخارقة » هو ان « المعرفة لا تستطيع ان تبلغ الشيء في ذاته » (٢٧) – ومن الواضح انه ليس ثمة هنا سوى أفكار باطلة » (٢٨) .

وهيغل – اذْ يحاجج ضد المفهوم الشكلي الصرف للمنطق (الموجود عند كنط) ويقول انه من وجهة النظر العادية (حقيقة – توافق مع الموضوع) ثمة « حدّان ضروريان » لهذا التوافق – يقول إنّ الشكلي في المنطق هو « الحقيقة الخالصة » (٢٩) وإنّ

. . « هذا الشكلي يجب لهذا الغرض ان يكون داخلياً أغنى بكثير في التعيينات والمحتوى ويجب ان يُتصوَّر مفهومياً ذا سلطة على العياني اكبر بكثير مما يُعترَف به عادةً » (٢٩) ...

« وحتى اذا لم نرَ في الأشكال المنطقية شيئاً آخر سوى وظائف الفكر

---

(١) ها – ها ١١

الشكلية، فانها بذلك وحده تستحق ان تفحص لكي نرى الى اي حد تتوافق مع الحقيقة . إن منطقاً لا يُعنى بهذه المسألة يمكنه في أقصى احتمال ان يدّعي قيمة وصف طبيعي تاريخي لظاهرات الفكر »(٣١) . (بالضبط هذه هي مأثرة أرسطو الخالدة) ، ولكن من الضروري المضي الى أبعد من ذلك (٣١) . . .

هكذا ليس فقط وصــف أشكال الفكر وليس فقط الوصف **الطبيعي التاريخي لظاهرات الفكر** (في ماذا يتميّز هذا عن وصف **الأشكال** ؟ ؟) ، بل ايضاً التوافق مع الحقيقة ، اي ؟؟ خلاصة [زبدة] او بكلام أبسط نتائج ، حاصل جمع تاريخ الفكر ؟؟ عند هيغل ، هنا غموض مثالي ، نقص . **صوفية** .

لا السيكولوجيا ، لا فينومينولوجيـــا الروح ، **بل المنطق** = مسألة الحق [Vrai] [2] .

انظر الموسوعة ، المجلد VI ، ص ٣١٩ : « ولكن بالواقـــع إن الأشكال المنطقية ، بوصفها أشكال المفهوم ، تؤلف روحَ الواقعِ الحية... [1] » .

المفهوم الذي ينبسط في [ينمو الى] مفهوم « مطابق » [« adéquat » ، مناسب ، تام ، محكَم] يصير فكرة [Idée](٣٣) . « المفهوم في موضوعيته هو الشيء نفسه في ذاته ولذاته » NB (٣٣) .

= موضوعية [مذهب موضوعي] ، زائـداً صوفية وخيانة لفكرة التطور .

---

١. في هذا التصور المفهومي ، المنطق يتطابق تماماً (coïncide) مع تاريخ المعرفة . تلك مسألة بالغة الأهمية .

٢. القوانين العامة لحركة الكون والفكر .

الباب الأول : الذاتية

الحركة الديالكتية من « المفهوم » – من المفهوم « الشكلي » الخالص - نحو الحكم ،ثم،نحو القياس [syllogisme] ، وأخيراً حتى تحوّل المفهوم الذاتي إلى موضوعيته (٣٤–٣٥) .

أول علامة مميزة للمفهوم : الكلية [universalité ، الشمولية] . NB : المفهوم يأتي من الجوهر الذي أتى من الوجود [الكينونة] .

ما يتبع ، انبساطُ الكلي و الخاص و المفرد ، هو ، إلى أعلى حد ، مجرّد و « عويص » .

كونوفيشر يعرض بشكل سيء تماماً هذه الاستدلالات « العويصة » – لا يأخذ سوى ما هو الأكثر سهولة – أمثلة من الموسوعة – ويضيف إليهـــا مبتذلات (ضد الثورة الفرنسية . كونوفيشر ، المجلد VIII ، عام ١٩٠١ ، ص ٣٣٠)، الخ ، دون ان يشرح للقارىء كيفية البحث عن مفتـــاح الانتقالات الصعبة ، والفوارق الدقيقة ، وتبديلات المواضع ، الخ ، لكل المفاهيم الهيغلية [١] .

---

١. حين نقرأ ... إن أقسام المؤلف هذه كان يجب ان تدعى : وسيلة ممتازة لنيل « وجـــع رأس » .

وضوحاً، هنا ايضاً الشيء الرئيسي بالنسبة لهيغل هو أن يَعِمَ الانتقالات . من وجهة نظر ما ، في بعض الشروط ، الكلي هو الخاص ، والخاص هو الكلي . ليس فقط ١) ترابط ، وترابط لا ينفصم لكل المفاهيم والأحكام بل ٢) انتقالات من واحد الى آخر ، وليس فقط انتقالات ، بل ٣) تماثل المتناقضات — ذلك هو الشيء الرئيسي بالنسبة لهيغل . ولكن هذا « يظهر » ليس اكثر من خلال ضباب عرْض اكثر من عويص . ما نحتاج اليه هو تاريخ للفكر من وجهة نظر تطوّر وتطبيق مفاهيم المنطق الكلية ومقولاته [١،٢] !

واذْ يذكر هيغل ص ١٢٥ القياس « الشهير » — « كل البشر فانون ، كايوس انسان ، اذن هو فان » — فإنه يضيف بروح [لاذعة] : « ما أن نسمع قياساً كهذا حتى نموت ضجراً » [٣] ، وهذا ينبع من « الشكل غير المفيد » ؛ وهو يقدّم ايضاً هذه الملاحظة العميقة :

« كل شيء هو قياس [٤] ، كلّيٌ يتحد بواسطة الخصوصية مع الفردية ؛ ولكن بالطبع ليست كل الاشياء كليات مؤلفة من ثلاث قضايا » (١٢٦) NB .

جيد جداً ! الـ « صوَر » المنطقية الأكثر عاديّة — (هـــذا كله في الفقرة الأولى من صورة القياس الأولى) هي أبسط علاقات الأشياء ممدّدةً سكولاستيكياً، مدرسياً (ونعتذر عن الكلمة) .

عن كنط بين ملاحظات اخرى :

« إن تعارضات العقل الكنطية ليست سوى هـــذا : باديء بديء يوضع

---

١ هذا كله أما يزال ضريبة تدفع للمنطق الصوري القديم ؟ أجل ! وهـــو ايضاً ضريبة للصوفية = المثالية .

٢. هي ذي وفرة « التعيينات » والـ Begriffsbestimmungen (تعيينات المفاهيم) في هذا القسم من المنطق !

٣. صح !

٤. « كل شيء قياس » .

كأساسٍ تعيينٌ للمفهوم ، ثم يوضع تعيين آخر بالضرورة نفسها » ... (١٢٨ — ١٢٩)[1] ...

إن تشكُّل المفاهيم (المجرّدة) والعمليات معها يتضمّن سلفاً تمثلَ يقينَ ، وعيَ القوانين الموضوعية والترابط الكلي . إن فصل السببية عن هذا الترابط حماقة. من المستحيل نفي موضوعية المفاهيم،موضوعية الكلي [الشمولي ، العام] في الخاص والمفرد . هيغل اذن قد درس على نحو أعمق بكثير من كنط وآخرين انعكاسَ حركات العالم الموضوعي في حركة المفاهيم كما أن شكل القيمة البسيط، فعلَ تبادل سلعة معطاة بأخرى فعلاً منعزلاً، يغطّي سلفاً في شكل غير متطوّر كل التناقضات الأساسية للرأسمالية ، ــ كذلك فإن أبسط تعميم، أوّل وأبسط تشكيل للمفاهيم (للأحكام ، للقياسات ، الخ) يعني معرفة انسانية متزايــدة العمق للتسلسل الكلي — الكوني الموضوعي . هنا ينبغي البحث عن المعنى الحقيقي لمنطق هيغل عن دلالته ودوره ٢/٣/٤ . هذا لاحظْ جيداً .

قولان مقتضبان[5] :

١ . بليخانوف ينقد الكنطية (واللاأدرية) من وجهة نظر مادية بشكل مبتذل أكثر منها مادية ديالكتياً ، بقدر مــا هو يرفض [يرمي من العتبة] محاكماتهم ، ولا يصوّبهــا (كما كان هيغل يصوّب كنط) معمّقاً إياها ، معمّماً وموسّعاً ، مُظهراً تسلسل وانتقالات كل المفاهيم .

---

١. تحليل القياس عند هيغل .
E - B - A . Eins ; Besonderes ; Allgemeines , B - E - A , etc.
(و — خ — ع واحد ، خاص ، عام ، خ — و — ع ، الخ) يذكر بتقليد هيغل عند ماركس في الفصل الأول (من كتاب « رأس المال ») .

٢. يجب الرجوع إلى هيغل لتحليل أي منطق مألوف أو نظرية معرفة (الكنطيين ، الخ) خطوة خطوة .

٣. NB . اقلب : ماركس طبق ديالكتيك هيغل في شكله المطور على الاقتصاد السياسي .

٤. NB . بخصوص المعنى الحقيقي لمنطق هيغل .

٥. بخصوص نقد الكنطية المعاصرة ، ماخ ، الخ .

٢. في مطلع القرن العشرين ، كان الماركسيون ينقدون تلامذة كنط وهيوم على طريقة فويرباخ وعلى طريقة بوشنر Büchner أكثر مما ينقدونهم على طريقة هيغل .

... « إن تجربة مؤسسة على الاستقراء تعتبر صالحة ، رغم أنه مقرٌ بأن الادراك لم ينته NB ؛ يكفي الاقرار بأنه لم يعد ممكناً وجودُ مرجع ضد هذه التجربة من حيث هي حقة في ذاتها ولذاتها » (١٤٢) .

هذا المقطع وارد في الفقرة « القياس الاستقرائي » . إن أبسط حقيقة حصِل عليها بأبسط استقراء لا تكون أبداً كاملة ، لأن التجربة لا تكون أبداً منتهية . اذن : للاستقراء رابطة مع المشابهة [analogie] – مع فعل التخمين [deviner ، الحزْر ، التكهّن] (التنبوء علمياً) ، نسبية كل معرفة ومحتوى مطلق في كل خطوة تخطوها المعرفة إلى الأمام.

قول مقتضب : لا يمكن فهم « راس المال » لماركس وخصوصاً فصله الأول فهماً كاملاً بدون دراسة وفهم كل منطق هيغل . اذن ، ما من ماركسي فهم ماركس بعد مضي نصف قرن عليه !!

الانتقال من القياس بالمشابهة إلى قياس الضرورة – من القياس الاستقرائي إلى القياس بالمشابهة – قياس الكلي إلى الخاص ، – قياس الخاص إلى الكلي - عرض التسلسل و الانتقالات (التسلسل هو الانتقالات) ، تلك هي مهمّة هيغل . هيغل برهن فعلاً ان الأشكال والقوانين المنطقية ليست غلافاً فارغاً ، بل هي انعكاس عن العالم الموضوعي[١] ! بشكل أدق ، لم يبرهن على ذلك ، بل استشعره عبقرياً .

في الموسوعة ، هيغل يلاحظ أن تمييز الفهم [entendement] والعقل ، تمييزَ المفاهيم المناسبة لهذا وذاك ، يجب أن يُفهَم كما يلي :

« لا سيّما إمّا أن تقف فاعليتنا عند شكلٍ للمفهوم مجرّدٍ وسلبي[٢] ، أو أن تفهمه بالتوافق مع طبيعتها الحقّة على أنه في الوقت نفسه ايجابي

١. قول مقتضب .

٢. مفاهيم مجردة وعيانية .

وعياني . هكذا مثلاً إن الحرية مفهومة « على انهـا الضدّ المجرّد للضرورة ، ليست إلا مفهوماً من الفهم ؛ بالمقابل، إن مفهوم الحرية الحقيقي (مفهوم العقل) يحوي في نفسه الضرورة كمتجاوَزة » (٣٤٧ – ٣٤٨ ، المجلّد VI)[1]* .

المرجع نفسه ، ص ٣٤٩ : أرسطو وصف الأشكال المنطقية وصفاً كاملاً لدرجة انه لم يبق « في الأساس » مجالٌ لإضافة شيء .

عادةً تُعتبَر « صورُ » القياس شكليةً فارغة . « ولكن هذه الصور لها معنىً أساسي مؤسّس على الضرورة ، عـلى اضطرار كل لحظة بوصفها تعييناً للمفهوم أن تصير الكلّ والعِلّة الموسّطة (٣٥٢ ، المجلد VI) .

الموسوعة ، ص ٣٥٣ .

« المعنى الموضوعي لصور القياس هو أن كل العقلي ينكشف قياساً ثلاثياً NB، ولا سيما بحيث أن كل عضو [شطر] يحتل مكانَ طرفٍ ووسطٍ . تلك هي حال أقسام العلم الفلسفي الثلاثة: الفكرة المنطقية والطبيعة والروح هنا في البداية، الطبيعة هي الحدّ الأوسط ، الموحّد . الطبيعة ، هذه الجامعة الكلية المباشرة ، تنبسط في الحدّين الطرفين ، الفكرة المنطقية والروح[2] » .

« الطبيعة ، هذه الجامعة الكلية المباشرة ، تنبسط في فكرة منطقيـة وفي روح » . المنطق علمُ المعرفة انه نظرية المعرفـة . المعرفة انعكاس الطبيعة من قبل الانسان . ولكنها ليست انعكاساً بسيطاً ، مباشراً ، كلياً – جمْعياً ؛ هذه العملية هي سلسلة كامـلة من تجريدات ، صياغات ، تشكيلات للمفاهيم ، للقوانين ، الخ . – وهذه المفاهيم ، القوانين ، الخ (الفكر ، العلم = « الفكرة المنطقيـة ») NB تحتضن نسبياً ، تقريبياً ، القوانين الكلية للطبيعة المتحركة والمتطورة دوماً . هنا يوجد واقعياً ، موضوعياً ، ثلاثة حدود : ١ً. الطبيعة،

---

١. الحرية والضرورة .

(* هذه النصوص والنصوص التي تليها حتى نهاية الباب مأخوذة من المنطق الصغير أو منطق الموسوعة . ملاحظة منقولة عن الطبعة الفرنسية) .

٢. NB . هيغل « فقط » يؤلههذه « الفكرية المنطقية » ، القوانين ، الكلية (الشمولية).

٢ً. معرفة الانسان = دماغ الانسان (بوصفه نتاجاً أعلى لهذه الطبيعة) ؛ و٣ً. شكل انعكاس الطبيعة في المعرفة الانسانية؛ هذا الشكل هو المفاهيم ، القوانين، المقولات ، الخ . الانسانُ لا يستطيع أن يُدرِك = يَعكُس = يصوّر الطبيعة بشكل كامل ، في « جمعها الكلي المباشر » ، كل ما يستطيعه هو أن يقترب من ذلك أبدياً بخلقه مجرّدات ، مفاهيم ، قوانين ، لوحة علمية عن الكون ، الخ .

« ولكن الروح ليس روحاً إلا بوصفه موسّطاً بالطبيعة » ... « الروح هو بالضبط ما يَعرِف الفكرة المنطقية في الطبيعة وهكذا يرفع الطبيعة إلى جوهره » .. الفكرة المنطقية هي « الماهيةُ المطلقة للروح كما للطبيعة ، الكليُّ — الشمولي ، النافذُ في كل مكان » (٣٥٣ — ٣٥٤) . NB .

بخصوص المشابهة ، ملاحظة نافذة :

« إن غريزة العقل تجعلنا نستشعر إن هذا التعين أو ذاك المكتشَف تجريبياً [empiriquement] إنما هو مؤسّس على الطبيعة الداخلية أو على نوع الموضوع المعطى وهو يرتكز على هذا التعين » (المجلد VI ، ص ٣٥٩) .

ص ٣٥٨ : إن اللعب مع مشابهات فارغة هو الذي ولّد ازدراء عادلاً لفلسفة الطبيعة[١] .

في المنطق العادي ، يُميّز بصورة شكلية الفكرُ عن الموضوعية :

« الفكرُ غير معترَف به هنا إلا كفاعلية ذاتية وشكلية ؛ والموضوعيُ ، في مقابل [في معارضة] الفكر ، معتبَرٌ شيئاً ثابتاً [مستقراً] ومعطى بنفسه . ولكن هذه الثنائية ليست صحيحة ، وليس من الذكاء أن يؤخذ تعيينا الذاتي والموضوعي بدون تحليل ، بدون تساؤل عن أصلها » (٣٥٩ — ٣٦٠) ... بالواقع ، الذاتيُّ ليس سوى مرحلة للتطور [للانبساط] انطلاقاً من الوجود والجوهر ، - ثم ، إن هذه الذاتية « تكسر جدلياً حدّها » و « بالقياس تنبسط — تنتشر في موضوعية » (٣٦٠) .

---

١. ضد نفسه .

عميق جداً وذكي جداً! إن قوانين المنطق هي انعكاس الموضوعي في الوعي الذاتي للانسان

« المفهوم المحقق واقعاً [réalisé] » هو الموضوع .

هذا الانتقال للذات ، للمفهوم ، إلى الموضوع ، يبدو « غريباً » (٣٦٠) ، ولكن بالموضوع يجب أن لا نفهم ببساطة الوجود [être]، بل العياني « المحدود في نفسه ، التامّ ، المستقل » (٣٦١) ...

« الكون هو وجودُ الفكرة الآخرُ » .

الذاتيةُ (أو المفهوم) والموضوعُ هما واحدٌ و غير واحد (٣٦٢)[1]

« إنه لمن الفاسد أن يُنظَر إلى الذاتي والموضوعي كتعارض صلب ومجرّد . الاثنان ديالكتيان » (٣٦٧) .

---

١. حماقات عن الدليل الانتولوجي (الكينوني)* ، والله !

(أول البراهين الفلسفية على وجود الله وفحواه : الكائن الكامل موجود حتماً لأن الوجود كمال (جزء من الكمال) . من المفهوم (مفهوم الوجود الكامـــل) إلى وجود الوجود الكامل . القديس آنسلم ، ديكارت ، لايبنتس الخ أيدوا هذا الدليل) .

الباب الثاني : الموضوعية

(المنطق) ، V ، ١٧٨ : *

معنى مزدوج للموضوعية : «الموضوعية ايضاً تظهر بمدلول مزدوج : معارضة المفهوم الباقي بذاته ، – وايضاً وجود في وللذات » (١٧٨) ... [١] .

... « يوضَع ان معرفة الحقيقة هيمعرفة الموضوع محرراً من خليط التفكير الذاتي » (١٧٨) ... [٢]

تتبع محاكاتٌ عن « الآليــــة » [« mécanisme » ، « الميكانيكية »] عويصة تماماً وحمقاء بشكل كامل تقريباً . كذلك ، عن « الكيميائية » ، مرحلة « الحكم » ، الخ .

(١٩٨ – ١٩٩)

الفقرة المعنَونة « القانون » لا تعطي ما كان يمكن ان نتوقــع من هيغل عن مسألة بهذه الفائدة . من الغريب انه ينسب « القانون » الى « الشيطانية » ؟

إن مفهوم القانون مقرّب هنا من مفاهيم « النظام » ، و « وحدة النمط » ، « الضرورة » ، « نفس » [روح] الجمع – الكلي الموضوعي ؛ « مبدأ الحركة الداخلية »

(* هنا يعود لينين الى كتاب « المنطق الكبير » (وهو المجلدات ٣ ، ٤ ، ٥ ، في المؤلفات الكاملة) . – نقلاً عن الطبعة الفرنسية) .

١. موضوعية .

٢. معرفة الموضوع .

وهذا كله في هذه الفكرة القائلة أن الآلية هي الوجـود الآخر للروح ، للمفهوم ، الخ ، للنفس ، للفردية ... لعبة مشابهات فارغة . وضوحاً !

نسجل أننا في الصفحة ٢١٠ نجد مفهوم « الضرورة الطبيعية » — « الاثنتان ، الآلية [الميكانيكية] والكيميائية ، تغطيها الضرورة الطبيعية » ، لأننا

هنا نرى « غرَق [انهيار ، امتصاص] المفهوم في الخارجية » (الموضع نفسه) [١].

« لقد ذكرنا سابقاً ان تعارض التيليولوجيا [الغائية] والميكانيكية [الآلية] هو أولاً بأول التعارض الأعمّ بين الحرية والضرورة [٢] . كنط عرض التعارض تحت هذا الشكل في ثنائيات العقل التناقضية ، على أنه الثنائية التناقضية الثالثة للأفكار العليا — الخارقة » (٢١٣) . وهيغل ، اذ يلخص بإيجاز حجج كنط ، الاطروحة والاطروحة المضادة ، يسجل فراغ هذه الحجج ويبين إلى ماذا تنتهي محاكمة كنط [٣] :

« إن الحل الكنطي لهـذه الثنائية التناقضية الخاصة ليس شيئاً آخر سوى الحل العام ؛ قوامه بشكل خاص تأكيدُ أن العقل لا يستطيع ان يبرهن لا الاطروحة ولا الاطروحة المضادة ، لأن قوانينَ الطبيعة التجريبيةَ المحضةَ لا تقدّم لنا اي مبدأ مقرّر بصورة قبْلِيّة عن إمكان الأشياء ؛ — اذن أنّ الاثنتين يجب ان تؤخذا كحكمتين ذاتيتين لا كقضيتين موضوعيتين ؛ أن عليّ من جهة أن أفكّر دائماً في كل الحوادث الطبيعية حسب مبدأ الآلية الطبيعية ، ولكن ذلك لا يمنع بالمناسبة مناقشة بعض الأشكال الطبيعية حسب حكمة أخرى ، لا سيا حسب مبدأ الأسباب الغائية [٤] ؛ — وكأن هاتين الحكمتين ، اللتين ، على أي حال ، لم تعتبرا ضروريتين الا للعقل البشري ، ليستا مستحيلتَي التوفيق

---

١. « الطبيعة - انهيار المفهوم في الخارجية » (ها - ها !) .
٢. الحرية والضرورة .
٣. هيغل ضد كنط (الحرية والضرورة) .
٤. جيد !

مثل قضيتي البداية . – كما سبق ان قلنا ، من وجهة نظر كهذه لا تُدْرَس إطلاقاً المسألةُ الوحيدة ذات الفائدة الفلسفية ، نقصد أيٌّ واحد من هذين المبدأين صحيح في ولذاته ؛ من وجهة نظر كهذه ، سيّان ان نعلم ما اذا كان يجب اعتبار هذين المبدأين موضوعيين ، الأمر الذي يعني هنا تعيينيْن للطبيعة موجودين خارجياً ، ام محضَ حكمتين لمعرفة ذاتية ؛ – كل هذه المعرفة هي بحقيقة الكلام ذاتية ، اي عرَضية ، لأنها تلجأ حسب المناسبة ، لهذه الحكمة او تلك ، بموجب ما تعتقده صالحاً ، دون ان تتساءل من جهة اخرى عن حقيقة هذه التعيينات نفسها، سيان ان تكون تعيينات المواضيع أو المعرفة »(٢١٦) .

هيغل

« الغائية انكشفت على أنها الحد الثالث بعد الآلية والكيميائية ؛ انها حقيقتها . بما أنها لا تزال داخل دائرة موضوعية أو مباشرية المفهوم الكلي الجمعي ، فانها ليست بعدُ معتلّة بالخارجية (٢١٦ – ٢١٧) كخارجية ، وهي تقابل – تعارض العالم الموضوعي الذي اليه تنسب . تحت هذه الزاوية ، السببية الآلية (بما فيها أيضاً الكيميائية مأخوذة بوجه عام) ما تزال تظهر في علاقة الغائية هذه التي هي خارجية ، ولكن متجاوزَة « في ولذاتها » (٢١٧)

.... « نفهم هكذا طبيعة خضوع

الديالكتيك المادّي

إن قوانينَ العالمِ الخارجي ، قوانينَ الطبيعةِ ، المقسومة الى آلية وكيميائية (هذا هام جداً) ، هي أسسُ الفاعلية الانسانية المتفقة مع هدف .

الانسان في فاعليته العملية يواجه العالم الموضوعي؛ انه تابع له وبواسطته يعيّن فاعليته الخاصة ذاتها .

تحت هذه الزاوية ، من وجهة نظر فاعلية الانسان العملية (التي تضع لنفسها هدفاً) ، إن السببية الآلية والكيميائية للعالم تظهران شيئاً خارجياً ، ثانوياً ، محجوباً .

شكلان للعملية الموضوعية : الطبيعة (الميكانيكية والكيميائية)

شكلي العملية* الموضوعية السابقين ؛ هذا الآخر الذي كان بالنسبة لها تقدماً غير محدود هو المفهوم الموضوع أولاً كخارجي والذي هو غاية ؛ المفهوم ليس فقط ماهيتها، بل أيضاً الخارجية هي لحظتها الجوهرية التي تؤلف تعيينها. التقنية الآلية او الكيميائية، بحكم طبيعتها ذاتها التي تجعلها معينة من الخارج، تخضع تلقائياً لعلامة الغائية التي يجب الآن ان يُنظر اليها عن قرب اكثر » (٢١٧) .

وفاعلية الانسان التي تعطي نفسها هدفاً . علاقة هذين الشكلين . أهداف الانسان تبدو بادىء بدء غريبة (« أخرى ») بالنسبة للطبيعة . وعي الانسان ، العلم (« المفهوم ») يعكس جوهر ، ماهية الطبيعة ، ولكن في الوقت نفسه هذا الوعي خارجي بالنسبة للطبيعة (لا يتطابق معها من الضربة الأولى وببساطة) .

التقنية الآلية والكيميائية تخدم أهداف الانسان بالضبط لأن طابعها (طبيعتها) يكمن في تعيينها من قبل الشروط الخارجية (قوانين الطبيعة) .

« التقنية والعالم الموضوعي . التقنية والأهداف . »

.. « الغاية أمامها عالم موضوعي ما ، ميكانيكي وكيميائي ، اليه تنتسب فاعليتها كما الى المعطى » . « لذلك لها أيضاً وجود خارجي حقيقة عن العالم، بالضبط من حيث إن هذه الموضوعية تعارضها » ... (٢٢٠) .

بالحقيقة ، الأهداف الانسانية ينتجها العالم الموضوعي وهي تفترضه ، — تجده كمعطى ، كحاضر [كائن] . ولكن يبدو للانسان أن أهدافه مأخوذة خارج العالم، مستقلة عن العالم (« حرّية »)

NB : هذا كله في الفقرة عن « الغاية الذاتية » .

NB (٢١٧ — ٢٢١) .

« الغاية » ، بالوسيلة ، تتحد مع الموضوعية . وفي هذه الأخيرة مع نفسها » (٢٢١ ، الفقرة : « الوسيلة ») .

(*) processus - بين تطور وبين تحول)

« بما أنّ الغايةَ [fin] محدودة [finic] ، لذا لها محتوى محدود ؛ بهذا الواقع ليست شيئاً ما مطلقاً أو عقلياً في ولذاته . ولكن الواسطة [الوسيلة] هي الحد الأوسط الخارجي للقياس الذي هو تحقيق [إنجاز] الغاية ؛ في هـذا القياس يتجلّى اذن فيهـا العقلي الذي هو البقاء.[العيش] في هـذا الخارجي الآخر وبالضبط بهذه الخارجية [1] .. بوصفها كذلك ، الوسيلةُ أعلى من الغايات المحدودة للغائية الخارجية ؛ المحراث له من الكرامة اكثر مما للاشباعات المباشرة التي يحضّرها والتي هي الغايات . الأداة''تحفظ ، بينما الاشباعاتُ المباشرة تمضي وتُنسى . في أدواته ، الانسان يملك السلطة على الطبيعة الخارجية بينما في أهدافه هو بالأحرى خاضع لها » (٢٢٦) [2] .

مقدّمة الكتاب مؤرّخة نورنبرغ ٢١ / ٧ / ١٨١٦ .

هذا في الفقرة « الغاية المحققة » .

المادية التاريخية من حيث هي أحد تطبيقات وإنماءات الأفكار العبقرية — الموجودة في شكل بذرة عند هيغل .

« العمليةُ التيليولوجية [الغائية] هي ترجمةٌ في موضوعية المفهوم (كذا !) لما هو موجود على نحو متميّز كمفهوم » (٢٢٧) .

حين يحاول هيغل — بل أحيانـــاً يكدّ ويلهث — أن يُخضِع الفاعليةَ الانسانية المنسّقة في اتجـاه هدفٍ للمقولات المنطقية بقوله إن هذه الفاعلية هي « قياس » [3] ، إن الذات (الانسـان) تلعب دور لا أعلم أيّ حدّ في « صورة » القياس المنطقية ، الخ — فان هذا ليس لعبةً فارغة فقط . ثمة هنا محتوى عميقٌ جداً وماديٌ بشكل خالص . يجب ان نقلب : إن فاعلية الانسان العمَلية كان عليهـــا أن تقود الوعيَ البشري الى إن يكرّر مليارات المرّات شتّى الصور المنطقية ، لكي تستطيع هذه الصور ان تكتسب معنى بديهيات . هـذا لاحظ جيداً . NB .

---

١. بذور المادية التاريخية عند هيغل .

٢. هيغل والمادية التاريخية .

٣. NB . المقولات المنطقية والممارسة الانسانية .

« إن حركة الغايـة وصلت الآن إلى وضع الخارجية ليس فقط في المفهوم ، ـ الغاية لم تعد فقط وجوب وجود وإرادة ، بل هي أيضاً ، بوصفها جامعة ـ كلية عيانية ، مماثلة للموضوعية المباشرة » (٢٣٥) . NB . في نهاية الفقرة عن « الغاية المحققة » ، نهاية الباب الثاني « الموضوعية » انتقال الى الباب الثالث : « الفكرة » NB .

هذا أمر مرموق : الى الفكرة بوصفها وحدة المفهوم والموضوع، الى الفكرة بوصفها حقيقة ، يصل هيغل بواسطة [par·] الفاعلية العملية ، المتوجهة نحو هدف، للانسان . هذا قريب جداً من الفكرة القائلة ان الانسان يدلـل بالممارسة على الصواب الموضوعي لافكاره ، مفاهيمه ، معارفه ، علمه [1] .

١ . من المفهوم الذاتي والهدف الذاتي الى الحقيقة الموضوعية .

الباب الثالث : الفكرة

بداية الباب الثالث : الفكرة

« الفكرة هي المفهومُ المطابق [التام] ، الحق الموضوعي ؛ بتعبير آخر ، الحق من حيث هو حق » (٢٣٦) .

هذا المدخل الى الباب ٣ (الفكرة) من الجزء الثاني من المنطق (« المنطق الذاتي » (المجلد V ، ٢٣٦ – ٢٤٣) والفقرات الموازية له في الموسوعة (الفقرات ٢١٣ – ٢١٥) NB هي بالتأكيد أفضل عرض للديالكتيك . هنا أيضاً وحدةُ المنطقِ ونظريةِ المعرفة مبيّنة بشكل عبقري .

إن كلمة « فكرة » تُستخدَم أيضاً بمعنى تمثيل بسيط كنط :

« كنط أعطى من جديد معنى مفهوم عقلي إلى كلمة « فكرة[1] » – المفهوم العقلي يجب ، حسب كنط ، أن يكون مفهوم اللامشروط ، ويجب أن يكون عالياً – خارقاً بالنسبة للظاهرة ، أي ان هذا المفهوم العقلي لا يمكن أن يكون له أي استعمال تجريبي (٢٢٥) »[2] . حسب كنط ، هذه المفاهيم يجب أن تخدم في التصوّر المفهومي (begreifen , [concevoir]) ومفاهيم الفهم

١. هيغل ضد كنط .

٢. ضد فكرة العالي – الخارق ، مأخوذة كانفصال الحق (الحقيقي) والتجريبي (empirique).

[entendement] يجب أن تخدم في فهم (verstehen ، [comprendre])
الإدراكات . ولكن بالواقع ، إذا كانت هذه الأخيرة هي فعلاً مفاهيم ، عندئذ
هي مفاهيم وهي تخدم في التصوّر المفهومي (begreifen) ، ... »[1] :
أنظر أيضاً في مكان لاحق عن كنط

« كذلك من الخطأ اعتبار الفكرة شيئاً « غير واقعي » - كما حين نقول :
هذا ليس سوى فكرة » (٢٣٧) .

« إذا كانت الفكر شيئاً ذاتياً وعرَضياً ، عندئذ بالطبع لا يبقى لها
قيمة ، ولكن ذلك لا يجعلها أدنى من الواقعات الوقتية والموقتة التي عندئذ هي
أيضاً لا يكون لها من قيمة سوى قيمة صدَف وظاهرات[2] . من جهة أخرى ،
وبالعكس ، إذا كان لا يجب أن نعتبر الفكرة حقيقية لأنها عالية - خارقة
للظاهرات ، لأن ليس لها شيء يقابلها في العالم المحسوس ، فإنه التباس مثير
للفضول أن ننفي قيمتها الموضوعية بحجة أن ليس لها ما يكوّن الظاهرة ،
الوجود - غير الحق للعالم الموضوعي (٢٣٨) » . حين تكون المسألة هي
مسألة أفكار عمَلية ، فإن كنط نفسه يعتبر أمراً مبتذلاً إقامة التجربة ضد
الأفكار ؛ إذ يقدّم الأفكار كحد أقصى يجب الاتجاه نحوه بغية تكييف الواقع
معه . ويتابع هيغل :

« ولكن بما أننا حصلنا على هذه النتيجة وهي ان الفكرة هي وحدة المفهوم
والموضوعي ، هي الحقيقي ، - فاننا لا نستطيع ان نعتبرها فقط غاية [نهاية]
علينا ان نقترب منها ، ولكنها تبقي دائماً نوعاً من ما - بعد [ما - وراء] ، -
بالعكس يجب ان نعترف بأن كل واقع ليس كائناً الا من حيث عنده في نفسه
الفكرة ويعبّر عنها (٢٣٨) »[3] . الموضوع ، العالم الموضوعي والذاتي ، ليس
فقط يجب ان يتطابق تماماً مع الفكرة ، بل هو نفسه وحدة المفهوم والواقع ؛

---

١. جيد جداً ؛
٢. جيد جداً .
٣. هيغل ضد الـ « ماوراء » الكنطي .

الواقع الذي لا يتوافق مـــع الموضوع ليس سوى ظاهرة ، ليس سوى الذاتي ، المرَضي ، المُسفي ، ما ليس حقيقة »[1] .

[نص هيغل]

... « الفكرة هـــي اولاً بأول الحقيقةُ البسيطة ، وحدةُ هويـــة المفهوم والموضوعية بوصفهـا كلية » (٢٤٢)

... « في المقام الثاني ، هي علاقةُ ذاتيةِ المفهوم البسيط لذاتها وموضوعيتهِ المميّزة عنه ؛ ذاتيّته هي جوهريـــاً الاتجاه الى تجاوز هذا الانفصال »...

... «بوصفها هذه العلاقة ، الفكرة هي السير التطوري المتّجه نحو ان يتمايز في الفرديـــة وفي طبيعته غير العضوية ، — ان يُخضع مجدداً هـــذه الأخـــيرة لسلطة الذات وان يعود إلى الكلية الأولى والبسيطة . إن تماثـــل الفكرة مع نفسها شيء واحـــد وهذا السير التطوري ؛ فالفكـــر الذي يحرّر الراهنَ من مظهر التنوع غـــير الهادف ويغيره بالفكرة ، يجب ان يمثّل حقيقةَ الراهن هذه لا كـــسكون ميت ، كصورة محض ، باهتة ، بـــلا دفع ولا حركة ، — لا كعفريت ، أو

[تعليق لينين]

الفكرة (اقرأ : المعرفة الانسانية) هي وحدة (توافق) المفهوم والموضوعية (« الكلي ») . هذا في المقام الأول .

في المقـــام الثاني ، الفكرة هي علاقةُ الذاتيةِ لذاتها (= المستقلة إن صح القول) (= ذاتية الانسان) والموضوعيةِ المميّزة (عن هـــذه الفكرة) .

الذاتيةُ هي الاتجاه إلى إلغاء هذا الانفصال (— بين الفكرة والموضوع).

المعرفة هي سير عملية اغراق الذكاء [الفهم] في الطبيعة غـــير العضوية ، بغية إخضاعها لسلطة الذات والوصول إلى مفاهيم عامـــة (معرفة القوانين في الظاهرات) ... إن توافق الفكر هو سير تطوري . الفكرُ (= الانسان) يجب ان لا يمثّل الحقيقة في شكل سكون ميت . — في شكل محض لوحة (صورة) شاحبة (باهتة) بلا دفع ، بلا حركة — كعفريت ، عدد ، فكر مجرّد .

---

١. إن توافق المفاهيم مع الاشياء ليس ذاتياً .

عدد ، أو فكر مجرّد ؛ إن الفكرة ، بموجب الحرية التي يبلغها فيها المفهوم ، تحوي في نفسها ايضاً التعارض الأشدّ عناداً مع نفسها ؛ صفاؤها قوامه الأمان والاطمئنان اللذان بهما تُنتج وتتجاوز أبدياً هذا التعارضَ وتتّحد فيه مع نفسها .. »

الفكرة تملك في نفسها أعنف تعارض ؛ الراحة (بالنسبة لفكر الانسان) قوامها الأمانة والقوة اللتان بهما يخلق أبدياً (هذا التعارضَ بين الفكر والموضوع) ويتجاوزه أبدياً ...

المعرفةُ هي السير التطوري [العملية ، سير النمو والانبساط processus] الذي به يقترب الفكر إلى ما لا نهاية وأبدياً من الموضوع . **إن انعكاس** الطبيعه في الفكر الانساني يجب أن يُفهَم لا بطريقة « ميتة » ، لا « تجريدياً » ، **لا بدون حركة ، لا بدون تناقضات ، بل في السير الأبدي للحركة** ، في السير الأبدي لولادة التناقضات وحلّها . NB .

« الفكرة هي ... فكرة الحق والصالح ، كمعرفة وإرادة ... إن سير عملية هذه المعرفة المحدودة و (NB) الفعل [العمل] (NB) يحوّل الكلية التي هي في البدء مجرّدة الى جامعة كلية ، وبذلك تصير موضوعية كاملة . »
انظر الموسوعة ، الفقرة ٢١٣ ، ص ٣٨٥ .

... « الفكرة هي الحقيقة ؛ لأن الحقيقة هي توافق الموضوعية والمفهوم ...

الفكرة هي معرفة وإرادة (رغبة) الانسان ... إن سير عملية المعرفة (العابرة ، ذات النهاية ، المحدودة) ، والفعل [العمل] يحوّل المفاهيم المجرّدة الى موضوعية ناجزة [مكتمَلة] .
الموجودُ المعزول (الموضوع ، الظاهرة الخ) ليس إلا واحداً من وجود الفكرة (من وجوه الحقيقة) . الحقيقة تبقى بحاجة إلى وجوه أخرى من الواقع ،

ولكن ايضاً كل الراهن بما أنه حقيقي هو فكرة . . الموجود المفرَد هو فقط أحدَ وجوه الفكرة ؛ انها اذن بحاجة الى راهنات أخرى هي أيضاً تظهر باقية لذاتها ؛ فقط في جملتها وفي علاقتهـــا يتحقق المفهوم واقعاً [se réalise]. المفردُ مأخوذاً لنفسه لا يتوافق مـع مفهومه؛ هذا التحديد [limitation] لوجوده المعيّن يؤلف محدوديته وهـو شرط زواله » . . .	هي أيضاً تبدو مستقلة ومعزولة (باقية بشكل منفصـــل لنفـسها). فقط في جملتها وفي علاقتها تتحقق الحقيقة .

جملة [مجموع] كل وجوه الظاهرة ، كل وجوه الواقعي ، وعلاقاتها المتبادلة — هذا ما تتألف منه الحقيقة . علاقــات (= انتقالات = تناقضات) المفاهيم = المحتوى الرئيسي للمنطق ، ومفاهيمه (وعلاقاتها ، انتقالاتها وتناقضاتها) مبيّنة كانعكاسات للعالم الموضوعي . ديالكتيك **الأشياء** ينتـــج ديالكتيك **الأفكار** ، وليس بالعكس [1] .

هذا المبدأ المقتضب يجب التعبير عنه بصورة أكثر شعبيــة ، بدون استعمال كلمة « ديالكتيك » : مثلاً هكذا : في التغيّـرِ ، العلاقةِ المتبادلة لكل المفاهيم ، في تماثل هوية تناقضاتها ، في الانتقالات من مفهوم الى آخر ، في المضي الأبدي من واحد إلى آخر ، في حركة المفاهيم ، استشعر هيغل بشكل عبقري علاقة للأشياء ، للطبيعة ، موافقة [مطابقة ، موازية] [2] .

---

١. هيغل استشعر بعبقرية ديالكتيك الأشياء (الظاهرات، الكون ، الطبيعة) في ديالكتيك المفاهيم .

٢. خصوصاً استشعر ، ليس أكثر .

علاقة متبادلة للمفاهيم = NB

« لكل الـ » كل مفهوم هو في علاقة ما ،

بلا استثناء في رابطة ما مع كل المفاهيم الأخرى .

انتقال المفاهيم من واحد إلى آخر

« كلها » بلا استثناء [1] .

نسبية تناقض المفاهيم ...

تماثل هوية تناقضات المفاهيم ...

(الفقرة ٢١٣) (ص ٣٨٦) « بكلمة « الحقيقة » يُقصَد أولاً واقعُ أن نعلم كيف شيءٌ ما هوَ . ولكن هـــذه حقيقي فقط بالنسْبة إلى الوعي ، أو الحقيقة الشكلية ، فقط الصواب (Richtigkeit) . ولكن الحقيقة بمعنى أعمق تكمن في أن الموضوعية متماثلة مع المفهوم » . .

« إن رجلاً شريراً هو رجل باطل ، أي رجل لا يتصرّف بموجب مفهومه أو مآله. ولكن ما من شيء يمكن أن يوجد تماماً بدون تماثل المفهوم والواقع . حتى الشرير والباطل ليسا إلا من حيث أن واقعها يتصرّف إلى حد ما حسب مفهومه » ...

... « كل ما يستحقّ اسم فلسفة قد وَضع دائماً كأساسه وعيَ وحدة مطلقة لما لا يتعرف عليه الفهم إلا في انفصاله » ...

« إن درجتي الوجود والجوهر وكذلـــك درجتَي المفهوم والموضوعية المعتبَرَتين الى هنا ليستا في هذا التمييز شيئاً جامداً ومستقراً ، بـل تنكشفان كديالكتيتين وحقيقتها ليست إلا في كونها لحظتَيْ الفكرة . »

(المجلد VI ، ص ٣٨٨) .

لحظاتُ معرفةِ (= « الفكرةِ ») الطبيعة من قبل الانسان ،

تلك هي المقولاتُ المنطقية .

المجلد VI ، ص ٣٨٨ (الفقرة ٢١٤) * :

---

١. ما هو قوام الديالكتيك ؟

(* نصوص من المنطق الصغير . ملاحظة المترجم الفرنسي) .

« الفكرة يمكن أن تتصور كالعقل (هي المدلول الفلسفي الحقيقي للعقل)، ثم كذات – موضوع ، كوحدة الواقعي والمثالي ، المحدود واللامحدود ، النفس والجسد ؛ كالممكن الذي يحوي في ذاته واقعه ؛ كالذي لا يمكن تصور طبيعته إلا كموجودة[existante]،الخ– كل هذه العبارات مشروعة لأن الفكرة تحوي كل علاقات الفهم، ولكن في عودتها اللامحدودة وفي تماثل هويتها[١] » . « من السهل للفهم تبيان أن كل ما يقال عن الفكرة متناقض. غير أنه يمكن أن يُرَدّ عليه بالمثل، أو بالأحرى إن الفكرة ذاتها تردّ سلفاً بالمثل على الفهم؛ – ذلك عمل للعقل، ليس، يقيناً ، بسهولة عمل الفهم . – إذا كان الفهم يبيّن أن الفكرة تناقض نفسها بنفسها مثلاً لأنّ الذاتي ليس إلا ذاتياً والموضوعيَ معارضٌ له ؛ لأن الوجود هو شيء آخر غير المفهوم وبالتالي لا يمكن أن يُشتَقّ منه ؛ لأن المحدود ليس إلاّ محدوداً وهو بالضبط عكس اللامحدود ، إذن لا يمكن أن يكون متماثلاً معه ، وهكذا دواليك مع كل التعيينات ، – فإن المنطق يدلّل بالعكس على الأطروحة المعارضة ،ولا سيما ان الذاتي الذي ليس إلا ذاتياً، المحدودَ الذي ليس الا محدوداً ،اللامحدود المعتبر لا محدوداً وحسْب الخ، ليس لها حقيقة ، وهي تناقض نفسها وتمضي في عكسها ؛ هكذا إن هذا الانتقال في الوحدة حيث الطرفان هما من حيث هما متجاوَزان، من حيث هما بعضُ ظاهرٍ أو هما لحظتان، ينكشف عن كونه حقيقةَ هذين الطرفين» (٣٨٨).

« حين يندار الفهم نحو الفكرة ، يكون ضحية التباس مزدوج . أولاً ، بأخذ الحدّين المتطرّفين للفكرة – طريقةُ التعبير عنها ليست ذات شأن – حين يُعتبران في وحدتها، كتجريدين ما يزالان مقيمين خارج وحدتها العيانية[٢] الفهم ينكر أيضاً علاقة الحدّين حين توضع بشكل صريح ؛ هكذا مثلاً يهمل حتى طبيعة الرابطة [copule] في الحكم ، التي تشير إلى أن المفرد ، الذات ، هو أيضاً غيرُ – المفرد و الكليُّ – الشمولي (٣٨٩)[٣] . – في المقام الثاني، الفهمُ

١. (الفكرة) الحقيقة الكلية .

٢. المجردات و « الوحدة العيانية للأضداد » .

٣. مثال جميل جداً : الأبسط والأوضح ، دياليكتيك المفاهيم وجذوره المادية .

يعتبر تفكيره الذي بموجبه تحوي الفكرة المتماثلة مع نفسها سلبيتها الخاص ، تناقضها ، يعتبره تفكيراً خارجياً ليس جزءاً من الفكرة نفسها. ولكن بالواقع تلك ليست مسيرة للفهم ، إنها **الفكرة نفسها التي هي الديالكتيك**[1] ، تفصل أبدياً وتميز المتماثل عن المختلف ، الذاتي عن الموضوعي ، المحدود عن اللامحدود ، النفس عن الجسد – وهكذا فقط الفكرة هي **خلق أبدي ، حياة أبدية ، وروح أبدية** » ..[2]

VI ، الفقرة ٢١٥ ، ص ٣٩٠ :

« الفكرة هي جوهرياً **سير تطوري** ، لأن هويتها ليست هوية المفهوم المطلقة والحرة إلا من حيث هي السلبية المطلقة ، أي الديالكتية »[3] .

لذلك ، إن عبارة « وحدة » الوجود والفكر ، المحدود واللامحدود ، الخ ، **غير صحيحة** ، لأنها تعبّر عن « هوية تبقى في سكون » . ليس صحيحاً ان المحدود يحيّد وحسْب اللامحدودَ والعكس بالعكس. بالواقع هناك **سير تطوري**[4]

إذا حسَبْنا ... في كل ثانية يموت على الأرض أكثر من عشرة رجال وعددٌ كبير أيضاً قد وُلد . « حركة » و « لحظة » : اقبضْ عليها . في كل لحظة معطاة ... اقبض على هذه اللحظة . كذلك في الحركة الميكانيكية البسيطة (ضد تشرنوف) .

« الفكرة بوصفها سيراً تـ- ربما تجتاز ثلاث درجات في نموّها الشكل الأول للفكرة هو الحياة .. الثاني ...هو ... الفكرة بوصفها معرفة تظهر في الشكل الذي فكّ ازدواجه إلى **فكرة نظرية و عملية** . إن عملية المعرفة لها كنتيجة إعادة الوحدة التي اغتنت بالاختلاف وهذا يعطي الشكل الثالث ، شكل **الفكرة المطلقة** » ... (٣٩١) .

---

١ . الديالكتيك ليس في الفهم الانساني ، بل في « الفكرة » ، أي في الواقع الموضوعي .
٢ . « الحياة الأبدية » = الديالكتيك .
٣ . الفكرة سير تطوري .
٤ . هذا لاحظ جيداً .

الفكرة هي الـ « حقيقة » (الفقرة ٢١٣) . الفكرة، أي الحقيقة بوصفها عملية تطورية — لأن الفكرة هي عملية تطورية — ، تجتاز في نموها [تطورها، انبساطها] ثلاث درجات : ١) الحياة ؛ ٢) عملية المعرفة التي تتضمّن ممارسة الانسان و التقنية (أنظر أعلاه) — ٣) درجة الفكرة المطلقة (أي الحقيقة الكاملة) [1] .

الحيـــاة تولّد الدماغ . في دماغ الانسان ، تنعكس الطبيعة . الانسان باختباره وتطبيقه في الممارسة وفي التقنية صواب هذه الانعكاسات ، يصــل إلى الحقيقة الموضوعية .

١. الحقيقة عملية تطورية . من الفكرة الذاتيـــة يذهب الانسان الى الحقيقـــة الموضوعية بالـ « ممارسة » (والتقنية) .

الباب الثالث : الفكرة

الفصل الأول : الحياة

« حسب الأفكار العادية الدارجة عن المنطق » (٢٤٤) لا مكان فيه لمسألة الحياة. ولكنْ إذا كان موضوع المنطق هو الحقيقة ، « والحقيقه كحقيقة هي جوهرياً في المعرفة ، عندئذٍ تجب معالجة المعرفة» – بالارتباط مع المعرفة يجب التحدّث عن الحياة (٢٥٤).

أحياناً ، بعد « المنطق الخالص » المزعوم ، يوضع ايضاً المنطق « المطبق » ، ولكن عندئذٍ ...

« يكون من الواجب ان نضع كل علم في المنطق ، لأن كل علم هو المنطق المطبّق [1] بالقدر الذي فيه يدرك موضوعه في شكل الفكر والمفهوم »(٢٤٤).

إن فكرة تضمين الحياة في المنطق مفهومة – وعبقرية ؛ – من وجهة نظر سير عملية انعكاس العالم الموضوعي في الوعي الإنساني (أولاً الفردي) والتحقق من هذا الوعي (الانعكاس) بالممارسة ، أنظر :

الموسوعة ، الفقرة ٢١٦ : إن الأعضاء الخاصة في الجسد ليست ما هي إلا في ترابطها . إن يداً مفصولة عن الجسد ليست يداً إلا بالاسم (أرسطو) .

---

١. كل علم هو منطق مطبق .

.. « الحكم الأصلي للحياة هو إذن في أنها تنفصل عـــن الموضوعي بوصفها ذاتاً فردية » (٢٤٣) ...[1] .

إذا اعتبرنا علاقـة الذات مع الموضوع في المنطق ، يجب ان نحسب حساب المقدمات العامة لوجود الذات العيانية (= حياة الانسان) في البنية الموضوعية[2]

تقسيمات تحتية :

١) « الجامعة – الكلية الذاتية » و« الموضوعية اللامبالية » ؛

٢) وحدة الذات مع الموضوع .

١) الحياة من حيث « هي فردٌ حيّ » (الفقرة آ) .

٢) « سير عملية الحياة » .

٣) « سير عملية النوع » ، إنجاب [إعادة إنتاج] الانسان وانتقال إلى المعرفة .

. « موضوعيةُ الحيّ هذه هي عضوية ؛ انها وسيلة و اداة الغاية » (٢٥١) .

في مكان لاحـــق ، يُنزل هيغل تحت مقولات منطقية « قابلية الحسّ » و « قابلية الاستثارة » – كما الخاصُ مميَّزٌ عن العـام !!؟ – و « الإنجاب » : تلك لعبةٌ فارغة . هيغل ينسى الخط العقدي ؛ الانتقال إلى صعيد [مستوى] آخر من الظاهرات الطبيعية .

الخ. الألم « وجود – معيَّن واقعي » للتناقض في الفرد الحي !!! [3] .

---

١. الحياة = الذات الفردية تنفصل عن الموضوعي :

٢. اقلب = مادية خالصة . ممتــاز ، عميق ، صحيح !! و NB أيضاً NB : يبرهن على الصواب الأقصى لكلمات « في الذات » و « للذات » !!! الموسوعة ، فقرة ٢١٩ : « الطبيعة غير العضوية المخضعة من قبل الحي تتحمل هزيمتها لأنها في الذات ما الحياة هي للذات » .

٣. هيغل واللعب بـ« المفاهيم العضوية » .

أو أيضاً إنجاب الإنسان هو « هويتها المتماثلة المحققة واقعياً » (هوية [تماثل] فردَي الجنس المختلف) – « الوحدة السلبية للنوع الذي ينعكس في ذاته بخروجه من انفصاله » (٢٦١) .. [1] .

---

١. المثير للضحك عند هيغل . لعب بالمضوية .
(في تاريخ الفلسفة : بعـــد هيمنة الرياضيات والميكانيك (ديكارت ، سبينوزا ...)، -ـاط العلم الجديد : البيولوجيا (وهيغل متأثر به) – ملاحظة من المترجم العربي) .

الباب الثالث : الفكرة

الفصل الثاني : فكرة المعرفة

(ص ٢٦٢ – ٣٢٧)

... « إن واقع المفهوم بوجه عام هو شكل وجوده – المعيّن ؛ المسألة هي تعيين هذا الشكل ؛ عليه مؤسس تميز ما المفهوم هو في نفسه أو كذاتي عن ما هو كمُنْغَمِر في الموضوعية ثم في فكرة الحياة » (٢٦٣)[١] .

. « الروح ليس فقط أغنى من الطبيعة بشكل غير محدود ، بل ... أيضاً الوحدة المطلقة للتناقضات في المفهوم تؤلّف جوهرها » (٢٦٤)[٢] ...

هيغل ضد كنط :

عند كنط ، الأنا يظهر كـ « ذات للفكر عليا – خارقة » (٢٦٤)[٣] ؛ « وحسب كنط نفسه هذا الأنا له هذا العسْر وهو أنه في أيّ حكم عنه علينا ان نستخدمه باستمرار » ...

ص ٢٦٥

---

١. الوعي الذاتي وانغماره في الموضوعية .

٢. صوفية !

٣. أي انه عند كنط شكل فارغ (« يمعن ذاته ») بدون تحليل عياني لسير عملية المعرفة .

«في نقده لهذه التعيينات (المقصود : التعيينات الأحادية الجانب المجرّدة لميتافيزياء النفس ، الميتافيزياء الشكلية ، قبل الكنطية) ، سار كنط بكل بساطة على طريقة هيوم الريبية ؛ بصورة خاصة ، أبقى الأنا كما يظهر في الوعي ، ولكن طارداً منه كل عنصر تجريبي ، لأن فقط جوهره ، الشيء في ذاته ، هو ما يجب أن يُعرَف ؛ وهكذا لم يكن يبقى شيء سوى هذه الظاهرة ، ظاهرة الـ « أنا أفكّر »[1] التي ترافق كل التمثيلات والتي ليس لدينا عنها أدنى فكرة »(٢٦٦).

وضوحاً في هذا وهو أن الظاهرات بالنسبة لهيوم وكنط ، ليست شيئاً-في-ذاته يظهر[2] ، أنهما يفصلان الظاهرات عن الحقيقة الموضوعية ، ويشكّان في موضوعية المعرفة ، ينتزعان كل التجريبي من الشيء-في-ذاته .. وهيغل يتابع:

... «بالتأكيد يجب الاعتراف بأنه لا يكون لدينا أدنى فكرة [notion ، إلمام] لا عن الأنا ، ولا عن أي شيء كان ، ولا عن الإلمام نفسه ، ما دمنا لا نفهم وما دمنا نقف عند التمثيل البسيط ، الجامد ، أو الاسم » (٢٢٦)[3] .

لكي نفهم ، يجب أن نبدأ تجريبياً ، يجب أن ندرس ، أن نرتفع من التجريبية إلى العام لتعلّم السباحة يجب الذهاب في الماء .

إن الميتافيزياء القديمة ، في محاولتها معرفة الحقيقة ، كانت تقسم الموضوعات حسب معيار الحقيقة إلى ماهيات وظاهرات (٢٦٩) . النقد الكنطي تخلى عن دراسة الحق (٢٦٩)[4] : « ولكن الوقوف عند الظاهرات وعندما ينكشف كمحض تمثيل في الوعي اليومي هو تخلٍ عن المفهوم وعن الفلسفة » (٢٦٩) .

الفقرة آ : « فكرة الحق . الفكرة الذاتية هي بادئ بدء اتجاه ... اتجاه إلى تجاوز ذاتيتها الخاصة ، إلى جعل واقعها المجرّد بادئ بدء عيانياً وإلى ملئه بمحتوى العالم المفترض سابقاً من قبل ذاتيتها ... (٢٧٤) ... بما أن المعرفة هي

---

١ . NB . كنط وهيوم – ريبيان .

٢ . أين هيغل يرى ريبية هيوم وكنط :

٣ . لا يمكن أن نفهم خارج بداية الفهم (المعرفة ، الدراسة الميدانية . الخ) .

٤ . كنط يقتصر على « الظاهرات » .

الفكرة كغاية ، أو كذاتية ، فان نفي العالم المفترَض سابقاً ككائن في ذاته هو النفي الأول (٢٧٥) ...

أي ان الدرجة الأولى ، اللحظة الأولى ، البدء ، بداية المعرفة ، هي محدوديّتها وذاتيّتها ، نفيُ العالم في ذاته ، – إن هدف المعرفة هو بادىء بدء ذاتي ..

هيغل ضد كنط :

« بشكل مثير للفضول ، احتفظ معاصرونا بوجه المحدودية هذا واعترفوا به علاقةَ المعرفةِ المطلقةَ و كأن المحدود كمحدود يُفترَض أنه مطلق[1]! من وجهة النظر هذه ، يُمنَح الموضوع لا أدري أيَّ طابعِ شيء – في – ذاته – وراء المعرفة ، و يُنظَر إلى هذا الشيء في ذاته و كذلك إلى الحقيقة على – أنها ما – وراء مطلقٌ بالنسبة للمعرفة[2] إن تعيينات الفكر بوجه عام ، المقولاتِ ، التعيينات المفكرة ، ومثلها المفهوم الشكلي – القطعي وخطاياته ، هي موجودة فيه لا كتعييناتٍ محدودة في ولذاتها ، بل كعنصر ذاتي معارض لهذا الشيء – في ذاته الفارغ[3] ؛ هذه العلاقة المعرفيّة الباطلة تعتَبر حقيقة ؛ ذلك غلطٌ صار في زمننا رأياً عاماً » (٢٧٦)

الطبيعة المحدودة ، الانتقالية – العابرة ، النسبية ، الشرطية ، للمعرفة الإنسانية (لمقولاتها ، السببية ، الخ) ، أخذها كنط على أنها ذاتية ، لا على أنها ديالكتيك الفكرة (= الطبيعة نفسها) ، وفصل عن الموضوع المعرفةَ .

... ولكن المعرفة يجب ان تحلّ بتقدّمها الخاص محدوديتها و في الوقت نفسه تناقضها » (٢٧٧)[4] .

... « كذلك أنه موقف أحادي الجانب ان نتصوّر التحليل و كأنْ ليس

---

١. كنط شيد مطلقاً أحد الوجوه .

٢. عند كنط ، الشيء في ذاته هو « ما – وراء » مطلق .

٣. ذاتية كنط .

٤. ولكن مسيرة المعرفة تقودها إلى الحقيقة الموضوعية .

في الموضوع إلا ما وضعنا فيه وان نتخيّل ان التعيينات التي نحصل عليها ليست الا مستخلَصة [مستَرجعة] منه . إن الطريقة الأولى لتصوّر الأشياء تمثيلياً هي ، كما هو معلوم ، طريقة المثالية الذاتية التي ليست في نظرها فاعلية المعرفة في التحليل سوى فعل الوضع ، الفعل الأحادي الجانب الذي وراءه يختفي الشيء في ذاته ؛ الطريقة الثانية هي طريقة الواقعية المزعومة التي في نظرها المفهومُ الذاتي هو هوية فارغة تتلقى من الخارج التعييناتِ المفكَّرة [المنعكسة][1]،

... « ولكن هاتين اللحظتين يجب أن لا تُفصَلا ؛ المنطقيُّ في شكله المجرَّد الذي يُظهره في التحليل لا يوجد بالطبع إلا في المعرفة ، كما أنه بالمقابل ليس شيئاً وُضع وحسْب ، بل هو أيضاً كائن في ذاته » (٢٨٠)[2] ..

إن المفاهيم المنطقية ذاتية طالما تبقى « مجرَّدة » في شكلها المجرد ، ولكنها في الوقت نفسه تعبّر عن أشياء في ذاتها . الطبيعة هي في وقت واحد عيانية ومجرَّدة ، انها ظاهرة و جوهر ، ردة و علاقة . المفاهيم الانسانية ذاتية في تجريدها ، في انفصالها ، ولكنها موضوعية في كليتها – الجمعية ، في سير عمليتها ، في حاصل جمعها ، اتجاهها ، منبعها .

جيدة جداً ، الفقرة ٢٢٥ من الموسوعة ، حيث المعرفة (« النظرية ») والـ « إرادة » ، « الفاعلية العملية » ، تقدّمان كطريقتين ، وجهين ، وسيلتين لتدمير « أحادية » الموضوعية والذاتية .

وفي مكان لاحق ، ٢٨٠ – ٢٨١ ، هامّ جداً عن انتقال المقولات الواحدة في الأخرى (وضد كنط ، ٢٨٢) NB .

كتاب المنطق ، ص٢٨٢ :

... « كنط .. يعترف بأن الترابط المعين ومفاهيم العلاقات والمبادىء التركيبية [synthétiques] نفسها هي معطاة بالنسبة للمنطق الشكلي ؛ إن

---

١ ، هيغل ضد المثالية الذاتية وضد « الواقعية »

٢ ، الموضوعية للمنطق

استنتاجها يجب ان يكون عرض انتقال الوحدة البسيطة لوعي الذات إلى مثل هذه التعيينات والتمييزات ؛ ولكن كنط امتنع عن تبيان التقدم التركيبي للمفهوم الذي ينتج نفسه بنفسه » (٢٨٢) .

كنط لم يبين انتقال المقولات الواحدة في الأخرى .

٢٨٦-٢٨٧ – هيغل ، اذ يعود مرة أخرى إلى الرياضيات العليا (مبيّناً في جملة أشياء تآلفه مع حل غاوس* للمعادلة (س م – ١ = ٠ .) ، يلمس مرة أخرى مسألة حساب التفاضل والتكامل ، ويقول إن

... « الرياضة لم تنجح حتى الآن في ان تسوّغ بنفسها ، أي رياضياً ، العمليات المؤسسة على هذا الانتقال (الانتقال من مقادير إلى مقادير أخرى) ، لأن هذا الانتقال ليس ذا طبيعة رياضية (٢٨٧) » . لايبنتس ، واليه يُعزى شرف اكتشاف حساب التفاضل ، حقق هذا الانتقال بـ « الطريقة الأكثر نقصاً ، الغريبة عن المفهوم وغير الرياضية » (٢٨٧) .

إن المعرفة التحليلية هي المقدّمة الأولى لكل القياس ، – العلاقة المباشرة للمفهوم والموضوع ؛ الهويّة هي إذن التعيين الذي تتعرف عليه هذه المعرفة على انه تعيينها ، وهذه المعرفة ليست الا القبض على ما هو كائن لكن المعرفة التركيبية تريد أن تتصوّرَ مفهومياً ما هو كائن ، أي احتضان تعدّد التعيينات في وحدتها . إنها إذن المقدمة الثانية في القياس التي تتجه إلى أن تضع في علاقة ما هو مختلف من حيث هو مختلف . لذلك فإن هدفها هو الضرورة » (٢٨٨) .

بخصوص أسلوب بعض العلوم (مثلاً الفيزياء) التي تتخذ كتفسير شتى أنواع « القوى » الخ وتعنّف الوقائع الخ ، هيغل يقدّم الملاحظة الذكية الآتية :

« إن التفسيرَ المزعوم للمباني ، إن برهانَ المباني المحتوى في « النظريات » [théorèmes ، على غرار نظريات الرياضيات] ينكشف جزئياً كتوتولوجيا [تكرارية] ، وجزئياً كاختلاط للعلاقة الحقيقية ؛ هذا الاختلاط ساعد أيضاً على حجب خطأ المعرفة التي فهمت فهماً أحادياً التجربةَ التي فقط منها استطاعت

(* Gauss عالم رياضيات كبير ، له دور تأسيسي في حساب الاحتمالات والطريقة الاحصائية)

أن تستمدّ تعاريفها البسيطة ومبادئها[1] ، والتي تستبعد التفنيد المؤسس على التجربة إذْ لا تقبلها في كليتها – الجامعة العيانية[2] ، بل كمثال وفي وجهها المناسب للفرضيات والنظريات . في إخضاع التجربة العيانية هـذا للتعاريف الموضوعة سلفاً ، يُظْلِم أساسُ النظرية ويُبيِّنُ فقط الوجـهُ الذي يناسب النظرية »[3] .

مثلاً : التَبَخْتُر السخيف بصحبة مبتذلات ، الخ .

كنط و ياكوبي [yacobı] فنّدا الميتافيزياء القديمة (مثـلاً فولف Wolff) . كنط بيّن أن « الأدلة الملزمة » [« الأدلّة بحصر المعنى »] تقود إلى الثنائيات التناقضية (٣١٧) ، ولكن كنط لم يفكر في طبيعة هذا الدليـل ذاتها المرتبطة بمحتوى ما محدود ؛ والحال ، إن أحدهما يجب أن يسقط في وقت واحد مع الآخر »[4] .

إن المعرفة التركيبية ليست بعدُ تامة ، لأن « المفهوم لا يصبح واحداً مع نفسه في موضوعه أو في واقعه .. لذا ، فان الفكرة لا تبلغ بعدُ الحقيقةَ في هذه المعرفة ، بسبب لا – توافق الموضوع والمفهوم الذاتي (٣١٩) . – ولكن دائرة الضرورة هي ذروة الوجود والتفكير ؛ انها تمضي في و لذاتها إلى [في] حرية المفهوم ، الهوية الداخلية تمضي إلى [في] تجلـّيها الذي هو المفهوم كمفهوم...

... الفكرةُ ، بقدر ما المفهومُ معيّنٌ في ذاتـه ولذاته ، فقط لذاتها هي الفكرة العملية ، الفعل [العمل] » (٣١٩) والفقرة التالية عنوانهـا « ب : فكرة الخير » .

المعرفة النظرية يجب ان تقدّمَ الموضوع في ضرورته ، في علاقاته المتعدّدة الجوانب ، في حركته التناقضية ، في و لذاته . ولكن المفهومَ الانساني يقبض

---

١. صحيح وعميق بشكل مرموق .

٢. أنظر الاقتصاد السياسي البرجوازي .

٣. ضد الذاتية والنظرة الأحادية الجانب .

٤. أي أن كنط لم يفهم قانون « الحدود » ، القانون الكلي – الشمولي الديالكتي.

« تماماً » على هذه الحقيقة الموضوعية للمعرفة ، يحضنها ويسيطر عليها فقط حين يصير المفهوم « موجوداً لذاتــه » ، بمعنى الممارسة . أي ان ممارسة الانسان والانسانية هي اختبارُ ومعيارُ موضوعيةِ المعرفة . هل هذا هو تفكير هيغل ؟ يجب الرجوع إلى هذا الموضوع[1] .

لماذا إذن ، انطلاقـاً من الممارسة ، من العمل ، المضي [الانتقال] فقط إلى « الخير » ؟ هذا موقف ضيّق ، أحادي ! والنافع ؟

لا ريب ان النافع يأخذ مكانـاً هنا . — أم أن النافع بالنسبة لهيغل هـــو أيضاً الخير ؟

كل ذلك وارد في فصل « فكرة المعرفة » (الفصل الثاني) — في الانتقال إلى الفكرة المطلقة (الفصل الثالث) — أي ان الممارسة هي في نظر هيغل بلا أدنى شك حلقة في تحليل سير عملية المعرفـــة ، وخصوصاً كانتقال إلى الحقيقة الموضوعية (« المطلقة » كما يقول هيغل) . ماركس اذن يتبع مباشرةً هيغل حين يُدخل محكّ الممارسة في نظرية المعرفة : انظر « الاطروحات عن فويرباخ » .

الممارسة في نظرية المعرفة (٣٢٠)

« بوصفه ذاتياً ، المفهوم يفترض مسبقاً من جديد وجوداً آخر هو في ذاتـــه ؛ فهو الدافع إلى أن يتحقق ، الغاية التي تريد بنفسها أن تعطي نفسها موضوعيةً في العالم الموضوعي وان تتحقـــق [تتحقق] . في الفكرة النظرية ، إن المفهوم الذاتي بوصفه عاماً ، محروماً من التعيينات في ذاته ولذاته ، يعارض العـــالمَ الموضوعي الذي فيه

أي ، بلغة الأصل : إن الوعي الانسـاني لا يعكس العـالم الموضوعي فقط ، بل أيضاً يخلقه .

المفهوم (الانسـان) ، بوصفـــه ذاتياً ، يفترض مسبقاً من جديد الوجود الآخر في ذاتـه (الطبيعة المستقلة عن الانسـان) . هذا المفهوم (= الانسـان) هو رغبة في أن يتحقق ، في أن يعطي نفسـه موضوعيةً في العالم الموضوعي وفي أن يتحقق .

---

(١) هيغل عن الممارسة وموضوعية المعرفة .

يفترف المحتوى المعيّن والتحقّق .
ولكنه في الفكرة العَملية يعــارض الراهن كراهن ؛ ولكن اليقين الذي هو خاص بالذات في وجودها المعيّن في الذات وللذات هو يقــين راهنيتها و لا راهنية العالم . . .

. . . هذا التعيين المحتوى في المفهوم، المساوي له والذي يحتوي شرط راهنية فريدة ، خارجية ، هو الخير . الخير يظهر بكرامة المطلق ، لأنه امتلاءُ المفهوم داخل نفسه ، الموضوعيُ في شكلِ الوحدة الحرة والذاتية الذي هو شكله . هذه الفكرةُ أعلى من فكرة المعرفة ، لأنَّ لها ليس فقط كرامة العام بل أيضاً كرامة الراهن بشكل مطلق . .

. . . لذا فإن فاعليةَ الهدف موجهةٌ لا ضدَّ نفسها لكي تتلقّى داخليــاً وتتملّكُ تعيناً معطىً مــا ؛ إنها تسعى بالأحرى إلى أن تضع تعينها الخاص وان تعطي نفسها الواقعَ في شكل راهنية خارجية بتجاوزهــا تعينات العالم الخارجي » . . .

في الفكرة النظريــة (في ميدان النظرية) ، المفهومُ الذاتي (المعرفة ؟) بوصفه عامــاً ومحروماً في نفسه من التعيينات يعارض العالم الموضوعي الذي فيه يفترف محتوىً معيناً ومادة معيّنة .

في الفكرة العمَليــة (في ميدان الممارسة) ، هذا المفهوم بوصفه راهناً (فاعلاً ؟) يعارض الراهنية .

اليقين الذي للذات (هنــا فجأة بدلاً من المفهوم) في وجودها في ولذاتها ، بوصفها ذاتاً معيّنة ، هو يقين واقعها الخاص و لا واقع العالم .

أي ان العالم لا يرضي الانسان وان الانسان يقرر تغييره بعمله .

أساس الأمر :

« الخير » ، « هو مطلب [اشتراط] واقعٍ خارجي » ، أي بالخير يُقصَد الممارسة الانسانية = اشتراط واقع خارجي

الممارسة أعلى من المعرفة (النظرية) ، لأن لها ليس فقط كرامة العام بل أيضاً كرامة الواقعيِ المباشر .

« إن فاعلية الهدف موجّهة لا ضد نفسها » . . .

ولكنْ بإلغائها بعض الوجوهِ ،

الظاهرات ، الملائم المعيّنة للعالم الخارجي ، تسمى إلى أن تعطي نفسها و'قعاً في شكل راهنية خارجية ...

« ... الخير المحقق جيّد [صالح] لأنه موجود سلفاً في الهدف الذاتي ، في فكرته ؛ التحقيق يعطية وجوداً معيّناً خارجياً (٣٢٢) .

. . من جهة العالم الموضوعي المفترَض من قبَله — الذي يتضمّن افتراضُه ذاتية ومحدودية الخير ، والذي ، بوصفه شيئاً ما آخر يتبع طريقه الخاص ، — إن تحقيق الهدف معرّض لحواجز بل و للا - إمكان » (٣٢٣) ...

« العالم الموضوعي » يتبع « طريقه الخاص » ، وممارسةُ الانسان التي أمامها هذا العالمُ الموضوعي تصادف « حواجز في تحقيق » الهدف بل وتصطدم بـ « اللاإمكان » NB .

« ... الخير يبقى هكذا وجوبَ - وجود ؛ انه في ذاته ولذاته ، ولكن الوجودَ بوصفه مباشريةً اخيرة ومجرّدة ، يبقى في تعارض مع الخير ، المعيَّن هو ايضاً كلاَ وجود » (٣٢٣) ...

الخيرُ ، الدوافعُ الجيدة [الصالحة] تبقى وجوباً [واجباً] ذاتياً ...

« ... أجَل ، إن فكرة الخير المكتمل هي مسلّمة مطلقة ما ، ولكنها ليست سوى مسلّمة ،أي المطلق المرسوم بتعيين الذاتية . هنا عالمان لا يزالان في تعارض،ميدانُ الذاتي في المجالات الخالصة للفكر الشفاف وميدان الموضوعي في عنصر راهنية متنوّعة خارجيةً هي مملكة الظلام . الانبساط التام لهذا التعارض غير المحلول ، لهذه الغاية المطلقة التي تعارضها بشكل لا يقاوَم حدودُ هذه الراهنية، يُنظَر اليه عن قرب أكبر في « فينومينولوجيا الروح » ص ٥٣ ؛ وبعدها » (٣٢٣)[١] .

تهكّم على « المجالات الخالصة للفكر الشفاف » في مملكة الذاتية التي تعارضها

---

[١] عالمان : الذاتي والموضوعي .

« ظلمات » الواقع « الموضوعي » ، « المتنوع » . NB .

.. «في هذه الأخيرة (= الفكرة النظرية المميّزة عن الفكرة العملية) .. المعرفة لا تعرف نفسها إلا كإدراك أوّلي حدسي ، كهوية للمفهوم مع نفسه غير معينة لنفسها ؛ التحقيق ، أي الموضوعية المعيّنة في ولذاتها ، هو بالنسبة للفكرة النظرية معطى ، والوجود الحقيقي هو الراهنية الموجودة بصورة مستقلة عن الموقع الذاتي. بالمقابل ، بالنسبة للفكرة العملية ، هذه الراهنية التي تعارضها كحد لا يمكن تخطيه ، هي العدم في ولذاته ، الذي يجب أن ينال تعيينه الحقيقي وقيمته الوحيدة من غايات الخير .

لذا فإن الارادة نفسها هي عقبة امام تحقيق هدفها بواقع أنها تنفصل نفسها عن المعرفة وان الراهنية الخارجية لا تنال بالنسبة لهـــذه الارادة شكل الموجود [- المعيّن] حقيقة ؛ لذا فإن فكرة الخير لا تجـــد تحققها الا في فكرة الحق » (٣٢٤) .

المعرفة .. تجـد أمامها الوجود الحقيقي كواقع معطى مستقل عن الآراء الذاتية ، (Setzen [وضع]) . Nota Bene (هذه مادية خالصة !) . إرادة الانسان ، ممارسته ، تعارضان تحقق هدفه . بواقع انها تنفصلان عن المعرفة ولا تعترفان بالواقع الخارجي على انه الوجود الحقيقي (الحقيقة الموضوعية). يلزم وحدة الممارسة والمعرفة .

ومباشرة بعد ذلك :

. « ولكن هذا الانتقال ، فكرة الخير تحققه من خلال نفسها (انتقال من فكرة الحقيقة إلى فكرة الخير ، من النظرية إلى الممارسة ، وبالعكس) . في قياس العمل ، المقدمة الأولى هي العلاقة المباشرة للغايـــة الصالحة [الجيدة ، الخيّرة] مع الراهنية ، التي تستولي عليها هذه الغاية وتوجهها كوسيلة خارجية ضد الراهنية الخارجية ، في المقدمة الثانية » (٣٢٤) .

«قياس العمل»... بالنسبة لهيغل، «العمل»، الممارسةُ هي « قياسٌ منطقي » ، صورةٌ منطقية . وهــذا صحيح ! NB . بالطبع ليس بمعنى ان الوجود الآخر للصورة المنطقيةهو ممارسة الانسان (= مثالية مطلقة)، ولكن بالعكس، بمعنى ان الممارسةالانسانية المكرّرة مليارات المرّات تتعزّز في الوعي بالصور المنطقية. هذه الصور تأخذ صلابة حكم مسبق وطابع حقيقة بديهية بالضبط، بموجب هذا التكرار الذي لا عدّ له . NB

المقدمة الأولى : غاية جيّدة (هدف ذاتي) ضدّ الراهنية (« الراهنية الخارجية »)

المقدمة الثانية : وسيلة خارجية (أداة) ، موضوعية) .

المقدمة الثالثة : أو النتيجة : وحـدة الذات والموضوع ، التحقق من الأفكار الذاتية ، معيار الحقيقة الموضوعية .

٣٢٥ ... « إن تحقيق الخير رغم راهنية تعارضه هـــو التوسّط الذي هو ضروري جوهرياً لعلاقة الخير المباشرة ولترهين الخير » (٣٢٥) ...

... « ولكن إذا كانت غاية الخير ليس لها أن تتحقق بالعمل ، فان ذلك سيكون سقوطاً جديداً للمفهوم في الوضع [الموقع] الذي كان له قبل عمله ، — وضع راهنية معيّنة على انها بلا قيمة (nichtig [عدمية]) ومع ذلك افتُرضت واقعية ؛ — إن سقوطاً جديداً يصير تقدّماً في اللامحدود السيء ، وهو مؤسّسٌ فقط على الأمر الآتي وهو أنه في تجاوز هذا الواقع المجرد ، هذا التجاوز أيضاً يُنسى مباشرةً ، أي يُنسى أن هذا الواقع كان قد افتُرض كغير موجود في ذاته ولذاته ، كراهنية غير موضوعية » (٣٢٥)

عدم تحقّق الأهداف (أهداف الفاعلية الانسانية) سببه كون الواقع يؤخذ على أنه اللاموجود وجوداً معيناً ، أنه لا يعترف به كواقع موضوعي . NB .

« بما أن فاعلية المفهوم الموضوعي تُغيّر الراهنية الخارجية ، وأنـــه بذلك يتَجاوَز تعيينُها ، فان واقعُها الظاهر وحسْب، تعييناتِها الخارجية وعدميّتها تجد نفسها محذوفة ، وهي موضوعَة ككائنة ولذاتها » (٣٢٦) ...

إن فاعلية الانسان الذي أنشأ لنفسه لوحة موضوعية عن العالم تُغيِّر الواقع الخارجي ، تلغي تمينه (= تُغيِّر هذا أو ذاك من وجوهه ، من صفاتـــه) ، وهكذا تنزع عنه ملامحَ الظاهريةِ والخارجيـةِ والعدَميةِ ، تجعله موجوداً في ولذاته (= حقيقة موضوعية) NB .

... « في هذه العملية ... إن تعينَ الخير على انه ذاتيٌ فقط ، هدفٌ محدود بمحتواه، ضرورةَ تحقيقه بالفاعلية الذاتية فقط ، وهذه الفاعليةَ نفسها ، متجاوَزةٌ. في النتيجة ، التوسّط يتجاوز نفسه — انه مباشريّةٌ ليست إعـادةَ الافتراض المسبق ، بل هي بالأحرى تجاوزه . بذلك ، إن فكرة المفهوم المعيّن في ولذاته موضوعةٌ الآن ليس فقط في الذات الفاعلة بل أيضاً كراهنية مباشرة ، وبالمقابل ، هذه هي (كما هي في المعرفة) موضوعية حقة (٣٢٦) .

إن نتيجة العمل هي التحقق من المعرفة الذاتية ومعيار الموضوعية الحقة .

٣٢٧ ... « هكذا ، في هذه النتيجة ، المعْرفة مُعادة وموحّدة مع الفكرة العملية ، الراهنيةُ المعطاة هي في الوقت نفسه معيّنة على انهـــا الهدف المطلق المحقق ، ولكن ليس كما في البحث النظري (أي كعالم موضوعي بدون ذاتية المفهوم) ، بل كعالمٍ موضوعيٍ عقلُه الداخلي ووجودُه الراهن هـــو المفهوم . انها الفكرة المطلقة »(٣٢٧) . ((نهاية الفصل الثاني. انتقال إلى الفصل الثالث : « الفكرة المطلقة »)) .

الباب الثالث : الفكرة

الفصل الثالث : الفكره المطلقة

٣٢٧ « الفكرة المطلقة هي ، كما تجلّى ، تماثل هوية الفكر النظرية والعملية ، اللتين ما تزال كل منها لنفسها أحادية الجانب » (٣٢٧) ...

وحدةُ الفكرةالنظرية (المعرفة) والممارسة – هذا لاحظ جيداً – ، وهذه الوحدةُ بالضبط في نظرية المعرفة ، إذْ كنتيجة نحصل على « الفكرة المطلقة » (والفكرة = « حقيقة موضوعية » ، المجلد V ، ٢٣٦) .

يبقى علينا الآن أن ننظر لا إلى المحتوى ، بل إلى كلّية [شمولية] شكله – أيْ ، الطريقة » (٣٢٩) .

« في البحث النظري ، الطريقة هي أيضاً أداة ، وسيلةٌ ذاتيـــة بواسطتها يكون البحث في علاقة مع الموضوع . بالمقابل ، في المعرفة الحقة ، الطريقةُ ليست فقط تعدّد بعض التعيينات ، بل تعيين المفهوم في ولذاته ، المفهوم الذي ليس وسيلة (حداً أوسط في القياس) الا لأنّ له أيضاً معنىً موضوعياً » ... (٣٣١) .

... « الطريقة المطلقة (أي طريقة معرفـــة الحقيقة الموضوعية) تفعل لا كتفكير خارجي ، بل هي تأخذ تعينَ موضوعها ذاته ، لأنهـــا هي نفسها مبدأه ونفسُه الملازمة – هـذا ما كان أفلاطون (٣٣٥ – ٣٣٦) يطلبه من

المعرفة : اعتبار الأشياء في ولذاتها ، جزئياً في عموميتها ، وجزئياً بدون الابتعاد عنها ، بدون البحث عن ظروف ثانوية ، عن أمثلة ومقارنات ، بل بأن لا يكون لها أمامها سوى هذه الأشياء وبأن ترفع إلى الوعي ما هو ملازم – أصلي فيها » (٣٣٦) . .

إن طريقة « المعرفة المطلقة » هذه هي تحليلية... و« لكنها أيضاً تركيبية» (٣٣٦) ...

« هذه اللحظة التحليلية بقدر ما هي تركيبية للحكم الذي به الكلي الكائن في الانطلاق يتعيّن بنفسه كآخرَ ذاته ، يمكن ان تدعى ديالكتية » (٣٣٦)[1] .

هذا التعريف ليس من التعريفات الأكثر وضوحاً !!!

١) تعريف المفهوم بنفسه (الشيء نفسه يجب ان يُعتبَر في علاقاتــه وفي تطوّره) ؛

٢) التناقض في الشيء نفسه ، القوى والاتجاهات المتناقضة في كل ظاهرة ؛

٣) وحدة التحليل والتركيب .

تلك هي عناصر الديالكتيك ظاهراً . لعلّه من الممكن ان نقدّم هذه العناصر بشكل أكثر تفصيلاً ، على النحو الآتي[2] :

١) موضوعية التحليل (لا أمثلة ، لا استطرادات ، بل الشيء في نفسه) ؛

٢) كل جملة علاقات هذا الشيء المتعدّدة مع أشياء أخرى ؛

٣) نمو – تطور هذا الشيء (أو هذه الظاهرة) ، حركته الخاصة ، حياته الخاصة ؛

٤) الاتجاهات (و الوجوه) الداخلية المتناقضة في هذا الشيء ؛

٥) الشيء (الظاهرة ، الخ) كحاصل جمع و وحدة المتناقضات ؛

٦) صراع او نمو – تطور هذه التناقضات ، تناقض الاتجاهات ، الخ ؛

---

١. أحد تعاريف الديالكتيك .

٢. عناصر الديالكتيك .

٧) وحدة التحليل والتركيب ، – تحليل العناصر الخاصة والجملة ، حاصل جمع هذه العناصر .

باختصار ، يمكن تعريف الديالكتيك بأنه مذهب وحـدة المتناقضات . بذلك نقبض على نواة الديالكتيك ، ولكن هذا التعريف يتطلّب تفسيرات وإنماءات .

٨) إن علاقات كل شيء (كل ظاهرة ، الخ) ليست فقط متعدّدة ، بل هي كلّية . كل شيء (ظاهرة ، عملية ، الخ) مرتبط بكل آخر .

٩) ليس فقط وحدةُ المتناقضات ، بل أيضاً انتقالات كل تعيين ، صفة ، علامة ، وجه ، خاصيّة ، إلى كل آخر (إلى معارضة) ؛

١٠) عملية اكتشاف لا نهاية لها لوجوه وعلاقات جديدة ؛

١١) عملية تعميق لا نهاية لهـا للمعرفة الانسانية للاشياء ، للظاهرات ، للعمليات ، الخ ، تذهب من الظاهرة إلى الجوهر ومن الجوهر الأقل عمقـاً إلى الجوهر الأكثر عمقاً ؛

١٢) من التواجد إلى السببية ومن شكل تواصل وترابط نحو شكل آخر ، اكثر عمقاً واكثر كلية [شمولية] ؛

١٣) تكرّرُ ، في المرحلة الأعلى ، بعضِ ملامح ، خصائص ، الخ ، المرحلة الأدنى و

١٤) عودة ظاهرة للقديم (نفي النفي) ؛

١٥) صراع المحتوى مع الشكل وبالعكس . نبذ الشكل وتعديل المحتوى ؛

١٦) انتقال من الكم إلى الكيف وبالعكس .

((البندان ١٥ و ١٦ هما مثالان عن البند ٩)) .

... « الديالكتيك أحدُ العلوم القديمة التي أنكِرَت في الميتافيزياء الحديثة ، ومن ثم في الفلسفة الشعبية ، – عند السابقين كما عند المحدثين » (٢٣٦) ... ديوجين لايرس قال عن أفلاطون أنه كان مخترع الديالكتيك ، العلم الفلسفي الثالث (كما كان طاليس مخترع فلسفة الطبيعة ، وسقراط مخترع الفلسفة الأخلاقية) ،

ولكن اولئك الذين يحدثون أكبر ضجة حول مأثرة أفلاطون هذه هم أقــل من يفكـّر فيها [1] . .

« كثيراً ما ُنظر إلى الديالكتيك كفنٍ ، وكأنـّها مؤسّـسة على موهبة ذاتية وليست ملكاً لموضوعية المفهوم » [2] . . . ولقد كان مأثرةً هامة لكنط أنـــه أدخل الديالكتيك مجــــدداً ، اعترف بها كـ « خاصة ضرورية » للـ « عقل » (٣٣٧) ؛ ولكن نتيجة تطبيق الديالكتيك يجب ان تكون المكس (عكس ما حصل عليه كنط) . انظر لاحقاً .

ما يلي هو صورة اولى عن الديالكتيك — بالغة الفائدة ، واضحة ، هامة :

. . . « خارج كون الديالكتيك تظهر عادة كشيء عرَضي ، فانها تنال أيضاً الشكل التالي وهو أكثر صواباً : بخصوص أي موضوع كان ، مثـــلاً العالم ، الحركة ، نقطة ، التح ، يُبيّن ان تعييناً مـــا هو خاصته ؛ مثلاً يبيّن ، حسب تسلسل الموضوعات الآنفة ، المحدوديةُ في المكان او في الزمان ، الوجود في هذا الموقع ، النفي المطلق للمكان ؛ ثم يُبيّن ان الصفة المضـــادّة بدقـّة هي ملـْكه أيضاً ، مثلاً ، اللامحدودية في الزمان والمكان ، اللاوجود في هذا الموقع ، العلاقة مع المكان وبالتالي الصفة المكانية . مدرسةُ الفلاسفة الايليات القديمة كانت توجـّه ديالكتيكها بشكل خاص ضد الحركة [3] ؛ — افلاطون كثيراً ما كان يوجـّه ديالكتيكه ضد أفكار ومفاهيم معاصريه ، ولكن ايضاً ضـد المقولات الخالصة والتعيينات التفكيرية ؛ — الريبية اللاحقـة وسّعت الديالكتيك ليس فقط إلى ما يُدعى وقائع الوعي المباشرة وحِكـَم الحيــاة اليومية ، بل ايضاً إلى كل المفاهيم العلـْمية (٣٣٧) [4] . وما يُستخلـَص من الديالكتيك مفهومةً على هــذا النحو هو بوجه عام تناقض و عدمية التأكيدات القائمـــة . ولكن ذلك يحتمل

---

١. افلاطون والديالكتيك .
٢. موضوعية الديالكتيك .
٣. في تاريخ الديالكتيك .
٤. دور الريبية في تاريخ الديالكتيك .

معنيين : معنى موضوعي ، أي ان الموضوع الذي هكذا يُناقض نفسَه بنفسه يلتغي وينعدم ؛ — تلك هي النتيجة التي خلص اليهـا الفلاسفة الايليات ، الذين ينفون حقيقة العالم ، الحركة ، النقطة ؛ — ومعنى ذاتي ، أي المعنى الذي يعزو العيب الى المعرفة. وهذه النتيجة الأخيرة تُفهَم بطريقتين : إمّا ان الديالكتيك تُنتج بلعبة « كلا — كلا » [بلعبة شعوذة] ظاهراً كاذبـاً[1] ، (تلك هي النظرة العادية لما يدعي الحسّ العام الذي يكتفي بالبداهة الحسية وبالتمثيلات والتعبيرات العادية) ...

مثلاً ، ديوجين — الكلب يبرهن على الحركة بالمشي ، ذلك « تفنيد مبتذل » (٣٣٨) على حد قول هيغل .

.. أو أن هذه النتيجة عن العدمية الذاتية للديالكتيك لا تصيب الديالكتيك نفسها ، بل بالأحرى المعرفة التي ضدّهـا هي موجّهة ، ولا سيّما ، في المعنى الربي أو الكنطي ، كل معرفة » (٣٣٨) [2] .

... « الحكم المسبق الخاطىء السائد في هذا المضار هو أن الديالكتيك لا يمكن ان تفضي الا الى نتائج سلبية » (٣٣٨) ..

بين عدة امور ، كان لكنط الفضل في لفت الانتباه إلى الديالكتيك وإلى دراسة « تعيينات الفكر في ولذاتها » (٣٣٩) .

« الموضوع ، كما هو بدون الفكر وبدون المفهوم ، هو تمثيلٌ ما أو اسم ؛ تعيينات الفكر والتعيينات المفهومية هي ما به هو ما هو [3] » ...

« لا يجب اذن ان نقول عن موضوع أو عن معرفة انـه ذنبُها حين بحكم طبيعتها أو بحكم ارتباط خارجي يتبيّنان ديالكتيين [4] » ...

... « هكذا فإن كل التعارضات المعتبَرة صلبة ، مثـلاً تعارض المحدود

---

١. تفهم الديالكتيك على أنها « لعبة كلا كلا » .
٢. الكنطية ايضاً = ربية .
٣. هذا صحيح ! التمثل الفكر ، او الاثنين ، لا غير .
٤. الموضوع يتجلى كديالكتيك .

واللامحدود ، تعارض المفرد والعام ، ليست متناقضة بحكم تراصف خارجي ، بل ، كما دلّلت دراسةُ طبيعتها ، انها انتقال في ولذاتها » (٣٣٩)[١] .

(٣٤٠) « تلك هي وجهة النظر المشار اليهـا آنفاً التي بموجبها ينكشف كلّي أوّلي ما ، معتبَرٌ في ولذاته، آخرَ ذاته[٢] . . . .

ولكن الآخر ليس جوهرياً النفي الفـارغ ؛ العدم ، الذي يُعتبَر نقطة الوصول الطبيعية للديالكتيك ؛ انه آخرُ الحدّ الأول ، نفيُ المباشر ؛ انـه اذن معيّن على أنه الموسّط ، — و يحوي في نفسه التعيين العـام للحد الاول (٣٤٠) . هكذا يكون الحـد الأول بصورة جوهرية محفوظاً و محوياً في الآخر[٣] . — أن نُبقي في النتيجة الايجابيَ في نفيـه ، في المحتوى المفترض ، ذلك هو الشيء الأهم في المعرفة العقلية ؛ يكفي أبسطَ تفكير للاقتناع بضرورة هذا الاشتراط وحقيقته المطلقة ، وإذا كان ثمة حاجة إلى أمثلة للتدليل على هذا الاشتراط ، فإن كل المنطق ليس شيئاً آخر » (٣٤٠) .

ليس النفيُ العـاري ، ولا النفيُ الوهمي العابث ، ولا النفيُ الريبي ، ولا التردّد ، ولا الشك ، هو ذو دلالة وجوهري في الديالكتيك ، — الـتي بالطبع تحوي في نفسها عنصرَ نفي بل تحويه كعنصر هو الأهم ، — كلاّ ، بل النفي بوصفه لحظةً للارتباط ، لحظة للتطوّر الذي يُبقي الايجابي ، أي بلا تردّد ، بلا انتقائية .

الديالكتيك هي نفي الحدّ الاول ، باستبدال الثاني به (بالانتقال من الأول الى الثاني ، بتعيين رابطة الأول والثاني ، الخ) . الثاني يمكن أن يُفهَم على أنـه محمولُ الأول .

— « مثلاً ، المحدود هو لا محدود ، الواحد متعدّد ، المفرد هو عام » (٣٤١) . . .

(٣٤١٠) . . . بما أن الحدّ الأول أو المباشر هو المفهوم في ذاته ، إذن ليس

---

١ المفاهيم ليست جامدة ، ولكنها بنفسها ، بطبيعتها = انتقال .
٢ . المفهوم الكلي الأول (و = المفهوم الكلي الأول أياً كان) .
٣ . هذا هام جداً لفهم الديالكتيك .

سلبيــاً إلا في ذاته [1] لذا فإن لحظات الديالكتية تكمن في أن الاختلاف الذي يحويه في نفسه موضوعٌ داخل نفسه. وبالمقابل، الحدّ الثاني هو المعيَّن (٣٤١)، الاختلاف او العلاقة (٣٤٢)؛ لحظته الديالكتيّة تكمن إذن في أنه يضع الوحدة المحتواة فيه ...

بالنسبة إلى الأشياء البسيطة والبدائية، الى التأكيدات الايجابية «الأولى»، الخ، «اللحظة الديالكتية» — اي الطريقــة العلمية — تشترط أن نشير الى الاختلاف، الارتباط، الانتقال. بدون ذلك، يكون التأكيد الايجابي ناقصاً، جامداً، بلا حياة. بالنسبة الى «الحـــدّ الثاني»، الحد السلبي، «اللحظة الديالكتية» تشترط أن نشير إلى «الوحدة» اي رابطة السلبي والايجابي. من التأكيد الى النفي — من النفي الى الوحدة مع المؤكَّد، — بدون ذلك تصبح الديالكتيك نفياً عارياً، لعباً، أو ريبية.

... «إذا لم تكن إذن تعيينات النفي، المعيَّن، العلاقـــة، الحكم، وكل التعيينات التي هي ملك لهذه اللحظة الثانية، اذا لم تكن تظهر سلفاً لنفسها على أنها التناقض وعلى أنها ديالكتية، فإن ذلك ليس مردّه إلا إلى عيب للفكر الذي لا يجابه ولا يجمع أفكاره. لأن المادة — التعيينات المتعارضة في علاقة — هي سلفــاً موضوعة وهي حاضرة للفكر. ولكن الفكر الشكلي يشيد الهوية في قانون، يــترك المحتوى المتناقض المعطى يسقط في دائرة التمثيل، في المكان والزمـان NB، حيث تبقى المتناقضات الواحدة خارج الأخرى في التراصف والتعاقب، وهكذاتظهر أمام الوعي بلا تماسّ متبادل» (٣٤٢).

«تظهر أمام الوعي بلا تماس متبادل» (الموضوعاتُ Objets) — ذلــك هو أساس مناهضة الديالكتيك. بيد أن هيغل ها هنا، على ما يبدو، قد أظهر أذْنَ حمارِ المثالية بوضعه الزمان والمكان في شيء ما أدنى من الفكر. من جهة أخرى، بمعنى ما، التمثيل هو بالفعل أدنى. وأساس المسألة أن الفكر عليــه

---

١. «في ذاته» («في الذات» en soi) = فيحالة قوة (في حالة كون وإمكان، لا في حالة فعل، واقع)، لم يبسط، لم ينتشر بعد.

أن يحتضن كلّ « التمثيل » في حركته ، ولهذا الغرض يجب أن يكون- الفكر ديالكتياً. هل التمثيل أقرب الى الواقع من الفكر؟ نعم ولا. التمثيل لا يستطيع أن يدرك الحركة في كلّيتها الجامعة، مثلاً انه لا يدرك الحركة بسرعة ٣٠٠ ألف كيلومتراً في الثانية ، أما الفكر فيدركها وعليه أن يدركها . الفكر الخارج من التمثيل هو أيضاً يعكس الواقع ؛ الزمن هو شكل وجود للواقع الموضوعي. هنا في مفهوم الزمن (وليس في علاقة التمثيل والفكر) تكمن مثالية هيغل ...

.. « هذا الفكر يشيد اذن مبدءاً أساسياً معيّناً ، إلا وهو أن التناقض غير قابل للفهم؛ ولكن،بالواقع، إن فكر التناقض هو لحظة المفهوم الجوهرية . NB . الفكر الشكلي يفكّر التناقض بالواقع ، ولكنه لا يلبث ان يدير ظهره عنه وهو (إذ يقول ان المتناقض لا يمكن فهمه او تفكيره) يبتعد عنه نحوالنفي المجرّد » (٣٤٢) .

« السلبية التي نظرنا اليها قبل قليل تؤلف الانعطاف في حركة المفهوم . انها النقطة البسيطة للعلاقة السلبية مع الذات ، المنبع الداخلي لكل فاعلية ، لكل حركة عفوية حية وروحية ، النفس الديالكتية التي فيها كلُ حقيقة [١] ، وبها هي الحقيقة الوحيدة ؛ اذ فقط على هذه الذاتية يؤسّس تجاوزُ تعارضِ المفهومِ والواقعِ وتؤسّس ايضاً الوحدةُ التي هي الحق [٢] . — النفي الثاني ، نفي النفي الذي نصل اليه الآن ، هو هذا التجاوز للتناقض ، ولكن هذا التجاوز ليس أكثرَ من التناقض، فعلاً للتفكير الخارجي ؛ انه اللحظة الأكثر داخلية ، الأكثر موضوعية للحياة (٣٤٣) وللروح ، التي بفضلها توجــد الذات والشخصية والحرية . »

ما هو هام هنا : ١) وصف الديالكتيك : حركة عفوية ، منبع الفاعلية ، حركة الحياة والروح ؛ وحدة مفهومي الذات (الانسان) والواقع ؛ ٢) أعلى درجة في الموضوعية (اللحظة الأكثر موضوعية)

---

١. ملح الديالكتيك .

٢. معيار الحقيقة (وحدة المفهوم والواقع).

هذا النفي للنفي هو الحد الثالث ، على حد قول هيغل (٣٤٣) - « إذا أردنا أن نعدّ » - ولكن يمكن أيضاً اعتباره الحد الرابع (الرباعية (٣٤٤) في نفيين ، نفي « بسيط » أو « شكلي » ونفي « مطلق » (٣٤٣)) .

لا أجد واضحاً هذا التمييز ، أليس المطلقُ مساوياً للمباني ؟

« رغم ان هذه الوحدة ، وكذلك كل شكل الطريقة - الثلاثية - ليست سوى الوجه الخارجي السطحي لطريقة المعرفة » (٣٤٤) [1] .

- ولكن ، على حد قوله ، تلك « مأثرة غير محدودة للكنطية » ان تكون قد أشارت إلى ذلك (حتى بدون المفهوم) .

« إن الشكلية أيضاً قد تملّكت الثلاثية واحتفظت بمخططها الفارغ ؛ ولكن الفوضى السطحية والفراغ اللذين يطبعان البناءات الفلسفية الحديثة المزعومة التي ليست سوى إبقاء لهذا المخطط الشكلي ، بلا مفهوم وبلا تعيين أصلي ملازم ، والتي استخدمته لإقامة نظام خارجي ، قد جعلا هذا الشكل مملاً وأعطياه صيتاً سيئاً . بيد أن ابتذال هذا الاستخدام لا يمكن ان يدمّر قيمته الداخلية ، بل يجب ان نقدر عالياً واقعَ أنه بذلك اكتُشِفت صورةٌ ، ولو غير مفهومة ، عن العقل (٣٤٥) » [2] .

إن نتيجة النفي هو الحدّ الثالث ، لا ... « حدّ ثالث بلا حراك ، بل بالضبط هذه الوحدة (وحدة التناقضات) التي هي حركة وفاعلية في توسّط مع الذات » (٣٤٥) ...

إن نتيجة هذا التحوّل الديالكتي الى حدّ ثالث ، الى تركيب ، هي مقدمة جديدة ، تأكيد جديد الخ يصير من جديد منبع تحليل لاحق . ولكن في هذه الدرجة « الثالثة » دخل « محتوى » المعرفة ، « إن محتوى المعرفة بوصفه كذلك يدخل في ميدان التحليل » (٣٤٦) - والطريقة تتوسّع [فتتحوّل] الى منظومة [système] (٣٤٦) .

---

١. لاحظ جيداً ، « ثلاثية » الديالكتيك هي وجهها الخارجي السطحي .

٢. هيغل يرفع صوته بعنف ضد الشكلية ، اللعب الفارغ بالديالكتيك .

٦

إن بداية كل المحاكات، كل تحليل ، - المقدمة الأولى ، - تبدو الآن غير معيّنة ، « ناقصة » ، تظهر حاجةٌ للبرهان عليها ، لـ « استنتاج » لها (٣٤٧) ونحصل على

« ما يمكن أن يظهر كاشتراط تقدّم يسير بلا نهاية الى وراء في البرهان وفي الاستنتاج» ، - ولكنْ ، من جهة أخرى ، المقدّمةُ الجديدة تدفع الى أمام ...

... « هكذا تتقدّم المعرفة من محتوى الى محتوى . بادىء بدء هذا التقدّم يتعيّن بواقع انه يبدأ بتعيينات بسيطة ، وان التعيينات التالية تصير باستمرار أكثر ثروةً وأكثر عيانية . فعلاً ، النتيجةُ تحوي بدايتَها وحركتُها أغنتها بتعيين جديد . الكلّي هو الأساس ، لذا لا يجب ان ننظر الى التقدم على أنه انتقالٌ ما من شيء الى آخر . في الطريقة المطلقة ، المفهومُ يحفظ نفسه في وجوده الآخر ، الكلّي في تجزّئه [العام يحفظ نفسه في خصوصيّته] ، في الحكم وفي الواقع؛ يرفع كل كتلة محتواه المكتسَب في كل درجة للتعيين التالي، وبتقدّمه الديالكتي ليس فقط لا يترك شيئاً وراءه ، بل يحمل كل المكتسَب ، يغتني ويتكثّف في ذاته » (٣٤٩) ...

هذا المقطع يلخّص بشكل لا بأس به كل معنى الديالكتيك .

ولكن التوسيع يشترط ايضاً التعميق « in - sich - gehen » [= الذهاب داخل الذات]) ، و « التوسيع الأكبر هو ايضاً شدةٌ [توتّر ، كثافة] أعلى» (٣٤٩) .

« لذا فإن الأغنى هو الأكثر عيانية و الاكثر ذاتية ، وما يسترجع نفسه في العمق الأبسط هو الأقوى والأكثر إطلالاً » (٣٤٩) [1] .

(٣٥٠) ... « هكذا ، إن كل تقدّم في التعيينات ، بقدر ما يبتعد عن البداية غير المعيّنة ، هو أيضاً عودة نحوها ، بحيث أن ما ظهر بادىء بدء شيئين مختلفين — التعميق أو التسويغ التراجعي للبداية ،والتقدّم نحو تعيينات جديدة

---

١. هذا لاحظ جيداً : الأكثر ثروة هو الأكثر عيانية والاكثر ذاتية .

لهذه البداية – ليس في الجوهر سوى شيء واحد » (٣٥٠) .

يجب أن لا نخفّض قيمة هذه البداية غير المعيّنة :

... « يجب أن لا نخفّض قيمتها لمجرّد اننا نستطيع أن نعتبرهـــا فقط افتراضية وموقتة[١] . ما يمكن ان نقيمه من اعتراضات ضدّها – مثلاً حدود المعرفة الانسانية ، الحاجة إلى أن نفحص نقدياً أداة المعرفة قبل طرق الشيء ، – هو أيضاً افتراضات مسبقة تشترط هي نفسُها بوصفها تعيينات عيانية أن توسّط وتؤسّس . بما أنها ، من وجهة النظر الشكلية القطعية ، ليس لها اذن أي مزيّة على البداية ...، وبما أنها ، بحكم محتوها العياني ، تحتاج إلى أن تُستنتجَ ، لذا يجب اعتبارُها مزاعم فارغة غرضُها أن ننتبه اليهـــا أكثر من أي شيء آخر . محتواها باطل ، لأنها تحوّل إلى شيء لا يُدحَض ومطلق ما هو معروف كمحدود وغير –حقّ– ، نقصد معرفةً ما محدودة معيّنة كشكل وأداة بالتعارض مع محتواها ؛ هــذه المعرفة الباطلة هي نفسها شكل ، تفسير ، تراجـع . – إن طريقة الحقيقة هي أيضاً تعلّم ان البداية غير كاملة [ناقصة] ، لأنها بداية ، – ولكنها في الوقت نفسه تعـلم ان هذه النقيصة ضرورة ، – لأن الحقيقة ليست سوى مسيرة نحو ذاتها [عودة إلى الذات] بواسطة [عبر] سلبيّة المباشر » (٣٥٠)[٢] ...

... « بموجب طبيعة الطريقة هــذه يمثّل العلم كدائرة مغلقة على نفسها ، فيها تعود النهايةُ بالتوسّط إلى البدايـــة التي هي علّة الوجود البسيطة [هي القاعدة البسيطة لهذه العملية] ؛ وهذه الدائرة هي دائرة مؤلفة من دوائر... وحلقات هذه السلسلة هي العلوم الخاصة » (٣٥١)[٣] ...

« الطريقة » هي المفهوم الخالص الذي لا ينتسب إلا إلى نفسه ؛ لذا انه هذه العلاقة البسيطة مع الذات التي هي الوجود . ولكنه أيضاً الوجود في امتلائه ،

---

١. NB هيغل ضد كنط .

٢. ضد كنط (صح)

٣. العــلم دائرة دوائر .

المفهوم الذي يفهم نفسه ، الوجـــود بوصفه كلية جامعة عيانية وأيضاً متوترة بالتمام »[1] ...

« في المقام الثاني ، هذه الفكرة (فكرة المعرفة المطلقة)هي أيضاً منطقية ، انها محبوسة في الفكر الخالص ، انها مـــا تزال علمَ المفهوم الالهي . صحيح ان عَرْضها [بسطَـها] المنظوميّ هو نفسه تحقيق واقعي ، ولكنْ مُبقىً في هذه الدائرة . بما ان فكرة المعرفةِ الخالصةَ هي بذلك مضمّنة في الذاتية ، لذا فهي دفْع إلى تجاوز هذه الاخيرة ، والحقيقةُ الخالصة تصير ، بوصفها نتيجة أخيرة ، بداية ميدان آخر وعلم آخر . هذا الانتقال لا يحتاجهنا إلى أكثر من أن يُذكر .

« وخصوصاً ، بمـا ان الفكرة تضع نفسها كوحدة مطلقة للمفهوم الخالص وواقعه وبذلك تتطابق مع الصفة المباشرة للوجود ، لذا فهي في هذا الشكل وككلية – جامعة (٣٥٣) – الطبيعةُ »[2] .

هذه الجملة من الصفحة الاخيرة (٣٥٣) من المنطق بالغة الأهمية . انتقال من الفكرة المنطقية إلى الطبيعة . المادية في متناول اليد . انجلز كان على حـــق : منظومة هيغل مادية مقلوبة الأعلى تحت الأسفل . تلك ليست آخر جملة في المنطق ، ولكن ما يليها حتى انتهاء الصفحة ليس هاماً[3] .

نهاية المنطق ، ١٧ ديسمبر ١٩١٤ .

مما يلفت الانتباه ان كل الفصل عن الفكرة « المطلقة » يكاد لا يذكر كلمـة « إله »(مرة واحدة : « المفهوم الإلهي » يقوم بتظاهرة صغيرة) ؛ وفضلاً عن ذلك – هذا لاحظ جيداً – هذا الفصل ليس فيـه تقريباً أية مثالية نوعية ، ولكنَّ

---

١. NB : رابطة الطريقة الديالكتية مع « الوجود في امتلائه » ، مع الوجود المليء بالمحتوى والعياني .

٢. انتقال من الفكرة إلى الطبيعة .

٣. NB . في المنطق الصغير (المنطق الصغير ، فقرة ٢٤٤ ، ملحق ، ص ٤١٤) ، الجملة الأخيرة في الكتاب هي : « لكن هذه الفكرة التي هي ، هي الطبيعة »

موضوعه الجوهري هو الطريقة الديالكتية . الحاصل والخلاصة ، الكلمة الأخيرة والجوهر في منطلق هيغل هو الطريقة الديالكتية – هذا يستحق الاعتبار إلى أقصى درجة . وأيضاً ما يلي : في المؤلف الأكثر مثالية لهيغل نجد أقل ما يمكن من المثالية ، أكثر ما يمكن من المادية هذا أمر « متناقض » ، ولكنه واقع !

(مقتطفات اضافية مأخوذة من الموسوعة)

المجلد VI ، ص ٣٩٩ :

الموسوعة ، الفقرة ٢٢٧ – أشياء ممتازة عن الطريقة التحليلية (« فكّ » الظاهرة « المعطاة العيانية » – اعطاء شكل التجريد ، لوجوهها الخاصة و« تحرير » « النوع أو القوة والقانون » (ص ٣٩٨)[1] – وعن تطبيقها :

ليس أبداً شغلَ « قرارنا المسفي » ان نطبّق الطريقة التحليلية أو الطريقة التركيبية (كما يقال عادة) – « هذا يتوقف على شكل الموضوع المطلوب معرفته » (٣٩٩) .

لوك والتجريبيون يشغلون وجهة النظر التحليلية . وكثيراً ما يقال إن « المعرفة لا تستطيع أن تفعل أكثر » (٣٩٩) .

« ولكن يلاحظ فوراً أن ذلك إفساد للأشياء وأن المعرفة المصمّمة على أخذ الأشياء كما هي تسقط بذلك في تناقض مع نفسها[2] » . مثلاً ، « يطحن » كيمياني قطعة من اللحم ويكتشف الآزوت ، الأوكسيجين ، الخ . « ولكن عندئذ هذه المواد المجرّدة لم تعد لحماً » .

يمكن أن يكون ثمة تعاريف كثيرة ، لأن الموضوعات لها وجوهٌ كثيرة :

« كلما كان الموضوعُ المطلوب تعريفه غنياً ، أي كلما قدّم وجوهاً أكثر للفحص ، كانت التعاريف الممكنة أكثر تنوعاً » (فقرة ٢٢٩) – مثلاً ، تعريف الحياة ، تعريف الدولة ، الخ .

---

١. NB ، « النوع أو القوة والقانون » (النوع : القانون!) .

٢. صحيح جداً . أنظر ملاحظة ماركس في « رأس المال » .

سبينوزا وشيلنغ يعطيان في تعاريفهما أعداداً من عناصر « تأملية » « spéculatifs » (وضوحاً ، هيغل يستخدم هنا هذه الكلمة في معناها الأفضل) ، ولكن في شكل تأكيد وحسب » . والحال ، على الفلسفة أن تدلل وأن تستنتج لا أن تكتفي بأن تعرّف .

التقسيم يجب أن يكون « طبيعياً » وليس مصطنعاً بشكل خالص ، أي تعسفياً » (٤٠١) .

ص٤٠٣ — ٤٠٤ — ضد « البناءات » « لعبة » البناءات ، بينما المسألة هي المفهوم ، الفكرة ، « وحدة المفهوم والموضوعية » ..

في المنطق للصغير الفقرة ٢٣٣ ، المقطع ب عنوانه الارادة (ما هو في المنطق الكبير « فكرة الخير ») .

الفاعليـــة هي « تناقض » — الهدف واقعي وغير واقعي ، ممكن وغير ممكن ... الخ .

« شكلاً » إن زوال هذا التناقض يكمن في أن الفاعلية تتجاوز ذاتية الهدف وبذلك أيضاً الموضوعية ، التعارض الذي بموجبه الاثنتان محدودتان ، وتتجاوز ليس فقط أحادية تلك الذاتية ، بل تتجاوز الذاتية بوجه عام » (٤٠٦)

ان موقف كنط و فيخته (خصوصاً في الفلسفة الأخلاقيـــة) هو الموقف الغائي ، موقف وجوب الكينونة الذاتي (خارج الارتباط مع الموضوعي) ...

حين يتحدّث هيغـل عن الفكرة المطلقة ، فانه يسخر (الفقرة ٢٣٧) من « الاعلانات الخطابية » بصددها ، وكأنهم يكتشفون فيها كل شيء .

ويلاحظ ان « الفكرة المطلقة ... هي .. الكلي ، ولكن هذا الكلي ليس فقط شكلاً مجرداً يعارضه كل محتوى خاص كشيء ما آخر ؛ انه شكل مطلق اليه تعود كل التعيينات ، كل امتلاء المحتوى الذي وضعته[1] . من هذه الحيثية ، يمكن مقارنة

---

١٠ جيد جداً

الفكرة المطلقة برجل مسنّ يفصح عن الحقائق الدينية التي يقولها طفل ، ولكنها بالنسبة اليه تحمل معنى كل حياته . حتى إذا كان الطفل يفهم محتوى الدين ، فان الدين ما يزال بالنسبة اليه شيئاً ما خارجه توجد كل الحياة وكل الكون » (٤٠٩)[1] .

... « ما يهمّنا هو الحركة في كليّتها الجامعة » (الفقرة ٢٣٧)[2] ..

... « المحتوى هو انساط الفكرة الحيّ » . (٤١٠) ... « إن أية درجة من الدرجات المعتبرَة إلى هنا هي صورة عن المطلق ، ولكنها صورة محدو.ة بادىء بدء » . .

الفقرة ٢٣٨ ، الملحق :

« الطريقة الفلسفية هي في آن معاً تحليلية وتركيبية ؛ لا بمعنى انها تُراصف هاتين الطريقتين للمعرفة المحدودة أو انها تعتمدهما بالتناوب وحسْب ، بل بالأحرى بمعنى أنها تحويهما كمتجاوَزَتين وانها تتصرّف في آنٍ معاً تحليلياً وتركيبياً في كل من مساعيها[3] . الفكرُ الفلسفي يعمل تحليلياً من حيث انه لا يفعل سوى استقبال موضوعه ، الفكرة ، يتركها تتأكد ، ونوعاً ما لا يفعل سوى مشاهدة حركتها وتطورها (٤١١)[4] بهذا القدر ، الفلسفةُ منفعِلة تماماً . ولكن الفكر الفلسفي هو في الوقت نفسه تركيبي ويتجلى بوصفه فاعلية المفهوم نفسه . هذا يتطلّب جهداً لاتقاء الأفكار الشخصية والآراء الخاصة الطارئة التي تميل بشكل ثابت إلى احتلال مكان الصدارة » ... (٤١١) ...

---

١. مقارنة جميلة جداً . بدلا من الدين العامي ، يجب أخذ أنواع شتى من الحقائق المجردة .
٢. جميل جداً .
٣. جيد جداً .
٤. طيب جداً (وملون) .

(الفقرة ٢٤٣ ، ص ٤١٣) ... « الطريقة هكذا ليست الشكل الخارجي، بل هي نفسُ [روح] ومفهوم المحتوى » ...

(نهاية الموسوعة)*

* (هنا تنتهي طبعة لوفافر - غوترمان . وقد رأينا أن نضيف - نقلاً عن « الدفاتر الفلسفية » ، ترجمة فرنان - بوتيجلي ، Ed. Sociales - « مخطط ديالكتيك (منطق) هيغل - فهرس (جدول مواد) المنطق الصغير (الموسوعة) » ما دام هذا المخطط - الفهرس جزءاً لا يتجزأ من « دفاتر لينين عن ديالكتيك هيغل ») .

مخطط ديالكتيك (منطق) هيغل

فهرس المنطق الصغير (الموسوعة)

I . نظرية الوجود :

آ) الكيف . ١) وجود ؛

٢) موجود – هنا ؛

٣) موجود – لذاته .

ب) الكم . ١) كم خالص ؛

٢) مقدار (كمية) ؛

٣) درجة .

حـ) القياس .

II . نظريه الجوهر :

آ) الجوهر ، بوصفه أساس الوجود – المعيّن .

١) هوية [تماثل] – فرق [اختلاف] – علة وجود ؛

٢) وجود – معيّن ؛

٣) الشيء .

الفكرة :

١) عالم الظاهرات :

٢) المحتوى و الشكل :

٣) العلاقة .

حـ) الواقع :

١) علاقة الماهوية ؛

٢) علاقة السببية ؛

٣) الفعل المتبادل .

III . نظرية المفهوم :

آ) المفهوم الذاتي :

١) المفهوم ؛

٢) الحكم ؛

٣) القياس .

ب) الموضوع .

١) ميكانيكية [آلية] ؛

٢) كيميائية ؛

٣) تيليولوجيا (غائية) .

حـ) الفكره .

١) الحياة ؛

٢) المعرفة ؛

٣) الفكرة المطلقة .

المفهوم (المعرفة) في الوجود (في الظاهرات المباشرة) يكتشف الجوهر (قانون السبب ، الهوية ، الاختلاف ، الخ) – تلك هي فعلاً المسيرة العامة لكل معرفة انسانية (لكل علم). تلك هي أيضاً مسيرة علوم الطبيعة ، مسيرة الاقتصاد السياسي (والتاريخ) . إن ديالكتيك هيغل هي بالقدر نفسه تعميم تاريخ الفكر . تتبُّع هـذه المسيرة بشكل اكثر عيانية ، بدقة أكبر ، في تاريخ كل علم من العلوم المختلفة ، تلك مهمة تستحق تماماً جهد القيام بها . في المنطق ، تاريخُ الفكر يجب ، جوهرياً ، أن يتطابق مع قوانين الفكر .

إن ما يقفز امام البصر ، أن هيغل أحياناً يذهب من المجرد إلى العياني (Sein (مجرد) [وجود ، كينونة] – Dasein (عياني) [وجود – معيّن] – Fursichsein [= موجود ، موجود – هنا ، موجود – لذاتـه]) – وأحياناً بالعكس (المفهوم الذاتي – الموضوع – الحقيقة (الفكرة المطلقة)) . الا يكون ذلك موقف عدم – انسجام لفيلسوف مثالي (ما كان يدعوه ماركس « صوفية الأفكار » عند هيغل) ؟ أم ان مردّه أسباب أعمق ؟ (مثلا ، الوجود = العدم – فكرة الصيرورة ، النمو – الانبساط) . بادىء بدء تظهر خلْسَةً انطباعاتٌ ، ثم « يتحرّر » شيء ما ، – ثم تنبسط مفاهيم الكيف (تعيينات الشيء أو الظاهرة) والكمّ [1] . إن الدراسة والتفكير يوجهان الفكر نحو معرفة الهوية – الفرق – علة الوجود – الجوهر بالنسبة إلى الظاهرة، – السببية ، الخ . كل هـذه اللحظات (المراحل ، الدرجات ، العمليات) للمعرفة تذهب من الذات إلى الموضوع ، تُختَبَر بالممارسة وتنتهي خلال هـذا الاختبار [التحقق] إلى الحقيقة (= إلى الفكرة المطلقة) .

يقول فويرباخ ان الكيف ، والاحساس (Empfindung [الاحساس ، الشعور ، التأثر]) هما شيء واحد . الاحساس يظهر لنا على أنه ما هو الأكثر بدائية والأكثرمعرفة من قِبَلنا؛ ولكن فيه يوجد بالضرورة الكيف [الصفة] . . .

إن ماركس لم يترك لنا « منطقاً » (بحرف م كبير) ، ولكنه ترك لنا منطق « رأس المال » . يجب ان نستفيد من ذلك على أكمل شكل ممكن بالنسبة للمسألة التي تهمنا . في « رأس المال » ، على علم واحد يطبق ماركس المنطقَ ، الديالكتيكَ ، ونظريةَ المعرفةِ المادية (لا حاجة لثلاث كلمات : هذا شيء واحد)، آخذاً عند هيغل كل ماله قيمة ومنمّياً إياه .

---

١. « الوجود » المجرد فقط كلحظة في الـ « كل شيء يجري » .

السلعة — المال — الرأسمال

↖ انتاج فضل — القيمة المطلق
↙ انتاج فضل — القيمة النسبي

تاريخ الرأسمالية وتحليل المفاهيم التي تلخص هذا التاريخ.

نقطة الانطلاق — الـ « موجود » الأبسط، الأكثر إلفة، الأكثر شيوعاً، الأكثر مباشرة : السلعة المفردة (الـ « موجود » في الاقتصاد السياسي).

تحليل هـــذه السلعة كعلاقـــة اجتماعية . تحليل مزدوج ، استنتاجي واستقرائي ، — منطقي وتاريخي (أشكال القيمة)

الاختبار بالوقائع ، خصوصاً بالممارسة ، يحصل هنـــا عند كل مرحلة من التحليل .

انظر بخصوص الجوهر في مقابل الظاهرة :

— السعر والقيمة ،

— العرض والطلب في مقابـــل « القيمة » (= « عمـــل مبلور مجمّد ») .

— الأجر وقيمة قوة العمل .

حول الديالكتيك

شطرُ الواحد إلى اثنين ومعرفة أجزائه المتناقضة (انظر ما ينقله فيلو عن هيراكليت في مطلع الجـزء الثالث (« حول المعرفـة ») من كتاب لاسال عن « هيراكليت ») ، ذلك هو أساس الديالكتيك (أحد « جواهر » ها ، إحدى علائمها ، إحدى خصائصها الأساسية ، إن لم يكن خاصتها الأساسية) . هكذا هيغل يضع المسألة أيضاً . (أرسطو ، في مؤلفه « الميتافيزياء » ، **يكسر رأسه** دائماً عند هذا الموضوع **ويكافح** ضد هيراكليت أي ضد أفكار هيراكليت) .

إن صواب هذا الوجه من وجوه محتوى الديالكتيك يجب أن يُختبَر بتاريخ العلم . عادةً لا يُعار ما يكفي من الانتباه لهذا الوجه للديالكتيك (بليخانوف مثلاً) : تماثـل الضدين يُعتبَر كحاصل جمـع **أمثلة** (« مثلاً » حبة القمح » ؛ « مثلاً » الشيوعية البدائية » . هـذا أيضاً مـا يفعله انجلز . « ولكن « بقصد الإفهام على نحـو أفضل » ...) وليس **كقانون للمعرفة** (و **كقانون للعالم** الموضوعي) .

في الرياضيات ، الـ + و الـ — ، التفاضل والتكامل .
في الميكانيك ، الفعل وردّ الفعل .
في الفيزياء ، الكهرباء الموجبة والسالبة .
في الكيمياء ، توحّد وانفصال الذرات [الجواهر] .
في العلم الاجتماعي ، صراع الطبقات .

إن تماثل الضدين (لعلّه من الأصح أن نقول « وحدة » هما ؟ رغم أن تمييز كلمتي تماثل [هوية]ووحدة ليس هنا ذا شأن كبير . بمعنى ما ، كلاهما صحيح) هو التعرّف على (اكتشاف) الاتجاهات المتعارضة ، المتناقضة ، المتنابذة ، في كل ظاهرات وعمليات الطبيعة (بما فيها الروح والمجتمع) . إن شرط معرفة كل عمليات العالم في « ديناميكيتها - الذاتية » ، في تطورها التلقائي ، في حياتها الحية ، هو معرفتها من حيث هي وحدة الضدّين. النمو - التطور [الانبساط] هو « صراع » الأضداد . ثمة تصوّران أساسيان (أو تصوران ممكنان ؟ أو تصوّران لوحظا في التاريخ ؟) للنمو - الانبساط (للتطور) : النمو كنقصان وزيادة ، كتكرار ، و النمو كوحدة أضداد (انشطار الواحد إلى أضداد متنابذة والعلاقات المتبادلة بين هذه الأضداد) . في التصوّر الأول للحركة ، الديناميكية - الذاتية تبقى في الظل ، قوتها المحركة ، منبعها ، باعثها (إلا إذا نقل هذا المنبع إلى الخارج - إله ، ذات ، الخ) . في التصوّر الثاني ، يتوجه الانتباه الرئيسي بالضبط نحو معرفة منبع الديناميكية « الذاتية » . التصور الأول ميت، فقير، مجدب. الثاني حيّ . فقط الثاني يعطي مفتاح « الديناميكية الذاتية » لكلما هو موجود؛ هو وحده يعطي مفتاح « القفزات »، « الانقطاع في التسلسل » ، « التحوّل إلى الضدّ » الغاء القديم وولادة الجديد .

إن وحدة (تطابق ، تماثل ، تساوي عمل) الضدين مشروطة ، وقتية ، انتقالية ، نسبية . صراع الضدين المتنابذين مطلق ، كما التطور مطلق ، والحركة مطلقة .

.NB. الفرق بين الذاتية (الريبية ، السفسطائية ، الخ ...) والديالكتيك يكمن بين جملة أشياء في أن الديالكتيك (الموضوعي) يرى أن الفرق بين النسبي والمطلق هو أيضاً نسبي . في الديالكتيك الموضوعي ، في النسبي ثمة مطلق . في الذاتية والسفسطائية ، النسبي نسبي وحسب وهو ينبذ المطلق .

ماركس في « رأس المال » يحلل بادىء بدء ما هو الأكثر بساطة ، الأكثر

شيوعاً ، الأكثر عمقاً ، الأكثر عمومية ، الأكثر اعتياداً ، ما يُصادف مليارات المرات ، **علاقة المجتمع** البرجوازي (السلعي) : تبادل السلع . التحليل يكشف في هذه الظاهرة الأولية (في « خلية » المجتمع البرجوازي هذه) كل تناقضات (بالأخص جنين كل تناقضات) المجتمع المعاصر . ثم عرضه يصف لنا انبساط (و نمو و حركة) هذه التناقضات وهذا المجتمع في حاصل جمع أجزائه المتنوعة منذ بدايته حتى نهايته .

تلك يجب ان تكون طريقة عرض (خصوصاً دراسة) الديالكتيك بوجه عام (إذ ان ديالكتيك المجتمع البرجوازي ليست ، بالنسبة لماركس ، سوى حالة خاصة من الديالكتيك) . لنبدأ بالأبسط ، بالأكثر إلفة ، عمومية ، الخ ، لنبدأ **بأية قضية** : أوراق الشجرة هي خضراء ، جان هو انسان ؛ ميدور هو كلب ، الخ .. ثمة هنا ، من هنا ، (كما لاحظ هيغل بعبقرية) **ديالكتيك** : **الخاص هو عام** (انظر مؤلف ارسطو ، « الميتافيزياء » ، ترجمة شفيغلر ، المجلد II ، الكتاب ٤ ، العنوان ٨ — ٩ : « إذ بطبيعة الحال ، لا نستطيع أن نفكر أنه يوجد بيت — بيت بشكل عام — خارج البيوت المرئية » . اذن الضدان (الخاص معارض للعام) متماثلان : الخاص ليس موجوداً الا بقدر ما يتصل بالعام . والعام ليس موجوداً إلا في الخاص ، خلال الخاص . كل شيء خاص هو (بطريقة ما ، على نحو ما) عام . كل شيء عام هو (قطعة ، جانب ، جوهر) من الخاص . كل شيء عام لا يشمل إلا تقريبياً كل الموضوعات الخاصة . كل شيء خاص لا يدخل بتمامه وكماله في العام ، الخ ... الخ ... كل شيء خاص يرتبط عن طريق آلاف الانتقالات بأشياء خاصة من نوع آخر (أشياء ، ظاهرات ، عمليات) ، الخ ... ثمة هنا ، من هنا ، عناصر ، أجِنّة ، مفاهيم الضرورة ، الرابطة الموضوعية للطبيعة ، الخ . العرَضي والضروري ، الظاهرة والجوهر ، ذلك موجود بدءاً من هنا ، إذ حين نقول : جان هو انسان ، ميدور هو كلب ، هذا هو ورقة شجرة ، الخ .. نطرح سلسلة من إشارات [علامات] بوصفها عرَضية ، نفصل الجوهري عن الطارىء ، ونعارض الواحد بالآخر .

هكذا ، في كل قضية ، يمكن (ويجب) أن نكشف كما في « خلية » بذور كل عناصر الديالكتيك ، وان نبين هكذا ان الديالكتيك ملازم لكل معرفة انسانية بوجه عام . والعلوم الطبيعية تعلمنا (وفي هذه المرة أيضاً يجب أن نقيم الدليل على ذلك بواسطة اي مثال ، مهما كان بسيطاً) عن الطبيعة الموضوعية في صفاتها ذاتها ، عن تحول الخاص إلى عام ، العرَضي إلى ضروري ، التداخلات ، الفوارق الدقيقة ، العلاقة المتبادلة للأضداد . الديالكتيك هي فعلاً نظرية المعرفة (لهيغل و) للماركسية : هذا « الجانب » من الأمور (ليس « جانباً » ، انه أساس الأمور) قد أهمله بليخانوف ناهيك عن الماركسيين الآخرين .

• • •

المعرفة ممثلة في شكل سلسلة من دوائر ، هذا ما حدّده كل من هيغل (في المنطق) وبول فولكان ، وهو اختصاصي معاصر في نظرية المعرفة مطبّقة على العلوم الطبيعية ، انتقائي ، عدو للهيغلية (التي لم يفهمها !) (أنظر كتابه « نظرية المعرفة في ميدان العلوم الطبيعية ») .

« الدوائر » [« دورات »] في الفلسفة : (التسلسل الزمني بصدد الأشخاص هل هو إجباري ؟ لا !).

الفلسفة القديمة : من ديمقريط إلى أفلاطون وإلى ديالكتيك هيراكليت .

عصر النهضة : ديكارت مقابل غاسندي (سبينوزا ؟) .

الفلسفة الحديثة : من هولباخ إلى هيغل (عن طريق بركلي ، هيوم ، كنط) .

هيغل — فويرباخ — ماركس .

الديالكتيك بوصفها معرفة حيّة ، متعدّدة الوجوه (الوجوه تتكاثر على الدوام) مع ما لا حدّ له من الفوارق الدقيقة في تناول الواقع ، الاقتراب منه (مع منظومة فلسفية تخرج من كل فرق دقيق لتكوّن كلاً) ، ذلك محتوى ذو ثروة هائلة ، بالمقارنة مع المادية « الميتافيزية » ، التي مصيبتها الكبرى أنها عاجزة عن تطبيق الديالكتيك على الـ Bildertheorie [نظرية الانكسار ، نظرية الانعكاس] ، على عملية وعلى تطور المعرفة .

المثالية الفلسفية ليست سوى حماقة من وجهة نظر مادية فظّة ، مبسّطة ، ميتافيزية . بالعكس ، من وجهة نظر مادية ديالكتية ، المثالية الفلسفية هي إنماء أحادي الجانب ، مبالغ ، uebersehwengliches [مفرط ، فوق الحد ، فيّاض ...] (على حد تعبير ديتسغن Dietzgen) – تضخّم ، تورّم – لإحدى الملامح الصغيرة ، لأحد جوانب ، لأحد وجوه المعرفة ، الذي يصبح على هذا النحو مطلقاً ، مفصولاً عن المادة ، عن الطبيعة ، مؤلّهاً . المثالية صوفية اكليركية . هذا صحيح ولكن المثالية

لاحظ جيداً هذا الحكم المقتضب!	الفلسفية هي (« بالأحرى » [بالأصحّ] و « عدا ذلك ») طريق يقود إلى الصوفية الاكليركية من خلال **أحد الفروق الدقيقة** [أحد الوجوه الخاصة] للمعرفة (الديالكتية) المعقدة تعقيداً لا حدّ له للانسان .

إن معرفة الانسان ليست (لا تتبع ، لا ترسم) خطاً مستقيماً ، بل خطاً منحنياً ، يقترب اقتراباً لا حد له من سلسلة دوائر ، من خط حلزوني . إن جزءاً ، قطعةً ، مقطعاً من هذا المنحنى يمكن أن يحوّل (يحوّل بشكل أحادي ، يستبعد الوجوه الأخرى) إلى خط مستقيم ، مستقل ، كامل ، يقود (إذا الأشجار منعت رؤية الغابة) عندئذ إلى المستنقع ، إلى الصوفية الاكليريكية (حيث تثبّته المصلحة الاجتماعية للطبقات المسيطرة) . الطابع المستقيم والوحيد

الجانب ، التحجّر والتعظّم ، الذاتية والعمى الذاتي ، هي ذي الجذور المعرفية للمثالية . والصوفية الاكليركية (= المثاليـة في الفلسفة) لها بالطبع جذور معرفية : لها أرض ، أنها زهرة عقيمة ، لا ريب ، ولكنها زهرة تنبت على الشجرة الحية للمعرفة الانسانيـة الحقة ، الحية ، الخصبة ، القوية ، الكلية القدرة ، الموضوعية والمطلقة

عام ١٩١٥ أو ١٩١٦

الفهرس

	ص
ملاحظة اولى .	٥
مخطوطة لينين .	٧
مصطلحات وتعاريف .	١٥
الفلسفة ومسائلها ؛ مدارسها :	٢٩
المادية ، المثالية ، أنواعها .	٣٢
الديالكتيك والميتافيزيك .	٣٥
التجريبية والعقلية .	٣٨
المادية غير الماركسية .	٤١
تاريخ الفلسفة ، أهم الفلاسفة :	٤٥
A . الفلسفة اليونانية القديمة :	٤٨
[المرحلة الأولى :] ١ . مدرسة ميليت: طاليس .	٤٨
٢ . مدرسة إفسس : هيراكليت .	٤٩
٣ . الفيثاغوريون .	٥٠
٤ . الايليات : بارمنيد ، زينون .	٥٠
[المرحلة الثانية :] ٥ . ديموقريط .	٥٥
٦ . السفسطائيون .	٥٦

٧ . سقراط . ٥٧
٨ . افلاطون . ٥٧
٩ . أرسطو . ٥٧
[المرحلة الأخيرة:] ١٠. ابيقور . ٥٨ – ٥٩
١١. الريبية . ٦٠
١٢. الافلاطونية المحدثة . ٦١
١٣. الرواقية . ٦١

B . العصور الوسطى المسيحية والاسلامية : ٦٢
اوغسطين . السكولاستيك ،روجه بيكن، توما الأكويني...
الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد ، الغزالي ... ٦٢

C .العصور الحديثة الأوروبية : ٦٥
١ . فرنسيس بيكن ٦٦
٢ . ديكارت ٦٦
٣ . سبينوزا ٦٨
٤ . لا يبنتس ٧٠
٥ . لوك ٧٣
٦ . تولاند ٧٣
٧ . بركلي ٧٤
٨ . هيوم ٧٦
٩ . لامتري ، هولباخ ، هيلفيسيوس ، ديدرو ٧٨
١٠. كنط ٨٠
١١. ياكوبي ٨٤
١٢. فيخته ٨٤
١٣. شيلنغ ٨٧

١٤. هيغل ٩٠
١٥. الهيغليون الشباب ٩٧
١٦ فويرباخ ١٠٢
١٧. ماركس ، انجلز ، لينين – الماركسية . ١٠٣
١٨. الفلسفة بعد ماركس . لينين والتجريبية النقدية ،
المثالية الفيزيائية اليوم . ١٠٩

لينين : خلاصة « علم المنطق » لهيغل .

مقدمة الطبعة الأولى . ١٢٥
مقدمة الطبعة الثانية . ١٢٧
المدخل : فكرة عامة عن المنطق . ١٣٣

الكتاب الأول : منهب الوجود . ١٣٩

الباب الأول : الكيف . ١٤٣
الباب الثاني : الكم . ١٥٢
الباب الثالث : القياس . ١٥٥

الكتاب الثاني : منهب الجوهر . ١٦١

الباب الأول : الجوهر ١٦٣
الباب الثاني : الظاهرة . ١٧٨
الباب الثالث : الراهنية . ١٨٥

الكتاب الثالث : المنطق الذاتي أو منهب المفهوم . ١٩٣

في المفهوم بوجه عام . ١٩٥
الباب الأول : الذاتية . ٢٠٢
الباب الثاني : الموضوعية . ٢٠٩
الباب الثالث الفكرة . ٢١٥

الفصل الأول : الحياة . ٢٢٤
الفصل الثاني : فكرة المعرفة . ٢٢٧
الفصل الثالث: الفكرة المطلقة . ٢٣٩
مقتطفات إضافية مأخوذة من « الموسوعة » ٢٥١
لينين : مخطط ديالكتيك (منطق) هيغل : فهرس مواد
« المنطق الصغير » (أو منطق « الموسوعة »). ٢٥٥
لينين : حول الديالكتك . ٢٦١